

النَّفْسُ

مِنْ كِتَابِ الشِّفَاءِ

تأليف

السَّيِّدِ الْيَرْبُورُغِيِّ بْنِ سَيِّدِنَا

تحقيق

آية الله حسن زاده الاملى



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

النفس

مِنْ كِتَابِ الشِّفَاءِ

تأليف

الشيخ أبي بكر بن سينا

شبكة كتب الشيعة

تحقيق

آية الله حسن زاده الاملي



ابن سینا، حسن بن عبدالله، ۳۷۰ - ۴۲۸ ق.

[شفاء، برگزیده]

النفس من کتاب الشفاء / لابی علی سینا، حقیقه حسن حسن زاده الآملی -

قم: مکتب الإعلام الإسلامی، مرکز النشر، ۱۳۷۵.

۳۶۸ص. - (نمونه) - دفتر تبلیغات اسلامی حوزه علمیه قم، مرکز انتشارات؛

۳۸۶: آثار استاد حسن زاده آملی (۱۰)

کتابنامه به صورت زیرنویس.

۱. فلسفه اسلامی - متون قدیمی تا قرن ۱۴. ۲. نفس (فلسفه) - متون

قدیمی تا قرن ۱۴. الف. حسن زاده آملی، حسن، ۱۳۰۷ - محقق. ب. دفتر

تبلیغات اسلامی حوزه علمیه قم، مرکز انتشارات. ج. عنوان. د. عنوان: شفا.

۱۸۹/۱

ش ۷ الف / ۷۵۱ / B

فهرست نویسی پیش از انتشار توسط مرکز انتشارات دفتر تبلیغات اسلامی

ISBN 964 - 424 - 146 - 0

شابک ۰ - ۱۴۶ - ۴۲۴ - ۹۶۴



مکتب الإعلام الإسلامی
مرکز النشر

النفس من کتاب الشفاء

الکتاب:

الشیخ الرئيس ابن سینا

المؤلف:

آية الله حسن حسن زاده الآملی

المحقق:

مرکز النشر التابع لمکتب الإعلام الإسلامی

الناشر:

مطبعة مکتب الإعلام الإسلامی

المطبعة:

الأولی / ۱۴۱۷ ق، ۱۳۷۵ش

الطبعة:

۳۰۰۰ نسخة

الکمية:

۹۵۰ تومان

السعر:

حقوق الطبع محفوظة للناسخ

قم، شارع شهاده (صلوات)، مرکز النشر التابع لمکتب الإعلام الإسلامی، ص ب: ۹۱۷،

هاتف: ۷۰۷، ۷۵۲۱۵۵، فاکس: ۷۵۲۱۵۴، توزیع: ۷۳۹۲۰۰ و ۷۴۴۲۶

Printed in the Islamic Republic of Iran

مقدمة التحقيق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق ملكه على مثال ملكوته، وأسّس ملكوته على مثال جبروته، ليستدلّ بملكه على ملكوته، وبملكوته على جبروته. والصلوة والسلام على مُدِّ الهمم رسوله الخاتم، وآله الموازين القسط أئمة الأمم، ومن سلكوا نهجهم الهادين إلى الطريق الأمّ. وبعد فلا يخفى على من لم يُهمل نفسه ولم ينسها أن معرفة النفس هي السبيل إلى معرفة الواجب تعالى شأنه، والطريق إلى الإيقان بالمعاد المفضى إلى تحصيل السعادة الأبدية، فهي أفضل المعارف وأنفعها. قوله سبحانه: «ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنسيهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون». قال الوصي الإمام أمير المؤمنين على - عليه السلام -: «لا تجهل نفسك فإن الجاهل معرفة نفسه جاهل بكل شيء». وقال عليه السلام: «من عرف نفسه فقد انتهى إلى غاية كل معرفة وعلم». وقال عليه السلام: «من لم يعرف نفسه بعد عن سبيل النجاة وخبط في الضلال والجهالات».

وقال عليه السلام: «معرفة النفس انفع المعارف».

وقال عليه السلام: «من عرف نفسه عرف ربه».

وقد اعتنى اساطين العلم من قديم الدهر بتصنيف الصحف النورية في معرفة النفس الانسانية، وقد عددنا عدة منها في مفتتح كتابنا الفارسي في معرفة النفس الموسوم بـ «گنجينه گوهر روان». ومن تلك الصحف الكريمة كتاب نفس الشفاء للشيخ الرئيس - رضوان الله عليه - وقد قرأناه عند شيخنا الاعظم واستاذنا الاكرم العلامة الشعراني - قدس سره الشريف - (سنة ١٣٨٠ هـ - ق = ١٣٤٠ هـ ش).

وبعد ذلك بذلنا الجهد والجهد في تصحيحه وتدريبه والتعليق عليه. وقد رزقنا الله المفيض الوهاب ومهيئ الأسباب ومسببها، عدة نسخ من الشفاء مخطوطة ومطبوعة مصححة من مشايخ العلم واساطين الحكمة، وهذا السفر القويم الموشح بتعليقاتنا عليه قد صححناه بالعرض عليها، ونهديه إلى النفوس المستعدة للاعتلاء إلى ذرى معارج المعارف. ونسال الله العظمة والساد، وأن يجعله ذخراً ليوم المعاد.

وترى في آخر الكتاب نماذج من تصاوير بعض صفحات نسخنا المذكورة الموجودة في مكتبتنا. دعويهم فيها سبحانهك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعويهم أن الحمد لله رب العالمين.

١٣٧٥/٣/٢٩ هـ ش = غرة الصفر ١٤١٧ هـ ق - قم.

حسن حسن زاده الأملی.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الفن السادس من الطبيعيات

قد استوفينا فى الفن الأول الكلام على الأمور العامة فى الطبيعيات ،
ثم تلوناه بالفن الثانى فى معرفة الاجرام والسماء والعالم والصور^١
والحركات الاولى فى عالم الطبيعة ، و حققنا أحوال الأجسام التى
لا تفسد والتى تفسد ، ثم تلوناه بالكلام على الكون والفساد وأسطقساتها ،
ثم تلوناه بالكلام على أفعال الكيفيات الاولى وانفعالاتها والأمزجة
المتولدة منها .

وبقى لنا أن نتكلم على الأمور الكائنة ، فكانت الجمادات وما لاحس
له ولاحركة إرادية أقدمها وأقربها تكوناً من العناصر ، فتكلمنا فيها فى

١- فى معرفة الاجرام والصور والحركات الاولى (كما فى نسختين مقروتين مصححتين
من الشفاء) . ونسخة اخرى مصححة أيضاً فى غاية الجودة مطابقة لما فى الكتاب اعنى :
«فى معرفة الاجرام السماء والعالم والصور والحركات الاولى» .

فالسماء والعالم بيان للاجرام كما قال فى اول الفن الثانى ص ١٥٩ ، فى السماء
والعالم . والاجرام السماوية من التصحيحات الخيالية الخيالية . ثم العبارة فى طبع مصر
هكذا : «فى معرفة السماء والعالم والاجرام والصور ... » وهى حسنة ان لم تكن
بالتصحيح القياسى .

الفن الخامس .

وبقى لنا من العلم الطبيعي النظر فى أمور النباتات والحيوانات لما كانت النباتات والحيوانات متجوهره الذوات عن صورة هى النفس ومادة هى الجسم والأعضاء ، وكان أولى مايكون علماً بالشئ هو ما يكون من جهة صورته ، رأينا أن نتكلم أولاً فى النفس ، ولم نر أن ننشر^١ علم النفس فتكلم أولاً فى النفس النباتية والنبات ، ثم فى النفس الحيوانية والحيوان ، ثم فى النفس الإنسانية والإنسان . وإنما لم نفعل ذلك لسببين : أحدهما أن هذا التنشير مما يوغر^٢ ضبط علم النفس المناسب بعضه لبعض .

والثانى أن النبات يشارك الحيوان فى النفس التى لها فعل النمو والتغذية والتوليد . ويجب لامحالة أن يفصل عنه^٣ بقوى نفسانية تخص جنسه ثم تخص أنواعه . والذي يمكننا أن نتكلم عليه من أمر نفس النبات هو ما يشارك فيه الحيوان . ولسنا نشعر كثير شعور بالفصول المنوعة لهذا المعنى الجنسى فى النبات ؛ وإذا كان الأمر كذلك لم تكن نسبة هذا القسم من النظر إلى أنه كلام فى النبات أولى منه إلى أنه كلام فى الحيوان ؛ إذ كانت نسبة الحيوان إلى هذه النفس نسبة النبات إليها^٤ وكذلك أيضاً حال

١- فى ثلاث نسخ مصححة من الشفاء جاءت العبارة «نبتّر» من التبتير بمعنى التقطيع ، وكذا قوله الأتى : «إن هذا التبتير» . وفى هذه النسخة جاءت العبارة «ننثر» و «التنشير» بالنون والثاء المثلثة من التفريق مقابل التنظيم . والمآل واحد .

٢- أى يصعب .

٣- أى يفصل الحيوان عن النبات .

٤- ولا يختص هذا النوع من النظر بالنبات بل هذا النوع من النظر مشترك بين الحيوان والنبات .

النفس الحيوانية بالقياس إلى الإنسان والحيوانات الأخرى .

وإذ كنا إنما نريد أن نتكلم فى النفس الحيوانية والنباتية من حيث هى مشتركة، وكان لأعلم بالمخصص إلا بعد العلم بالمشترك، وكنا قليلى الاشتغال بالفصول الذاتية لنفس نفس ولنبات نبات وحيوان حيوان لتعذر ذلك علينا. فكان^١ الأولى أن نتكلم فى النفس فى كتاب واحد، ثم إن أمكننا أن نتكلم فى النبات والحيوان كلاماً مخصصاً فَعَلْنَا. وأكثر ما يمكننا من ذلك يكون متعلقاً بأبدانها وبخواص من أفعالها البدنية، فلأن تقدم تعرف أمر النفس ونؤخر تعرف أمر البدن أهدي سبيلاً^٢ فى التعليم من أن تقدم تعرف أمر البدن ونؤخر تعرف أمر النفس. فإن معونة معرفة أمر النفس فى معرفة الأحوال البدنية أكثر من معونة معرفة البدن فى معرفة الأحوال النفسانية. على أن كل واحد منهما يُعين على الآخر، وليس أحد الطرفين بضرورى التقديم، إلا أننا آثرنا أن نقدم الكلام فى النفس لما أمليناه من العذر^٣، فمن شاء أن يغير هذا الترتيب فَعَلْ بلامناقشة لنا معه.

وهذا هو الفن السادس، ثم نتلوه فى الفن السابع بالنظر فى أحوال النبات، وفى الفن الثامن بالنظر فى أحوال الحيوان. وهناك نختم العلم الطبيعى، ونتلوه بالعلم الرياضى فى فنون أربعة، ثم نتلو ذلك كله بالعلم الإلهى، ونُردفه شيئاً من علم الأخلاق، ونختم كتابنا هذا به.

١- جواب «واذ كنا».

٢- لأن العلم بالشئ من جهة صورته أهدي سبيلاً من العلم بذلك الشئ من جهة مادته.

٣- من أن الأولى بالعلم بالشئ هو ما يكون من جهة صورته.



مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

المقالة الأولى

خمسـة فصول :

الفصل الاول : فى اثبات النفس وتحديدـها من حيث هى نفس .

الفصل الثانى : فى ذكر ما قاله القدماء فى النفس فى جوهرها ونقضه .

الفصل الثالث : فى أنّ النفس داخلـة فى مقولة الجوهر .

الفصل الرابع : فى تبين أنّ اختلاف افعال النفس لاختلاف قواها .

الفصل الخامس : فى تعديد قوى النفس على سبيل التصنيف .



مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الفصل الاول

فى إثبات النفس وتحديدھا من حيث هى نفس

نقول : إن أول مايجب أن نتكلم فيه إثبات وجود الشئ الذى يسمى نفسا، ثم نتكلم فيما يتبع ذلك فنقول : إنا قد نشاهد أجساماً تحسّ وتتحرك بالارادة، بل نشاهد أجساما تغتذى وتنمو وتولد المثل وليس ذلك لها الجسميتها، فبقى أن تكون فى ذواتها مبادئ لذلك غير جسميتها، والشئ الذى تصدر عنه هذه الأفعال . وبالجمله كل ما يكون مبدأ لصدور أفاعيل ليست على وتيرة واحدة^١ عادمة للارادة، فلما نسميّه نفسا . وهذه اللفظة اسم لهذا الشئ، لا من حيث هو جوهره، ولكن من جهة إضافة مآله، أى من جهة ما هو مبدأ لهذه الأفاعيل، ونحن نطلب جوهره والمقولة التى يقع فيها من بعد . ولكننا الآن إنما أثبتنا وجود شئ هو مبدأ لما ذكرنا، وأثبتنا وجود شئ من جهة مآله عرض مآ ونحتاج أن نتوصل من

١- وفى تعليقه نسخة : فانه اذا كان آثاره على وتيرة واحدة وعادمة للارادة فهو صورة معدنية لا يسمى نفساً بل المبدأ اما ان يصدر عنه آثاره على وتيرة واحدة مع الارادة فهذا المبدأ هو النفس الفلكى او يصدر عنه آثار مختلفة مع الارادة فالمبدأ هو النفس الحيوانى او يصدر عنه آثار مختلفة مع عدم الارادة فالمبدأ هو النفس النباتى .

هذا العارض الذى له إلى أن نحقق ذاته لنعرف ماهيته، كأننا قد عرفنا أن لشيء يتحرك محركاً ما. ولسنا نعلم من ذلك أن ذات هذا المحرك ماهو. فنقول: إذا كانت الأشياء، التى يرى أن النفس موجودة لها، أجساماً، وإنما يتم وجودها من حيث هى نبات وحيوان لوجود هذا الشيء لها، فهذا الشيء جزء من قوامها. وأجزاء القوام كما علمت فى مواضع هى قسمان: جزء يكون به الشيء هو ما هو بالفعل، وجزء يكون به الشيء هو ما هو بالقوة، إذ هو بمنزلة الموضوع؛ فإن كانت النفس من القسم الثانى^١، ولاشك أن البدن من ذلك القسم، فالحيوان والنبات لا يتم حيواناً ولا نباتاً بالبدن ولا بالنفس^٢ فيحتاج إلى كمال آخر هو المبدأ بالفعل لما قلنا. فذلك هو النفس وهو الذى كلامنا فيه، بل ينبغي أن تكون النفس هو ما به يكون النبات والحيوان بالفعل نباتاً وحيواناً. فإن كان جسماً أيضاً، فالجسم صورته ما قلنا^٣؛ وإن كان جسماً بصورة ما، فلا يكون هو من حيث هو جسم ذلك المبدأ، بل يكون كونه مبدأ من جهة تلك الصورة، ويكون صدور تلك الأحوال عن تلك الصورة بذاتها. وإن كان بتوسط هذا الجسم، فيكون المبدأ الأول تلك الصورة، ويكون أول

١- وفى تعليقه نسخة: أى يكون الشيء ما بالقوة.

٢- قوله ولا بالنفس يعنى بها النفس المفروض فى قوله فإن كانت النفس من القسم الثانى أى يكون الشيء بالقوة. ولا يخفى عليك أن الحيوان والنبات لا يتم حيواناً ولا نباتاً بهذه النفس المفروضة التى هى بالقوة بعد، ولذا قال: «فيحتاج إلى كمال آخر هو المبدأ بالفعل لما قلنا». ومعنى قوله: «لما قلنا» هو ما قال آنفاً: «وإنما يتم وجودها- أى وجود الاجسام- من حيث هى نبات وحيوان لوجود هذا الشيء لها». وهو الشيء الذى يصدر عنه هذه الأفعال من التغذية والتنمية والتوليد.

٣- فى تعليقه نسخة: من أن هذه الآثار ليست للجسمية بل لها مبدأ غير الجسمية.

فعلة بوساطة هذا الجسم، ويكون هذا الجسم جزءاً من جسم الحيوان، لكنه أول جزء يتعلق به المبدأ، وليس هو بما هو جسم إلا من جملة الموضوع. فتبين أن ذات النفس ليس بجسم، بل هو جزء للحيوان والنبات، هو صورة أو كالصورة أو كالكمال.

فنبول الآن: إن النفس يصح أن يقال لها بالقياس إلى ما يصدر عنها من الأفعال قوة^١.

وكذلك يجوز أن يقال لها بالقياس إلى ما يقبلها من^٢ الصور المحسوسة والمعقولة على معنى آخر قوة.

ويصح أن يقال أيضاً لها بالقياس إلى المادة التى تحملها فيجتمع منهما^٣ جوهر نباتى أو حيوانى صورة.

ويصح أن يقال لها أيضاً بالقياس إلى استكمال الجنس بها نوعاً محصلاً فى الأنواع العالية أو السافلة كمال، لأن طبيعة الجنس تكون ناقصة غير محدودة مالم تحصلها طبيعة الفصل البسيط^٤ أو غير البسيط^٥ منضافاً إليها؛ فإذا انضاف كمال النوع. فالفصل كمال النوع بما

١- لا القوة بالمعنى القابل للفعل، بل القوة بمعنى المبدأ للفعل.

٢- قوله -قدس سره-: «بالقياس إلى ما يقبلها» فان قابل الصور المحسوسة النفس الحيوانية، وقابل الصور المعقولة النفس المجردة وهو معنى آخر غير الأول. واعلم أن القول بقبول النفس غير مقبول فى الحكمة المتعالية لأنه مبنى على أن النفس تنفعل من صور المحسوسات والمعقولات، وأما الحكمة المتعالية فحكمة بأن النفس تنشئ الصور فى مرحلة، وأخرى على النحو الذى فوق الانشاء على ما هو مقرر فى محله ومعلوم لاهله.

٣- أى من النفس والمادة.

٤- وفى تعليقه نسخة: كالناطق بالنسبة إلى الحيوان.

٥- كالحساس والمتحرك بالإرادة بالنسبة إلى الحيوان.

هو نوع وليس لكل نوع فصل بسيط^١، قد علمت هذا، بل إنَّما هو للأنواع المركبة الذوات من مادة وصورة، والصورة منها هو الفصل البسيط لما هو كماله.

ثم كل صورة كمال^٢، وليس كل كمال صورة، فإن الملك كمال المدينة، والربان كمال السفينة، وليسا بصورتين للمدينة والسفينة، فما كان من الكمال مفارق الذات لم يكن بالحقيقة صورة للمادة وفي المادة. فإن الصورة التي هي في المادة هي الصورة المنطبعة فيها القائمة بها، اللهم إلا أن يصطلح فيقال لكمال النوع صورة النوع. وبالحقيقة فإنه قد استقر الاصطلاح على أن يكون الشيء بالقياس إلى المادة صورة، وبالقياس إلى الجملة غاية وكمالا، وبالقياس إلى التحريك مبدأ فاعليا وقوة محركة.

وإذا كان الأمر كذلك فالصورة تقتضى نسبة إلى شيء بعيد من ذات الجوهر^٣ الحاصل منها، وإلى شيء^٤ يكون الجوهر الحاصل هو ما

١- قوله: «وليس لكل نوع فصل بسيط» الفصل البسيط هو الفصل الاشتقاقي المنطقي وفي تعليقه نسخة من الشفاء في المقام ما افاد من قوله: «فيه دلالة على أن ما له فصل عقلي فله صورة خارجية، وإن الجنس والفصل يكونان للمركبات الخارجية من المادة والصورة وقد صرح بهذا في عدة مواضع من كتاب التعليقات» انتهى كلام ذلك المحقق.

٢- قوله -قدس سره-: «ثم كل صورة كمال» أقول هذا شروع في بيان امرين الأول منهما بيان ترجيح الكمال على الصورة في تعريف النفس. والثاني منهما بيان ترجيح الكمال على القوة في ذلك التعريف. وهذا يبين في قوله الآتي: «وأيضا إذا قلنا أن النفس كمال فهو أولى من أن نقول قوة».

٣- أي النوع.

٤- أي المادة.

هو به^١ بالقوة، وإلى شىء لاتنسب الأفاعيل إليه، وذلك الشىء^٢ هو المادة لأنها صورة باعتبار وجودها للمادة.

والكمال يقتضى نسبة إلى الشىء التام الذى عنه تصدر الأفاعيل لأنه كمال بحسب اعتباره للنوع^٣. فبين من هذا أنا إذا قلنا فى تعريف النفس إنها كمال^٤ كان أدل على معناها، وكان أيضا يتضمن جميع أنواع النفس من جميع وجوهها^٥، ولاتشذ النفس المفارقة للمادة عنه.

وأیضا إذا قلنا : إن النفس كمال فهو أولى من أن نقول : قوة، وذلك لأن الأمور الصادرة عن النفس منها ما هى من باب الحركة، ومنها ما هى من باب الإحساس والإدراك، والإدراك بالحرى أن يكون لها لا بما لها قوة هى مبدأ فعل، بل مبدأ قبول. والتحرك بالحرى أن يكون لها لا بما لها قوة هى مبدأ قبول، بل مبدأ فعل، وليس أن ينسب إليها أحد الأمرين بأنها قوة

١- متعلق بقوله : «يكون». والضمير راجع الى «الشىء».

٢- بيان للأشياء الثلاثة.

٣- قال الفخر فى المباحث المشرقية : «ان المقيس الى النوع اولى لان فى الدلالة على النوع دلالة على المادة لكونها جزءاً منه من غير عكس ولأن النوع اقرب الى الطبيعة الجنسية من المادة». المباحث المشرقية ج ٢ ص ٢٣٢.

٤- قوله : «انها كمال» قال العلامة الحلى فى شرح التجريد : «وقد عرفوا النفس بالكمال دون الصورة لان النفس الانسانية غير حالة فى البدن فليست صورة له وهى كمال له.» كشف المراد ص ١٨٢.

اقول : بيانه - قدس سره - على منشى المشاء تمام. وأما على مبنى الحكمة المتعالية الرصين فالنفس الحيوانية أيضا غير حالة. فراجع الفصل الثانى من الباب الثانى من نفس الاسفار (ج ٤ ص ٩ ط ١ = ج ٨ ص ٤٢ ط ٢) حيث يقول : فصل فى بيان تجرد النفس الحيوانية وعليه براهين كثيرة فتبصر.

٥- فى تعليقة نسخة : اى سواء كانت مجردة او منطبعة.

عليه أولى من الآخر . فإن قيل لها : قوة ، وعنى به الأمران جميعا كان ذلك باشتراك الاسم . وإن قيل : قوة ، واقتصر على أحد الوجهين ، عرض من ذلك ^١ ما قلنا .

وشىء آخر وهو أنه لا يتضمن الدلالة على ذات النفس من حيث هي نفس مطلقا ، بل من جهة ^٢ دون جهة . وقد بينا في الكتب المنطقية أن ذلك غير جيد ولا صواب .

ثم إذا قلنا : كمال ، اشتمل على المعنيين . فإن النفس من جهة القوة ^٣ التي يستكمل بها إدراك الحيوان كمال ، ومن جهة القوة التي تصدر عنها أفعال الحيوان أيضا كمال ، والنفس المفارقة كمال ، والنفس التي لا تفارق كمال .

لكننا إذا قلنا : كمال ، لم يعلم من ذلك بعد أنها جوهر ، أو أن ليست بجوهر لأن معنى الكمال هو الشىء الذي بوجوده يصير الحيوان بالفعل حيوانا والنبات بالفعل نباتا ، وهذا لا يفهم عنه بعد أن ذلك جوهر أو ليس بجوهر .

١- فى تعليقة نسخة : من عدم الاولوية .

٢- مثل الفعل أو الانفعال .

٣- قال شارح المقاصد : ان القوة لفظ مشترك بين مبدأ الفعل كالتحريك ومبدأ القبول والانفعال كالا حاساس وكلاهما معتبر فى النفس ، وفى الاقتصار على احدهما مع انه اخلال بما هو مدلول النفس استعمال للمشترك فى التعريف ، شرح المقاصد ج ٣ ص ٣٠٢ . قال الامام فلان القوة اسم لها من حيث انها مبدأ الافعال ، و الكمال اسم لها من هذه الجهة ومن حيث انها مكتملة للنوع وما يعرف الشىء من جميع جهاته أولى بما يعرفه من بعض جهاته ، فيظهر أن الكمال هو الذى يجب ان يوضع فى حد النفس مكان الجنس . راجع الاسفار الاربعة ج ٨ ص ٩ ط ٢ . والمباحث الشرقية ج ٢ ص ٢٣٣ .

لكننا نقول : إنه لاشك لنا فى ان هذا الشئ ليس بجوهر بالمعنى الذى يكون به الموضوع جوهرًا ، ولاأيضا بالمعنى الذى يكون به المركب جوهرًا . فاما جوهر بمعنى الصورة فلينظر فيه .

فإن قال قائل : إني أقول للنفس جوهر وأعنى به الصورة ، ولست أعنى به معنى أعم من الصورة ، بل معنى أنه جوهر معنى أنه صورة ، وهذا بما قاله خلق منهم^١ ، فلا يكون معه موضع بحث واختلاف البتة . فيكون معنى قوله : إن النفس جوهر ، أنها صورة ؛ بل يكون قوله : الصورة جوهر ، كقوله الصورة صورة أو هيئة والإنسان إنسان أو بشر ، ويكون هذيانا من الكلام .

وإن عنى بالصورة^٢ ما ليس فى موضوع البتة ، أى لا يوجد بوجه من الوجوه قائما فى الشئ الذى سميناه لك موضوعا البتة ، فلا يكون كل كمال جوهرًا . فإن كثيراً من الكمالات^٣ هى فى موضوع لا محالة ، وإن كان ذلك الكثير بالقياس إلى المركب ، ومن حيث كونه فيه ليس فى موضوع ، فإن كونه جزءاً منه لا يمتعه أن يكون فى موضوع ، وكونه فيه لا كالشئ فى الموضوع لا يجعله جوهرًا ، كما ظن بعضهم . لأنه لم يكن الجوهر ما لا يكون بالقياس إلى شئ على أنه فى موضوع حتى يكون الشئ من جهة ما ليس فى هذا الشئ على أنه فى موضوع جوهرًا ، بل

١- قوله : «خلق منهم» هذا الخلق هم القائلون بأن النفس الانسانية من الاجسام اللطيفة فضلا عن النفس الحيوانية والنباتية .

٢- فى تعليقة نسخة : أى على تقدير ان النفس جوهر بمعنى الصورة .

٣- فى تعليقة نسخة : كالسواد والكتابة وغيرهما فإنها كمالات اولية للمركب منها ومن الموضوع كالسواد للأسود بما هو اسود والكتابة للكاتب بما هو كاتب .

إنما يكون جوهرًا إذا لم يكن ولا في شيء من الأشياء على أنه في موضوع. وهذا المعنى لا يدفع كونه في شيء مّا موجودا لا في موضوع، فإن ذلك ليس له بالقياس إلى كل شيء، حتى إذا قيس إلى شيء يكون فيه لا كما يوجد الشيء في موضوع صار جوهرًا؛ وإن كان بالقياس إلى شيء آخر بحيث يكون عرضًا، بل هو اعتبار له في ذاته. فإن الشيء إذا تأملت ذاته ونظرت إليها فلم يوجد لها موضوع البتة كانت في نفسها جوهرًا، وإن وجدت في ألف شيء لا في موضوع بعد أن توجد في شيء واحد على نحو وجود الشيء في الموضوع فهي في نفسها عرض. وليس إذا لم يكن عرضًا في شيء فهو جوهر فيه، فيجوز أن يكون الشيء لا عرضًا في الشيء^١ ولا جوهرًا في الشيء، كما أن الشيء يجوز أن لا يكون واحدًا في شيء ولا كثيرًا^٢، لكنه في نفسه واحد أو كثير. وليس الجوهرى والجوهر واحدًا، ولا العرض بمعنى العرضى^٣ الذى فى إيساغوجى هو العرض الذى فى قاطيغورياس^٤. وقد بينا هذه الأشياء لك فى صناعة المنطق.

فبين أن النفس لا يزيل عرضيتها كونها فى المركب كجزء^٥، بل يجب

١- كالسواد بالنسبة الى الاسود.

٢- وفى تعلية نسخة: اى كما ان زيدا ليس واحداً فى السماء ولا كثيراً فيها وان كان فى نفسه وحيزه واحداً.

٣- اى العرض العام والخاص من الكلّيات الخمس.

٤- وفى تعلية نسخة: اى المقولات العشر كإخال فى الموضوع مثل المشى والضحك.

٥- قال فى الاسفار: «فعلم ان كون النفس كملاً للجسم والجسم جوهر او كونها جزءاً للمركب لا عرضاً قائماً بالمركب لا يستلزم جوهريتها بل يحتمل ان يكون نفس ماقائمة بالموضوع وهى مع ذلك يكون جزءاً للمركب. ويحتمل ان لا يكون فى موضوع فيكون

ان تكون في نفسها لا في موضوع البتة، وقد علمت ما الموضوع .
 فإن كان كل نفس موجودة لافى موضوع، فكل نفس جوهر، وإن
 كانت نفس مّا قائمة بذاتها والبراقى كل واحد منها فى هيولى وليست فى
 موضوع فكل نفس جوهر، وإن كانت نفس مّا قائمة فى موضوع وهى مع
 ذلك جزء من المركب فهى عرض، وجميع هذا كمال . فلم يتبين لنا بعد
 ان النفس جوهر أو ليست بجوهر من وضعنا أنها كمال . وغلط من ظن
 ان هذا يكفيه فى ان يجعلها جوهرًا كالصورة .

فنقول : إنا إذا عرفنا ان النفس كمال باى بيان و تفصيل فصلنا
 الكمال، لم يكن بعد عرفنا النفس وماهيتها، بل عرفناها من حيث هى
 نفس ؛ واسم النفس ليس يقع عليها من حيث جوهرها، بل من حيث هى
 مدبرة للأبدان ومقبسة إليها . فلذلك يؤخذ البدن فى حدها، كما يؤخذ
 مثلاً البناء فى حد البانى، وإن كان لا يؤخذ فى حده من حيث هو إنسان .
 ولذلك صار النظر فى النفس من العلم الطبيعى، لان النظر فى النفس من
 حيث هى نفس نظر فيها من حيث لها علاقة بالمادة والحركة، بل يجب أن
 نفرد لتعرفنا ذات النفس بحثاً آخر . ولو كنّا عرفنا بهذا ذات النفس، لما
 أشكل علينا وقوعها فى أى مقولة تقع فيها . فإن من عرف وفهم ذات
 الشئ فعرض على نفسه طبيعة أمر ذاتى له لم يشكل عليه وجوده له،
 كما أوضحناه فى المنطق .

لكن الكمال على وجهين : كمال أول، وكمال ثان . فالكمال الاول

هو الذى يصير به النوع نوعا بالفعل كالشكل للسيف . والكمال الثانى هو أمر من الأمور التى تتبع وجود نوع الشيء من أفعاله وانفعالاته ، كالقطع للسيف ، وكالتمييز والروية والإحساس والحركة للإنسان . فإن هذه كمالات لامحالة للنوع ، لكن ليست أولية ، فإنه ليس يحتاج النوع فى أن يصير هو ما هو بالفعل إلى حصول هذه الأشياء له بالفعل ، بل إذا حصل له مبدأ هذه الأشياء بالفعل حتى صار له هذه الأشياء بالقوة بعد ما لم تكن بالقوة إلا بقوة بعيدة تحتاج إلى أن يحصل قبلها شيء حتى تصير بالحقيقة بالقوة صار حينئذ الحيوان حيوانا بالفعل . فالنفس كمال أول .

ولأن الكمال كمال للشيء ، فالنفس كمال الشيء ، وهذا الشيء هو الجسم ، ويجب أن يؤخذ الجسم بالمعنى الجنسى^١ لا بالمعنى المادى^٢ ، كما علمت فى صناعة البرهان . وليس هذا الجسم الذى النفس كماله كل جسم ، فإنها ليست كمال الجسم الصناعى كالسرير والكرسى وغيرهما ، بل كمال الجسم الطبيعى . ولاكل جسم طبيعى ، فليست النفس كمال نار ولا أرض ولا هواء ، بل هى فى عالمنا كمال جسم طبيعى تصدر عنه كمالاته الثانية بآلات يستعين بها فى أفعال الحياة التى أولها التغذية والنمو . فالنفس التى نحدّها هى كمال أول الجسم الطبيعى آلى له أن يفعل أفعال الحياة .

لكنه قد يتشكك فى هذا الموضوع بأشياء ، من ذلك أن لقائل أن يقول : إن هذا الحد لا يتناول النفس الفلكية فإنها تفعل بلا آلات . وإن تركتم ذكر الآلات واقتصرتم على ذكر الحياة لم يغنكم ذلك شيئا ، فإن

١- أى لا بشرط .

٢- أى بشرط لا .

الحياة التى لها ليس هو التغذية والنمو، ولا أيضا الحس . وأنتم تعنون بالحياة التى فى الحد هذا، وإن عنيتم بالحياة ما للنفس الفلكية من الإدراك مثلا والتصور العقلى أو التحريك لغاية إرادية، أخرجتم النبات من جملة ما يكون له نفس . وأيضا إن كان التغذية حياة فلم لائسمون النبات حيوانا .

وأيضا لقائل أن يقول : ما الذى أحوجكم إلى أن تثبتوا نفسا ولم لم يكفكم أن تقولوا : إن الحياة نفسها هى هذا الكمال فتكون الحياة هى المعنى الذى يصدر عنه ماتنسبون صدوره إلى النفس .

فلنشرع فى جواب واحد واحد من ذلك وحله ، فنقول : أما الأجسام السماوية فإن فيها مذهبين : مذهب من يرى أن كل كوكب يجتمع منه ومن عدة كرات قد دُبرّت بحركته جملةً جسم كحيوان واحد ، فتكون حيثئذ كل واحدة من الكرات يتم فعلها بعدة أجزاء ذوات حركات ، فتكون هى كالألات . وهذا القول لا يستمر فى كل الكرات ^١ . ومذهب من يرى أن كل كرة فلها فى نفسها حياة مفردة ، وخصوصا ويرى جسما تاسعا ، ذلك الجسم واحد بالفعل لاكثره فيه . فهؤلاء يجب أن يروا أن اسم النفس إذا وقع على النفس الفلكية وعلى النفس النباتية فإنما يقع بالاشتراك ^٢ ، وأن هذا الحد إنما هو للنفس الموجودة للمركبات ، وإنه إذا احتيل حتى تشترك الحيوانات ^٣ والفلك فى معنى اسم النفس ، خرج

١- وفى تعليقة : بل فى غير الفلك الاطلس .

٢- أى اللفظى .

٣- وفى تعليقة نسخة : وإنما خصّها بالذكر لوجود الحد المشترك بين النفس الفلكية والحيوانية وهو مبدأ فعل ما بالقصد والنبات لا قصد له .

معنى النبات من تلك الجملة . على أن هذه الحيلة صعبة ، وذلك لأن الحيوانات والفلك لا تشترك فى معنى اسم الحياة ولا فى معنى اسم النطق أيضا لأن النطق الذى هاهنا يقع على وجود نفس لها العقلان الهيولانيان^١ ، وليس هذا مما يصح هناك على ما يرى . فإن العقل هناك عقل بالفعل ، والعقل بالفعل غير مقوم للنفس الكائنة جزء حد للناطق^٢ . وكذلك الحس هاهنا يقع على القوة التى تدرك بها المحسوسات على سبيل قبول أمثلتها والانفعال منها ، وليس هذا أيضا مما يصح هناك على ما يرى . ثم إن اجتهد فجعل النفس كمالا أول لما هو متحرك بالإرادة ومدرَك من الأجسام حتى تدخل فيه الحيوانات والنفس الفلكية ، خرج النبات من تلك الجملة . وهذا هو القول المحصل .

وأما أمر الحياة والنفس فحل الشك فى ذلك على ما نقول له : إنه قد صح أن الأجسام يجب أن يكون فيها مبدأ للأحوال المعلومة المنسوبة إلى الحياة بالفعل . فإن سَمِيَ مَسْمُوماً هذا المبدأ حياة لم تكن معه مناقشة .

وأما المفهوم عند الجمهور من لفظة الحياة المقولة على الحيوان فهو أمران : أحدهما كون النوع موجوداً فيه مبدأ تصدر تلك الأحوال عنه ، أو كون الجسم بحيث يصح صدور تلك الأفعال عنه . فاما الأول فمعلوم أنه ليس معنى النفس بوجه من الوجوه^٣ . وأما الثانى فيدل على معنى أيضا

١- أى العقل الهولانى والعقل بالملكة .

٢- وفى تعليقة نسخة : يعنى ان النفس التى هى جزء من حد الناطق فى قولنا الناطق نفس ذات نطق ليس مقومها العقل بالفعل بل القدر المشترك بينه وبين العقل بالقوة والا لم يكن الانسان ناطقاً فى مرتبة العقل الهولانى .

٣- وفى تعليقة نسخة : لانه ليس المفهوم من كون الجسم ذا مبدأ هو المفهوم من ذلك المبدأ .

غير معنى النفس .

وذلك لأن كون الشيء بحيث يصح أن يصدر عنه شيء أو يوصف بصفة يكون على وجهين: أحدهما أن يكون فى الوجود شيء غير ذلك الكون نفسه يصدر عنه ما يصدر مثل كون السفينة، بحيث تصدر عنه المنافع السفينية . وذلك مما يحتاج إلى الربان حتى يكون هذا الكون، والربان وهذا الكون ليس شيئاً واحداً بالموضوع . والثانى أن لا يكون شيء غير هذا الكون فى الموضوع مثل كون الجسم بحيث يصدر عنه الإحراق عند من يجعل نفس هذا الكون الحرارة، حتى يكون وجود الحرارة فى الجسم هو وجود هذا الكون، وكذلك وجود النفس وجود هذا الكون^١ على ظاهر الأمر .

إلا أن ذلك فى النفس لا يستقيم، فليس المفهوم من هذا الكون ومن النفس شيئاً واحداً، وكيف لا يكون كذلك والمفهوم من الكون الموصوف لا يمنع أن يسبقه بالذات كمال ومبدأ، ثم للجسم هذا الكون . والمفهوم من الكمال الأول الذى رسمناه يمنع أن يسبقه بالذات كمال آخر، لأن الكمال الأول ليس له مبدأ وكمال أول فليس إذن المفهوم من الحياة والنفس واحداً إذا عينا بالحياة ما يفهم الجمهور وإن عينا بالحياة أن تكون لفظة مرادفة للنفس فى الدلالة على الكمال الأول لم نناقش، وتكون الحياة اسماً لما كنا وراء إثباته من هذا الكمال الأول .

فقد عرفنا الآن معنى الاسم الذى يقع على الشيء الذى سمي نفساً بإضافة له .

١- وفى تعلية: أى كون الجسم بحيث يصدر عنه تلك الافعال .

فبالحرى أن نشغل بإدراك ماهية هذا الشيء الذى صار بالاعتبار المقول نفساً^١.

ويجب أن نشير فى هذا الموضع إلى إثبات وجود النفس التى لنا إثباتاً على سبيل التنبيه والتذكير إشارة شديدة الموقع عند من له قوة على ملاحظة الحق نفسه من غير احتياج إلى تشقيفه^٢ وقرع^٣ عصاه وصرفه عن المغلطات.

فنقول: يجب أن يتوهم الواحد منا كأنه خلُق دفعة وخلق كاملاً، لكنه حُجب بصره عن مشاهدة الخارجات، وخلق يَهْوَى^٤ فى هواء أو خلاء هويّاً لا يصدمه فيه قوام الهواء صدماً ما يحوج إلى أن يحسّس، وفرق بين أعضائه^٥ فلم تتلاق ولم تتماس، ثم يتأمل أنه هل يُثبت وجود ذاته ولا يشك فى إثباته لذاته موجوداً ولا يثبت مع ذلك طرفاً من أعضائه ولا باطناً من أحشائه ولا قلباً ولا دماغاً ولا شيئاً من الأشياء من خارج.

١- وفى تعليقه. أى باعتبار اضافته الى البدن يقال له نفس.

٢- ثقّف ككرم وفرح: صار حاذقاً.

٣- قال الجوهري فى الصحاح: «وقولهم: «ان العصا قُرعت لذى الحلم»، أى انّ الحليم اذا بُهّ انتبه واصله انّ حَكَمًا من حكام العرب عاش حتّى أُهتر- أى صار خرفاً- فقال لا يثبت اذا انكرت من فهمى شيئاً عند الحكم فافرق لى المجنّ بالعصا لا رتدع» الصحاح ج ٤ ص ١٢٦١ مادة «قرع». وفى القاموس: «لما طعنَ عامرٌ فى السنّ أو بلغ ثلاثاً سنة انكر من عقله شيئاً فقال لبيه اذا رايتمنى خرجتُ من كلامى واخذت فى غيره فافرقوا لى المجنّ بالعصا» القاموس المحيط ج ٣ ص ٦٦ مادة «قرع».

٤- سيأتى هذا الدليل فى الفصل السابع من المقالة الخامسة من هذا الفن السادس.

٥- أى يسقط فى الهواء كأنه معلق فيه.

٦- وفى تعليقه: أى يكون منفردة الاعضاء بحيث لا تتلامس أعضائه.

فإن قيل : إنّ، المشعور به هو المزاج .

فالجواب : إنّ المزاج لا يُدرك الا بالانفعال والمنفعل عنه غير المنفعل^١ ، بل كان يُثبت ذاته ولا يُثبت لها طولا ولا عرضا ولا عمقا ، ولو أنه أمكنه فى تلك الحالة أن يتخيل يدا أو عضوا آخر لم يتخيله جزءاً من ذاته ولا شرطاً فى ذاته ، وأنت تعلم أن المثبت غير الذى لم يُثبت والمُقرُّ به غير الذى لم يُقرُّ به ، فإذاً للذات التى أثبت وجودها خاصية لها على أنها هو بعينه غير جسمه وأعضائه التى لم تُثبت ، فإذاً المتنبّه له سبيلٌ إلى أن يتنبه على وجود النفس بكونه شيئاً غير الجسم بل غير جسم ، وأنه عارف به مستشعر له ، فإن كان ذاهلاً عنه يحتاج إلى أن يقرع عصاه .

١- هذه الزيادة - من قوله : «فإن قيل» ... إلى قوله : «غير المنفعل» - توجد فى نسختين من الشفاء مخطوطتين عندنا . والشيخ يقول فى آخر الفصل الآتى : «واما الذين جعلوا النفس مزاجاً فقد علم بما سلف بطلان هذا القول» . ولم يسلف بطلانه الا فى هذا الموضع من هذه الزيادة .

الفصل الثانى

فى ذكر ما قاله القدماء فى النفس وجوهرها ونقضه

فنقول : قد اختلف الأوائل فى ذلك لأنهم اختلفوا فى المسالك إليه ، فمنهم من سلك إلى علم النفس من جهة الحركة ، ومنهم من سلك إليه من جهة الإدراك ، ومنهم من جمع بين المسلكين ، ومنهم من سلك طريق الحياة غير مفصلة^١ .

فمن سلك منهم جهة الحركة ، فقد كان تخيل عنده أن التحريك لا يصدر إلا عن محرك ، وأن المحرك الأول يكون لا محالة متحركاً بذاته^٢ ، وكانت النفس محركاً أولية ، إليها يتراقى التحريك من الأعضاء والعصل والأعصاب ، فجعل النفس متحركة لذاتها ، وجعلها لذلك جوهرًا غير مائت ، معتقداً أن ما يتحرك لذاته لا يجوز أن يموت . قال : ولذلك ما ، كانت الأجسام السماوية ليست تفسد والسبب فيه دوام حركتها .

فمنهم من منع أن تكون النفس جسماً فجعلها جوهرًا غير جسم متحركاً لذاته ومنهم من جعلها جسماً وطلب الجسم المتحرك بذاته .

١- أى ملخصة .

٢- فى تعليقه نسخة : لانه ظن ان المحرك يجوز ان يتحرك وان لم يتحرك لايجوز ان يحرك .

فمنهم من جعل ماكان من الأجرام^١ التى لاتتجزأ كُرياً ليسهل دوام حركته ، وزعم أن الحيوان يستنشق ذلك بالتنفس ، وأن التنفس غذاء للنفس ، وأن النفس تستبقى به النفس بإدخال بدل مايخرج من ذلك الجنس من الهباء التى هى الأجرام التى لاتتجزأ التى هى المبادئ وأنها متحركة بذاتها ، كما يرى من حركة الهباء دائماً فى الجو ، فلذلك صلحت لأن تُحرك غيرها .

ومنهم من قال : إنها ليست هى النفس ، بل إن محركها هو النفس وهى فيها ، وتدخل البدن بدخولها .

ومنهم من جعل النفس ناراً ورأى أن النار دائمة الحركة .

وأما من سلك طريق الإدراك :

فمنهم من رأى أن الشئ إنما يدرك ما سواه لأنه متقدم عليه ومبدأ له^٢ ، فوجب أن تكون النفس^٣ مبدأ ، فجعلها من الجنس الذى كان يراه المبدأ : إما نارا ، أو هواء ، أو أرضا ، أو ماء . ومال بعضهم إلى القول بالماء لشدة رطوبة النطفة التى هى مبدأ التكون وبعضهم جعلها جسما بخاريا ، إذ كان يرى أن البخار مبدأ الأشياء على حسب المذاهب التى عرفتها^٤ ، وكل هؤلاء كان يقول : إن النفس إنما تعرف الأشياء كلها لأنها من جوهر المبدأ لجميعها . وكذلك من رأى أن المبادئ هى الاعداد ، فإنه

١- أى الاجزاء الصغار الصلبة .

٢- أى علة له .

٣- لكونها مدركة .

٤- الفصل الثانى من الفن الثالث من هذا الكتاب ص ١٨٨ من الطبعة الحجرية فى اقتصاص المذاهب . والثالث منه ص ١٩١ فى نقضها والبحث عن مذهب البخار فى ص ١٨٩ ونقضه فى ص ١٩٢ فراجع .

جعل النفس عدداً .

ومنهم من رأى أن الشيء إنما يُدرك ما هو شبيهه وأن المدرك بالفعل شبيه المدرك بالفعل فجعل النفس مركبة^١ من الأشياء التي يراها عناصر^٢، وهذا هو قول انبازقلس، فإنه قد جعل النفس مركبة من العناصر الاربعة ومن الغلبة والمحبة^٣، وقال: إنما تدرك النفس كل شيء شبهه فيها .

وأما الذين جمعوا الأمرين فكالذين قالوا: إن النفس عدد متحرك لذاته، فهي عدد لأنها مدركة^٤ وهي متحركة لذاتها، لأنها محركة أولية .

وأما الذين اعتبروا أمر الحياة^٥ غير ملخص :

١- لان مدركات النفس مركبة منها

٢- فى تعليقه نسخة : اى يعتقدها اصولاً للكون والبقاء فى العالم فيشمل الغلبة والمحبة فالكون منوط بالعناصر الاربعة والبقاء وبدفع المنافر وجذب الملائم وهما منوطان بالغلبة والمحبة فتدبر .

٣- قوله : من الغلبة والمحبة، المحبة بمعنى الباعثة للتركيب . والغلبة بمعنى الحافظة للتركيب كما فى تعليقه مخطوطة من الاسفار (ج ٤ ص ٥٩) عندنا . وقال المثاله السبزوارى فى تعليقه على الاسفار فى المقام ما هذا لفظه : اى يتخذها اصولاً للكون والبقاء فى العالم فيشمل الغلبة والمحبة فالكون منوط بالعناصر الاربعة والبقاء بدفع المنافر وجذب الملائم وهما منوطان بالغلبة والمحبة . وقد مضى الكلام فى المحبة والغلبة فى الفصل الخامس من الفن الثالث ص ١٩٨ .

وفى تعليقه نسخة : من الغلبة والمحبة اى من الغضب والشهوة كذا قال المحقق اللاهيجى .

٤- وفى تعليقه نسخة : اى النفس مدركة وكل مدرك يجب أن يكون مبداً للمدركة والمبدأ هو العدد، فيجب أن يكون النفس عدداً .

٥- وفى تعليقه نسخة : اى هو لاء لما وصلوا الى معرفة النفس من مسلك الحياة فجعلوها من سنخ الحياة ومقوماتها ولوازمها ومعداتنا وتمداتها .

فمنهم من قال : إن النفس حرارة غريزية لأن الحياة بها .
ومنهم من قال بل برودة وأن النفس مشتقة من النفس والنفس هو
الشيء المبرد ولهذا ما ، يتبرد بالاستنشاق ليحفظ جوهر النفس .
ومنهم من قال بل النفس هو الدم ؛ لأنه إذا سُفِح الدم بطلت الحياة .
ومنهم من قال بل النفس مزاج لأن المزاج ما دام ثابتا لم تتغير صحة
الحياة .

ومنهم من قال بل النفس تأليف ونسبة بين العناصر وذلك لأننا نعلم أن
تأليفا ما يحتاج إليه حتى يُكوّن من العناصر حيوان ، ولأن النفس تأليف
فلذلك تميل إلى المؤلفات من النعم والارايح والطعوم وتلتذ بها .
ومن الناس من ظن أن النفس هو الإله - تعالى عما يقوله الملحدون -
وأنه يكون فى كل شيء بحسبه فيكون فى شيء طبعاً وفى شيء نفساً
وفى شيء عقلاً سبحانه وتعالى عما يشركون .
فهذه هى المذاهب المنسوبة إلى القدماء الأقدمين فى أمر النفس ،
وكلها باطلة .

فأما الذين تعلقوا بالحركة فأول ما يلزمهم من المحال أنهم نسوا

١- قال صدر المتألهين فى الاسفار - بعد نقل هذه الأقول - : « أقول : نقض ظواهر هذه
الأقوال وإبطالها فى غاية السهولة بعد أن ثبت أن النفس جوهر مفارق الذات عن
الاجسام ، وكل من له أدنى بضاعة فى الحكمة يعلم أن النفس جوهر شريف ليس من
نوع الاجسام الدنية كالنار والهواء والماء والأرض ولا من باب النسب والتأليفات . كيف
يذهب على الحكماء السابقين كانبأذ قلنس وغيره أن يجهلوا ما يعلم من له أدنى معرفة
فى علم النفس وأحوالها فان التأويل والتعديل لكلامهم أولى من النقض والجرح » .
فشرع فى التأويل ومن أراد الإطلاع على التأويلات فليرجع الى الاسفار ج ٤ ص ٥٩
ط ١ = ٨ ص ٢٤٤ ط ٢ .

السكون^١، فإن كانت النفس تحرك بأن تتحرك فكان لامحالة تحركها علةً للتحريك، فلم يخل تسكينها إما أن يصدر عنها وهى متحركة بحالتها فتكون نسبة تحركها بذاتها إلى التسكين والتحريك واحدة. فلم يمكن أن يقال: إنها تحرك بأن تتحرك^٢، وقد فرضوا ذلك. أو يصدر عنها وقد سكنت، فلا تكون متحركة بذاتها.

وايضا فقد عرفت مما سلف أنه لامتحرك إلا من محرك وأنه ليس شئ متحركا من ذاته فلا تكون النفس شيئا متحركا من ذاته.

وايضا فإن هذه الحركة لا يخلو إما أن تكون مكانية أو كمية أو كيفية أو غير ذلك^٣. فإن كانت مكانية فلا يخلو إما أن تكون طبيعية أو قسرية أو نفسانية، فإن كانت طبيعية فتكون إلى جهة واحدة لامحالة، فيكون تحريك النفس إلى جهة واحدة فقط. وإن كانت قسرية فلا تكون متحركة بذاتها، ولا يكون أيضا تحريكها بذاتها، بل الأولى أن يكون القاسر هو المبدأ الأول وأن يكون هو النفس. وإن كانت نفسانية فالنفس قبل النفس^٤ وتكون لامحالة بإرادة فتكون إما

١- قوله: انهم نسوا السكون، هكذا في جميع النسخ المخطوطة عندنا وبعضها مصححة بالعرض والمقابلة والقراءة غاية الاتقان. ونسوا من: «ن-س-ي» ناقص يائي. إلا أن صدر المتألهين نقل عبارة الشيخ في الاسفار (ج ٤ ص ٦٢ ط ١ = ص ٢٥٥ ج ٨ ط ٢) هكذا: «انهم نسبوا السكون الى النفس» بالباء وزيادة «الى النفس»، ونسخ الاسفار التي عندنا متفقة ايضاً في ذلك. والظاهر بل المتيقن أن عبارة الاسفار محرقة فتدبر.

٢- وفي تعليقه نسخة: فكونها علة للحركة لا يكون علة لكونها متحركة، ويصلح ان يقال ان النفس تسكن فيجب ان تكون ساكنة.

٣- أى وضعية.

٤- لأن المحرك قبل المتحرك.

واحدة لا تختلف، فيكون تحريكها على تلك الجهة الواحدة، أو تكون مختلفة فتكون بينها كما علمت سكونات لامحالة، فلا تكون متحركة لذاتها.

وأما الحركة من جهة الكم فأبعد شيء من النفس، ثم لا يكون شيء متحركاً من جهة الكم بذاته، بل لدخول^١ داخل عليه أو استحالة في ذاته.

وأما الحركة على سبيل الاستحالة فلإما أن تكون حركة في كونها نفساً^٢ فتكون النفس إذا حركت لا تكون نفساً، وإما حركة في عرض من الأعراض لافي كونها نفساً، فأول ذلك أن لا يكون تحريكها، من نحو تحريكها، بل تكون ساكنة في المكان حين تتحرك في المكان. والثاني أن الاستحالة في الأعراض غايتها حصول ذلك العرض، وإذا حصل فقد وقفت الاستحالة.

وأيضاً فقد تبين لك أن النفس لا ينبغي أن تكون جسماً والمحرك الذي

١- فإن كان بدخول الداخل فهي الحركة الاغذائية أو السمن وإن كان بالاستحالة فهي الحركة التخليلية أو التكايفية وإن كان بخروج شيء فهي الذبولية والهزالية.

٢- أقول: العبارة منقولة في الاسفار (ص ٦٣ من ج ٤ ط ١ = ص ٢٥٦ ج ٨ ط ٢) هكذا: «عن كونها نفساً»- أي جاءت كلمة عن مكان في- ونسخ الاسفار من المخطوطات والمطبوعات المصححة جداً عندنا كلها متفقة في ذلك وأما نسخ الشفاء التي عندنا فهي مطبقة على في. وبعضها مصحح غاية التصحيح بالقراءة والمقابلة والإجازة. كما أن بعض نسخ اسفارنا أيضاً كذلك. إلا أن واحدة من نسخة الشفاء جعلت كلمة عن اصلاً وفي فوقها كلمة في نسخة بدلا عنها. وعبارة الكتاب على كلمة عن ظاهرة المعنى ولا غبار عليها. وأما معناها على كلمة في فهو أن النفس إذا حركت في كونها نفساً الخ فمعناه أنها لم تكن قبل الحركة نفساً. وإن لم تخل عن تكلف فتبصر.

يحرك فى المكان بأن يتحرك نحو ما يحرك فهو جسم لامحالة فلو كان للنفس الحركة والانتقال لكان يجوز أن تفارق بدنا ثم تعود إليه . وهؤلاء يجعلون مثل النفس مثل زبيق يجعل فى بعض الأجسام ، فإذا ترجرج تحرك ذلك الجسم ويدفعون أن تكون الحركة حركة اختيارية .

وأىضا فقد علمت أن القول بالهباء 'هذر' باطل ، وعلمت أيضا أن القول بوحدة المبدأ الأسطقسى جزاف .

ثم من المحال ما قالوه من أن الشئ يجب أن يكون مبدأ حتى يعلم ما وراءه ، فإننا نعلم وندرك بأنفسنا أشياء لسنا بمبادئ لها .

وأما إثبات ذلك من طريق من ظن أن المبدأ أحد الأسطقسات ، فهو أنا نعلم أشياء ليست الأسطقسات بوجه من الوجوه مبدأ لها ، ولا هى مبدأ للأسطقسات وهو أن كل شئ إما أن يكون حاصلًا فى الوجود وإما أن لا يكون ، وأن الأشياء المساوية لشئ واحد متساوية . فهذه الأشياء لا يجوز أن يقال : إن النار والماء وغير ذلك مبادئ لها فنعلمها بها ، ولا بالعكس .

وأىضا إما أن تكون معرفة النفس بما هى مبدأ له إنما تتناول عين ذلك المبدأ ، أو تتناول الأشياء التى تحدث عن المبدأ وليست هى المبدأ ، أو تكون بكليةهما . فإن كانت إنما تتناول ذلك المبدأ أو تتناول كليهما ، وكان العالم بالشئ يجب أن يكون مبدأ له فتكون النفس أيضا مبدأ للمبدأ وإىضا مبدأ لذاتها ، لأنها تعلم ذاتها ، وإن كانت ليس تعلم المبدأ ، ولكن تعلم

١- بالهباءات باطل كما فى اكثر النسخ ، بالهباءات هذر باطل بالذال المعجمة كما فى بعضها . والهباء : الاجزاء التى لاتجزأ .

الاحوال والتغيرات التي تلحقه. فمن الذى يحكم^١ بأن الماء والنار أو أحد هذه مبدأ.

وأما الذين جعلوا الإدراك بالعديّة فقالوا لأن المبدأ لكل شيء عدد، بل قالوا ماهية كل شيء عدد، وحدة عدد، وهؤلاء وإن كنا قد دللنا على بطلان رأيهم في المبدأ في موضع آخر، وسندلّ في صناعة الفلسفة الأولى^٢ أيضاً على استحالة رأيهم هذا وما أشبهه، فإن مذهبهم هاهنا نزيّفه من حيث النظر الخاص بالنفس، وذلك بأن ننظر ونتأمل هل النفس إنما تكون نفساً بأنها عدد معين كأربعة أو خمسة، أو بأنها مثلاً زوج أو فرد أو شيء أعم من عدد معين.

فإن كانت النفس إنما هي ماهي بأنها عدد معين، فما يقولون في الحيوان المحرّز^٣ الذى إذا قطع تحرك كل جزء منه وأحسن، وإذا أحسن فلا محالة هناك تخيل ما^٤، وكذلك كل جزء منه يأخذ في الهرب إلى جهة وتلك الحركة من تخيل ما لا محالة. ومعلوم أن الجزئين يتحركان عن قوتين فيهما، وأن كل واحد منهما أقل من العدد الذى كان في الجملة، وإنما كان النفس عندهم العدد الذى في الجملة لا غير، فيكون هذان الجزءان يتحركان لا عن نفس وهذا محال، بل في كل واحد منهما نفس من نوع نفس الآخر، فنفس مثل هذا الحيوان واحدة بالفعل، متكررة

١- كما في جميع النسخ التي عندنا. وذلك لأن الحكم فرع ادراك الطرفين فإذا لم يدرك أحدهما فكيف يحكم على شيء بشيء.

٢- ج ٢ ص ٧٠ ط ١.

٣- المحرّز كمعظم: كل طائر على جناحيه غنمة أي نقش.

٤- أي فاعل بالقصد، إذ ليس عن طبع والّا لما اختلفت، ولا عن قسر لعدم القاسر فهو عن التخيّل والقصد.

بالقوة تكثرا إلى النفوس .

وإنما تفسد في الحيوان المخرز نفسه^١ ولا تفسد في النبات ، لأن النبات قد شاعت فيه الآلة الأولية لاستبقاء فعل النفس ولا كذلك في الحيوان المخرز ، بل بعض بدن الحيوان المخرز لا مبدأ فيه لاستبقاء المزاج الملائم للنفس . وفي بعضه الآخر ذلك المبدأ ، ولكنه يحتاج في استبقائه ذلك إلى صحبة من القسم الآخر ، فيكون بدنه متعلق الاجزاء بعضها ببعض في التعاون على حفظ المزاج .

فإن لم تكن النفس عددا بعينه ، بل كانت عددا له كيفية مآ وصورة فيشبه أن تكون في بدن واحد نفوس كثيرة . فإنك تعلم أن في كثير من الأزواج أزواجا وفي كثير من الأفراد أفرادا ، وفي كثير من المربعات مربعات ، وكذلك سائر الاعتبارات .

وأیضا فإن الوحدات المجتمعة في العدد إما أن يكون لها وضع^٢ ، أو لا يكون لها وضع ، فإن كان لها وضع فهي نقط ، وإن كانت نقطا فإما أن تكون نفسا لأنها عدة^٣ تلك النقط أو لا تكون كذلك ، بل لأنها قوة أو كيفية أو غير ذلك . لكنهم جعلوا الطبيعة النفسية مجرد عددية ، فيكون العدد الموجود للنقط طبيعة النفس ، فيكون كل جسم إذا فرض فيه ذلك العدد من النقط ذا نفس ، فكل جسم لك أن تفرض فيه كم نقطة شئت ، فيكون كل جسم من شأنه أن يصير ذا نفس لفرض النقط فيه .

١- بعد مهلة وفي بعضها بلامهلة فان بعض الحيوان يموت بلامهلة بعد الجزو القطع وفي بعضها يبقى قليلاً ثم يموت .

٢- في تعلیقة نسخة : ای قابل للإشارة الحسية .

٣- عدد ، نسخة .

وان كانت عددا لاوضع له ، وإنما هى^١ آحاد متفرقة ، فبماذا تفرقت^٢ وليس لها مواد مختلفة ولاقرن بها صفات أخر وفصول أخرى وإنما تتكثر الأشياء المتشابهة فى المواد المختلفة . فإن كان لها مواد مختلفة فهى ذوات وضع ولها أبدان شتى .

ثم فى الحالين^٣ جميعا كيف ارتبطت هذه الوحدات أو النقط معا ، لأنه إن كان ارتباطها بعضها ببعض والتئامها للطبيعة الوحيدة والنقطية ، فيجب أن تكون الوحدات والنقطات مُهْرَوكَة إلى الاجتماع من أى موضع كانت ، وإن كان لجامع فيها جَمْعٌ واحدة منها إلى الأخرى وضامٌ ضمٌ بعضها إلى بعض حتى ارتبطت وهو يحفظها مرتبطة ، فذلك الشئ أولى أن يكون نفسا .

وأما الذين قالوا إن النفس مركبة من المبادئ حتى يصح أن تعرف المبادئ وغير المبادئ بما فيها منها ، وإنه إنما يعرف كل شئ بشبهه فيه ، فقد يلزمهم أن تكون النفس لا تعرف الأشياء التى تحدث عن المبادئ مخالفة لطبيعتها . فإن الاجتماع قد يحدث هيئات فى المبادئ وصورا لاتوجد فيها مثل العظمية واللحمية والإنسانية والفرسية وغير ذلك ، فيجب أن تكون هذه الأشياء مجهولة للنفس ، إذ ليس فيها هذه الأشياء بل إنما فيها أجزاء المبادئ فقط ، فإن جعل فى تأليف النفس إنسانا و فرسا وفيلا ، كما فيه نار وأرض وغلبة ومحبة ، وقال إن فيها هذه الأشياء ، فقد ارتكب العظيم .

١ و٢- أى النفس .

٣- فى تعليقة نسخة : أى الوضع وعدم الوضع .

ثم إن كان فى النفس إنسان، ففى النفس نفس، ففيه مرة أخرى إنسان وفيل، ويذهب ذلك إلى غير النهاية^١. وقد يشنّع عليه من جهة أخرى هى أنه يجب على هذا الوضع أن يكون الله تعالى إما غير عالم بالأشياء وإما مركبا من الأشياء، وكلاهما كفر، ومع ذلك يجب أن يكون غير عالم بالغلبة، لأنه لاغلبة فيه. فإن الغلبة توجب التفريق والفساد فيما تكون فيه، فيكون الله تعالى غير تام العلم بالمبادئ، وهذا شنيع وكفر.

ثم يلزم من هذا أن تكون الأرض أيضا عالمة بالأرض؛ والماء بالماء، وأن تكون الأرض لا تعلم الماء، والماء لا يعلم الأرض، ويكون الحار عالما بالحار غير عالم بالبارد.

ويجب أن تكون الأعضاء التى فيها أرضية كثيرة شديدة الإحساس بالأرض وليست هى كذلك، بل هى غير حساسة بالأرض ولا غيرها، وذلك كالظفر والعظم. ولأن يفعل الشيء ويتأثر عن ضده، أولى من أن يتأثر عن شكله^٢. وأنت تعلم أن الإحساس تأثر مّا وانفعال مّا ويجب أن لا تكون هاهنا قوة واحدة تدرك الأضداد فيكون السواد والبياض ليس يدركان بحاسة واحدة، بل يدرك البياض بجزء من البصر هو أبيض، والسواد بجزء منه هو أسود، ولأن الألوان لها تركيبات بلانهاية، فيجب

١- فى تعليقة نسخة: قوله: «ويذهب الى غير النهاية» لان المفروض ان فى نفس الانسان يكون جميع الاشياء، ففى النفس يكون على هذا الفرض الانسان وللانسان الحاصل فى النفس ايضا نفس وفى هذه النفس ايضا انسان وله نفس وفى هذه النفس الثالثة ايضا جميع الاشياء ومن الاشياء الانسان فيحصل نفس رابعة وهكذا الى غير النهاية.

٢- أى عن مشاكله.

٣- الواو حالية، أى والحال يجب ان لا تكون على هذا الوضع هاهنا قوة ...

أن يكون قد أعدّ للبصر اجزاء بلانهاية مختلفة الألوان .
وإن كان لأحققة للوسائط ، وما هو إلا مزج الضدين بزيادة ونقصان
من غير اختلاف آخر ، فيجب أن يكون مدرك البياض يدرك البياض
صرفا ، ومدرك السواد يدرك السواد صرفا ، إذ لا يمكن أن يدرك غيره ،
فيجب أن لا تشكل علينا بسائط الممتزج ولا تخيل إلينا الوسائط التى
لا يظهر فيها بياض وسواد بالفعل .

وكذلك يجب أن يدرك المثلث بالمثلث ، والمربع بالمربع ، والمدور
بالمدور ، والأشكال الأخرى التى لانهاية لها ، والأعداد أيضا بأمثالها ،
فتكون فى الحاسة أشكال بلانهاية ، وهذا كله محال . وأنت تعلم أن
الشيء الواحد يكفى فى أن يكون عيارا للأضداد تعرف به ، كالمسطرة
المستقيمة يعرف بها المستقيم والمنحنى جميعا ، وأنه لا يجب أن يعلم كل
شيء بشيء خاص .

وأما الذين جعلوا النفس جسماً يتحرك بحركته المستديرة التى تتحرك
على الأشياء لتدرك بها الأشياء ، فنسوضح بعد فساد قولهم حين يتبين أن
الإدراك العقلى لا يجوز أن يكون بجسم .

وأما الذين جعلوا النفس مزاجا فقد علم مما سلف بطلان هذا القول^١
وعلى أنه ليس كل ما يفسد بفساده الحياة يكون نفسا ، فإن كثيرا من
الأشياء والأعضاء والأخلاط وغير ذلك بهذه الصفة . وليس بمنكر أن
يكون شيء^٢ لا بد منه حتى تكون للنفس علاقة بالبدن ، ولا يوجب ذلك

١- فقد علم فى آخر الفصل الاول ص ٢٧ من قوله : فان قيل المشعور به هو المزاج الخ .

٢- أى المزاج فى ما نحن فيه .

أن يكون ذلك الشيء نفسا .

وبهذا يعلم خطأ من ظن أن النفس دم ، فكيف يكون الدم محرّكا و حسّاسا .

والذى قال : إن النفس تأليف فقد جعل النفس نسبة معقولة بين الأشياء ، وكيف تكون النسبة بين الأضداد محرّكا ومدرّكا والتأليف يحتاج إلى مؤلف لامحالة ، فذلك المؤلف أولى أن يكون هو النفس . وهو الذى إذا فارق وجب انتقاض التأليف . ثم سيتضح فى خلال مانعرفه من أمر النفس بطلان جميع هذه الأقاويل بوجوه أخرى . فيجب الآن أن نكون نحن وراء طلب طبيعة النفس . وقد قيل فى مناقضة هذه الآراء أقاويل ليست بالواجبة ولا اللازمة وإنما تركناها لذلك .

الفصل الثالث

فى أن النفس داخلة فى مقولة الجوهر

فنتقول نحن إنك تعرف بما تقدم لك أن النفس ليست بجسم، فإن ثبت لك أن نفساً ما يصح لها الانفراد بقوام ذاتها، لم يقع لك شك فى أنها جوهر^١ وهذا إنما يثبت لك فى بعض ما يقال له نفس. وأما غيره مثل النفس النباتية والنفس الحيوانية، فإن ذلك لا يثبت لك فيه. لكن المادة^٢ القريبة لوجود هذه الأنفس^٣ فيها إنما هى ماهى بمزاج خاص وهيئة خاصة، وإنما تبقى بذلك المزاج الخاص بالفعل موجودا مادام فيها النفس. والنفس هى التى تجعلها بذلك المزاج، فإن النفس هى لامحالة علة لتكوّن النبات والحيوان على المزاج الذى لهما إذ كانت النفس هى مبدأ التوليد والتربية كما قلنا: فيكون الموضوع القريب للنفس مستحيلا أن يكون هو ما هو بالفعل إلا بالنفس، وتكون النفس علة لكونه كذلك.

١- فى أنها جوهر، نسخة.

٢- هذا بيان الاستدلال على كون النفوس الحيوانية والنباتية جوهرأ لا عرضأ.

٣- أى الأنفس التى لا تثبت لك أنها جوهر كالنباتية والحيوانية.

ولا يجوز أن يقال: إن الموضوع^١ القريب حصل على طباعه موجوداً لسبب غير النفس، ثم لحقته النفس لحقاً ما لا قسط له بعد ذلك في حفظه وتقويمه وتربيته، كالحال في أعراض يتبع وجودها وجود الموضوع لها اتباعاً ضرورياً، ولا تكون مقومة لموضوعها بالفعل. وأما النفس فإنها مقومة لموضوعها القريب موجدة إياه بالفعل، كما تعلم الحال في هذا إذا تكلمنا في الحيوان.

وأما الموضوع البعيد^٢ فبينه وبين النفس صور أخرى تقومه. وإذا فارقت النفس وجب ضرورة أن يكون فراقها يحدث لغالب^٣. صير الموضوع لحالة أخرى^٤، وأحدث فيه صورة جمادية، كالمقابلة للصورة المزاجية الموافقة للنفس ولتلك الصور^٥. فالمادة التي للنفس لا تبقى بعد النفس على نوعها البتة، بل إما أن يطل نوعها وجوهرها الذي به كان موضوعاً للنفس، أو تخلف النفس فيها صورة تستبقى المادة بالفعل على طبيعتها، فلا يكون ذلك الجسم الطبيعي كما كان، بل تكون له صورة وأعراض أخرى، ويكون أيضاً قد تبدل بعض أجزائها وفارق مع تغير الكل

١- أي البدن.

٢- في تعليقة نسخة: كما لمادة النسي.

٣- كناية عن جسم مباين للنفس وفي مجمع البحرين ج ٢ ص ١٣٤ مادة «غلب»: «الغلب الغلاظ يقال شجرة غلباً أي غليظة».

٤- فراقها يحدث بغالب صير الموضوع بحالة أخرى. كما في نسخة مصححة مقروءة عندنا. يعني أن يحدث من الأحداث وكلمة صير في «صير الموضوع» منصوب على المفعولية لقوله «يحدث». فهي مصدر لافعل. أي يحدث ذلك الفراق بغالب كمرض أو ضربة أو قطع صير الموضوع بحالة أخرى أي صيرورة الموضوع بحالة أخرى وسياق العبارة والمطلب يصدق هذه القراءة.

٥- في تعليقة نسخة: أي الصور التي بين الموضوع البعيد وبين النفس.

فى الجوهر ، فلاتكون هناك مادة محفوظة الذات بعد مفارقة النفس هى كانت موضوعة للنفس ، والآن هى موضوعة لغيرها . فإذاً ليس وجود النفس فى الجسم كوجود العرض فى الموضوع . فالنفس إذن جوهر لأنها صورة لا فى موضوع .

لكن لقائل أن يقول : لنسلم أن النفس النباتية هذه صورتها ، فإنها علة لقوام مادتها القريبة ؛ وأما النفس الحيوانية فيشبه أن تكون النباتية تقوم مادتها ثم تلزم هذه النفس الحيوانية إياها ، فتكون الحيوانية متحصلة الوجود فى مادة تقومت بذاتها ، وهى علة لقوام هذه التى حلتها أعنى الحيوانية ، فلاتكون الحيوانية لاقائمة فى موضوع .

فنعول فى جواب ذلك : إن النفس النباتية بما هى نفس نباتية لا يجب عنها إلا جسم متغذ مطلقا ، ولا النفس النباتية مطلقة لها وجود إلا وجود معنى جنسى ، وذلك فى الوهم فقط ؛ وأما الموجود فى الأعيان فهو أنواعها .

والذى يجب أن يقال : إن النفس النباتية سبب واحد وله شئ أيضا عام كلى غير محصل ، وهو الجسم المتغذى النامى المطلق الجنسى غير المنوع .

وأما الجسم ذو آلات الحس والتمييز والحركة الإرادية ، فليس مصدره عن النفس النباتية بما هى نفس نباتية ، بل بما ينضم إليها فصل آخر تصير به طبيعة أخرى ، ولا يكون ذلك إلا أن تصير نفسا حيوانية .
بل يجب أن نبتدىء فتزيد هذا شرحا .

فنقول : إن النفس النباتية .

إما أن يعنى به النفس النوعية التى تخص النبات دون الحيوان ، أو يعنى بها المعنى العام الذى يعم النفس النباتية والحيوانية من جهة مأتغذى وتؤلد وتُسمى ، فإن هذا قد يسمى نفساً نباتية ، وهذا مجاز من القول ، فإن النفس النباتية لا تكون إلا فى النبات ، ولكن المعنى الذى يعم نفس النبات والحيوان يكون فى الحيوانات كما يكون فى النبات ووجوده ، كما يوجد المعنى العام فى الأشياء .

وإما أن يعنى بها القوة من قوى النفس الحيوانية التى تصدر عنها أفعال التغذية والتربية والتوليد .

فإن عنى بها النفس النباتية التى هى بالقياس إلى النفس الفاعلة للغذاء نوعية ، فذلك يكون فى النبات لا غير ، ليس فى الحيوان .

وإن عنى بها المعنى العام فيجب أن ينسب إليها معنى عام لا معنى خاص ، فإن الصانع العام هو الذى ينسب إليه المصنوع العام ، والصانع النوعى كالنجار هو الذى ينسب إليه المصنوع النوعى ، والصانع المعين هو الذى ينسب إليه المصنوع المعين . فهذا شئ قد مر لك تحقيقه . فالذى ينسب إلى النفس النباتية العامة من أمر الجسم أنه نام عام ، وأما أنه نام بحيث أنه يصلح لقبول الحس أو لا يصلح فليس ينسب ذلك إلى النفس النباتية من حيث هى عامة ، ولا هذا المعنى يتبعه .

وأما القسم الثالث^١ فيستحيل أن يكون على ما يظن من أن القوة النباتية

١- وفى تعليقة نسخة : وهو الذى قال «وإما أن يعنى به القوة من قوى النفس الحيوانية التى تصدر عنها أفعال التغذية والتربية والتوليد» .

تأتى وحدها فتفعل بدنا حيوانيا ولو كان المنفرد بالتدبير تلك القوة لكانت تتمّ جسما نباتيا، وليس كذلك، بل إنما كانت تتمّ جسما حيوانيا بآلات الحس والحركة، فتكون هى قوة لنفس^١ لتلك النفس قوى أخرى. وهذه القوة من قواها تتصرف على المثال الذى يؤدى إلى استعداد الآلة للكمالات الثانية التى لتلك النفس التى هذه قوتها وتلك النفس هى الحيوانية.

ويتضح من بعد أن النفس واحدة، وأن هذه قوى تنبعث عنها فى الأعضاء، ويتأخر فعل بعضها ويتقدم بحسب^٢ استعداد الآلة. فالنفس التى لكل حيوان هى جامعة أسطقسات بدنه، ومؤلفتها ومركبتها على نحو يصلح معه أن يكون بدنا لها، وهى حافظة لهذا البدن على النظام الذى ينبغى، فلا تستولى عليه المغيرات الخارجة ما دامت النفس موجودة فيه ولولا ذلك لما بقيت على صحتها.

ولاستيلاء النفس عليها^٣ ما يعرض من قوة القوة النامية وضعفها عند استشعار النفس قضايا تكرهها أو تحبها كراهة ومحبة ليست ببدنية البتة، وذلك عندما يكون الوارد على النفس تصديقا مّا، وليس ذلك مما يؤثر فى البدن بما هو اعتقاد، بل يتبع ذلك الاعتقاد انفعال من سرور أو غم^٤،

١- قوله: فتكون هى قوة لنفس الخ، أى فتكون القوة النباتية قوة لنفس، يعنى بناء على الشق الثالث وهو أن يعنى بالنفس النباتية القوة من قوى النفس الحيوانية. فتكون النباتية قوة لنفس أى لنفس حيوانية لتلك النفس قوى أخرى وهذه القوة النباتية من قواها أيضاً، تتصرف تلك النفس على المثال الخ. وقوله التى هذه قوتها يعنى أن هذه القوة النباتية قوة تلك النفس الحيوانية.

٢- متعلق بقوله تنبعث.

٣- وفى تعليقه نسخة: أى على تلك القوة النباتية والحيوانية.

٤- كليات قانون- ص ١٩٥- ط ناصرى. فصل ٦ غلط ٣ اشارات.

وذلك أيضا من المدركات النفسانية، وليس مما يعرض للبدن بما هو بدن فيؤثر ذلك فى القوة النامية الغذائية حتى يحدث فيها من العارض الذى يعرض للنفس أولا - وليكن الفرح النطقى - شدة ونفاذاً فى فعلها، ومن العارض المضاد لذلك - وليكن الغم النطقى الذى لا ألم بدنى فيه - ضعفاً وعجزاً حتى يفسد فعلها، وربما انتقض المزاج به انتقاضاً .

وكل ذلك مما يقنعك فى أن النفس جامعة لقوى الإدراك واستعمال الغذاء، وهى واحدة لها، ليست هذه منفردة عن تلك^١.

فبين أن النفس هى مكملّة البدن الذى هى فيه، وحافظته على نظامه الذى الأولى به أن يتميز ويتفرق، إذ كل جزء من أجزاء البدن يستحق مكاناً آخر ويتسوجب مفارقة لقرينه، وإنما يحفظه على ما هو عليه شىء خارج عن طبيعته، وذلك الشىء هو النفس فى الحيوان.

فالنفس إذن كمال لموضوع، ذلك الموضوع يتقوم به، وهو أيضا مكمل النوع وصانعه، فإن الأشياء المختلفة الأنفس تصير بها مختلفة الأنواع، ويكون تغايرها بالنوع لابلشخص. فالنفس إذن ليست من الأعراض التى لا تختلف بها الأنواع، ولا يكون لها مدخل فى تقويم الموضوع. فالنفس إذن كمال كالجوهر لكالعرض، وليس يلزم هذا أن يكون مفارقاً أو غير مفارق. فإنه ليس كل جوهر بمفارق، فلا الهيولى بمفارقة ولا الصورة، وقد علمت أنت أن الامر كذلك، فلندل الآن دلالة ما مختصرة على قوى النفس وأفعالها ثم نتبعها بالاستقصاء.

١ - مفعول لقوله يحدث.

٢ - وفى تعليقه نسخة: أى ليست قوة التغذية منفردة عن قوة الإدراك.

الفصل الرابع

فى تبين أن اختلاف أفاعيل النفس لاختلاف قواها^١

نقول : إن للنفس أفعالا تختلف على وجوه :

فيختلف بعضها بالشدة والضعف ، وبعضها بالسرعة والبطء . فإن الظن اعتقاد مّا يخالف اليقين بالتأكيد والشدة ، والحدس يخالف التلقين التفكير (خ ل) بسرعة الفهم .

وقد تختلف أيضا بالعدم والملكة ، مثل أن الشك يخالف الرأى ، فإن الشك عدم اعتقاد من طرفى النقيض ، والرأى اعتقاد أحد طرفى النقيض ؛ ومثل التحريك والتسكين .

وقد تختلف بالنسبة إلى أمور متضادة مثل الإحساس بالأبيض والإحساس بالأسود وإدراك الحلو وإدراك المر .

وقد تختلف بالجنس مثل إدراك اللون وإدراك الطعم ، بل مثل الإدراك والتحريك .

وغرضنا الآن أن نعرف القوى التى تصدر عنها هذه الأفاعيل ،

١- راجع ص ١٢ ج ٤ من الاسفار و ص ٢٣٩ ج ٢ من المباحث المشرقية للفخر الرازى .

وأنه هل يجب أن تكون لكل نوع من الفعل قوة تخصه أو لا يجب ذلك .
فنقول : أما الأفعال المختلفة بالشدة والضعف فإن مبدأها
قوة واحدة ، لكنها تارة تكون أتم فعلا ، وتارة تكون أنقص فعلا . ولو
كان النقصان يقتضى أن تكون هناك للأنقص قوة غير القوة التى
للأتم ، لوجب أن يكون عدد القوى بحسب عدد مراتب النقصان
والزيادة التى لا تكاد تتناهى ، بل القوة الواحدة يعرض لها تارة أن
تفعل الفعل أشد وأضعف بحسب الاختيار ، وتارة بحسب مؤاتاة
الآلات ، وتارة بحسب عوائق^١ من خارج أن تكون أو لا تكون وأن تقل
أو تكثر .

فأما الفعل وعدمه فقد سلف لك فى الأقاويل الكلية أن مبدأ ذلك قوة
واحد .

وأما اختلاف أفعالها التى من باب الملكة بالجنس كالإدراك
والتحريك أو كإدراك وإدراك ، فذلك مما بالحرى أن يفحص عنه
فاحص^٢ ، فينظر مثلا هل القوى المدركة كلها قوة واحدة ، إلا أن لها
إدراكات ما بذاتها هى العقلية ، وإدراكات ما بآلات مختلفة بسبب
اختلاف الآلات . فإن كانت العقلية والحسية مثلا لقوتين ، فهل
الحسية كلها التى تتخيل من باطن والتى تدرك فى الظاهر لقوة واحدة ،
فإن كانت التى فى الباطن لقوة أو لقوى ، فهل التى فى الظاهر لقوة
واحدة تفعل فى آلات مختلفة أفعالا مختلفة . فإنه ليس بممتنع أن تكون
قوة واحدة تدرك أشياء مختلفة الأجناس والأنواع ، كما هو مشهور من

١- وفى تعليقة نسخة : أى العوائق فى الفعل والترك .

حال العقل عند العلماء ومشهور من حال الخيال عندهم، بل كما أن المحسوسات المشتركة^١ التى زعموا أنها العظم والعدد والحركة والسكون والشكل قد تُحسن بكل واحدة من الحواس أو بعدة منها وإن كانت بوساطة محسوس آخر.

ثم هل قوة التحريك هى قوة الإدراك، ولم لا يمكن ذلك. وهل قوة الشهوة بعينها هى قوة الغضب، فإذا صادفت اللذة انفعلت على نحو، وإن صادفت الأذى انفعلت على نحو آخر، بل هل الغاذية والنامية والمولدة شىء من هذه القوى، وإن لم تكن فهل هى قوة واحدة، حتى إذا كان الشىء لم يتم بصورة حرّكت الغذاء إلى أقطاره على هيئة وشكل، فإذا استكمل حرّكت ذلك التحريك بعينه. إلا أن الشكل قد تم فلا يحدث شكل آخر، والعظم قد بلغ مبلغاً لا تنفى القوة بأن تورد من الغذاء فيه أكثر مما يتحلل منه فتقف. وهناك يفصل من الغذاء فضل يصلح للتوليد لتنفذه إلى أعضاء التوليد، كما تنفذ الغذاء إليها لتغذوها به، لكنه يفصل عما

١- قوله المحسوسات المشتركة. سبائى كلامه فى ذلك فى آخر الفصل الثامن من المقالة الثالثة: فهذه هى المحسوسات التى تسمى مشتركة، إذ قد تشترك فيها عدة من الحواس الخ. وكذا فى الفصل الثانى عشر من الباب الثالث فى الابصار من المباحث المشرقية للفخر الرازى ص ٣١٩ ج ٢. فى المحسوسات المشتركة. والغرض فى عنوان البحث عن المحسوسات المشتركة أن العظم والعدد والحركة وإخواتها بما لا تكون من الملموسات والمذوقات والمشمومات والمسموعات والبصرات تشترك فى ادراكها الحواس الظاهرة أو تشترك فى ادراكها عدة من الحواس فلا تحتاج فى الاحساس إلى قوة أخرى كما توهم بعض الناس أنه لا بد من حس آخر غير هذه الخمسة لادراك تلك الأمور المحدودة فتبصر وارجع إلى الفصل الثانى عشر وهو الفصل الاخير من الباب الرابع من نفس الاسفار (ص ٤٩ ج ٤). وإلى ص ١٢٣ من نفس ارسطو.

تحتاج إليه أعضاء التوليد من الغذاء فضل يصلح لباب آخر، فتصرفه تلك القوة بعينها إليه، كما تفعل بفضول كثيرة من الأعضاء، ثم تعجز هذه القوة في آخر الحياة عن إيراد بدل ما يتحلل مساوياً لما يتحلل، فيكون ذبول. فلم تفرض قوة نامية ولا تفرض قوة مذبلّة، واختلاف الأفعال ليس يدل على اختلاف القوى، فإن القوة الواحدة بعينها تفعل الأضداد، بل القوة الواحدة تحرك بإرادات مختلفة حركات مختلفة، بل القوة الواحدة قد تفعل في مواد مختلفة أفاعيل مختلفة.

فهذه شكوك يجب أن يكون حلها مهيناً عندنا، حتى يمكننا أن ننقل ونثبت قوى النفس؛ وأن نثبت أن عددها كذا، وأن بعضها مخالف للبعض، فإن الحق عندنا هذا.

فنعول: أما أولاً، فإن القوة من حيث هي قوة بالذات وأولاً، هي قوة على أمراً ويستحيل أن تكون مبدأ لشيء آخر غيره، فأنه من حيث هو قوة عليه مبدأ له، فإن كان مبدأ لشيء آخر فليس هو من حيث هو مبدأ لذلك الأول في ذاته. فالقوى من حيث هي قوى إنما تكون مبادئ لأفعال معينة بالقصد الأول.

لكنه قد يجوز أن تكون القوة مبدأ لأفعال كثيرة بالقصد الثاني، بأن تكون تلك كالفروع، فلا تكون مبدأ لها أولاً، مثل أن الإبصار إنما هو قوة أولاً على إدراك الكيفية التي بها يكون الجسم بحيث إذا تَوَسَّطَ بين جسم قابل للضوء وبين المضيء لم يفعل المضيء فيه الإضاءة، وهذا هو اللون، واللون يكون بياضاً وسواداً.

وأيضاً القوة المتخيلة هى التى تستثبت صور الأمور المادية من حيث هى مادية مجردة عن المادة نوعاً من التجريد غير بالغ ، كما نذكره بعد . ثم يعرض أن يكون ذلك لونا أو طعماً أو عظماً أو صوتاً أو غير ذلك . والقوة العاقلة هى التى تستثبت صور الأمور من حيث هى برية عن المادة وعلائقها ، ثم يتفق أن يكون ذلك شكلاً ، ويتفق أن يكون عدداً .

وقد يجوز أن تكون القوة مُعدّة نحو فعل بعينه ، لكنها تحتاج إلى أمر آخر ينضم إليها حينئذ ، حتى يصير لها ما بالقوة حاصل بالفعْل ، فإن لم يكن ذلك الأمر لم تفعل ، فيكون مثل هذه القوة تارة مبدأ للفعْل بالفعْل وتارة غير مبدأ له بالفعْل ، بل بالقوة ، مثل القوة المحركة فإنها إذا صح الإجماع من القوة الشوقية بسبب داع من التخيل أو المعقول إلى التحريك حركت لا محالة ، فإن لم يصح لم تحرك .

وليس يصدر عن قوة محرّكة واحدة بألة واحدة إلا حركة واحدة ، إذ الحركات الكثيرة لكثرة آلات الحركة التى هى العَضَلُ فينا وفى كل عَضَلَةٍ قوة محرّكة جزئية لا تُحرّك إلا حركة بعينها .

وقد تكون القوة الواحدة أيضاً يختلف تأثيرها بحسب القوابل المختلفة أو الآلات المختلفة ، وهذا ظاهر .

فنقول الآن : إن أول أقسام أفعال النفس ثلاثة :

أفعال يشترك فيها الحيوان والنبات كال تغذية والتربية^١ والتوليد .

وأفعال تشترك فيها الحيوانات أكثرها أو جلّها ولا حظّ فيها للنبات مثل الإحساس والتخيل والحركة الإرادية .

وأفعال تختص بالناس مثل تعقل المعقولات^١ واستنباط الصنائع^٢ والروية في الكائنات والفرقة بين الجميل والقبيح .

فلو كانت القوى النفسانية واحدة وكانت الأفعال النباتية تصدر عن القوة التي تصدر عنها الحيوانية صدوراً أولياً لكان عدم الأجسام النباتية وأعضاء الحيوان التي تغذى ولا تحس مما هو صلب^٣ أو لين للإحساس إما أن يكون بسبب عدم القوة، أو بسبب أن المادة ليست تنفعل عنها . ومحال أن يقال : إن المادة ليست تنفعل عن الحر والبرد ولا تتأثر عنهما وعن الطعوم القوية والروائح القوية، فإنها تنفعل عنها، فبقى أن يكون ذلك بسبب عدم القوة الفعالة لذلك^٤، وقد وجدت القوة الغذائية، فإذاً القوتان مختلفتان .

وأيضاً فإن تحريك النفس لا يخلو إما أن يكون على سبيل نقل مطلق وكل جسم قابل للنقل مطلقاً، وإما أن يكون لنقل على سبيل قبض وبسط، وفي أجسامنا أعضاء هي أقبل لذلك^٥ من العضل وفيها حياة للتغذية، وليس يمكن تحريكها . فالسبب في ذلك ليس من جهتها^٦، بل من جهة فقدانها للقوة المحركة .

١- إشارة إلى القوة النظرية .

٢- إشارة إلى القوة العملية .

٣- في تعلية نسخة : كالمغاطم والرباطات التي تربط بين المفاصل . وللإحساس متعلق بقوله عدم الأجسام .

٤- في تعلية نسخة : أي للإحساس .

٥- حالة .

٦- أي للقبض أو البسط .

٧- أي من جهة تلك الأعضاء بل من جهة فقدان تلك الأعضاء للقوة المحركة .

وكذلك بعض الأعصاب تنفذ فيها قوة الحس فقط دون الحركة ، وبعض الأعصاب تنفذ فيها قوة الحركة ولا تتفاضل بشىء يعتد به ، بل قد يوجد ما يشاكل ما ينفذ فيه الحس ويزيد عليه فى الكيف وينقص ، وقد تنفذ فيه قوة الحركة ، وقد يوجد ما هو كذلك وليس تنفذ فيه قوة الحس . وكذلك يمكنك أن تعلم أن العين ليست دون اللسان فى أن تنفعل عن الطعوم المجاورة ، ولا تحس العين بالطعم من حيث هو مدوق ؛ لست أقول من حيث هو كيفية ولا بالصوت .

وأما القوة الإنسان فسنبين من أمرها أنها مبرئة الذات عن الانطباع فى المادة ، ونبين أن جميع الأفعال المنسوبة إلى الحيوان يحتاج فيها إلى آلة . فإذا الحواس والتخيلات لقوة أخرى مادية غير القوة المحركة وإن كانت تفيض عنها . وقوى الحركة أيضا متعلقة من وجه ، كما سنبين ، بقوى الحس والتخيل . فإذا فهمت هذا وما أعطيناك من الأصول سهل عليك أن تعرف فرقان ما بين القوى التى نحن فى ترتيبها وتعديدها ، وتعلم أن كل قوة لها فعل أولى فلا تشارك قوة أخرى لها فعل أولى مخالف لفعلها الأولى .

الفصل الخامس

فى تعديد قوى النفس^١ على سبيل التصنيف^٢

١- راجع ص ١١ ج ٤ من الاسفار وص ٣١ منه (= ج ٨ ص ٥٣ و ١٢٩ ط ٢)
٢- قوله: على سبيل التصنيف، لا يخفى عليك ان تلك القوى ليست اصنافاً على معنى الصنف الحقيقى ايضاً. ولذا عبر المحقق الطوسى فى شرحه على الاشارات بقوله فكانها اصناف، فالصنف بمعناه الاوسع من ذلك كالقسم والشان ونحوهما. وللمحقق آقا حسين الخوانسارى فى تعليقاته على الاشارات كلام آخر فى المقام وهو ان التصنيف بمعنى المصادرة والوضع، وان شئت تفصيل ذلك فارجع الى تعليقاته عليها.
وقال الشيخ فى الفصل العاشر من النمط الثالث من الاشارات: «واما نظير هذا التفصيل فى قوى النفس الانسانية على سبيل التصنيف فهو ان النفس الانسانية التى لها ان تعقل جوهر له قوى وكمالات». وقال المحقق الطوسى فى شرحه: «يريد ذكر القوى التى يختص الانسان بها وانما قال «على سبيل التصنيف» لان القوى الحيوانية المذكورة كانت متباينة بالذوات لكونها مبادئ افعال مختلفة فكان تفصيلها على سبيل التنوع وهذه غير متباينة بالذوات لكونها متعلقة بذات واحدة انما هى تختلف بحسب الاعتبار التى هى بالقياس الى تلك الذات عوارض فكانها اصناف» شرح الاشارات ج ٢ ص ٣٥١، ط دفتر نشر كتاب.

وقال بهمنيار فى التحصيل: «فصل فى تعديد القوى النفسانية على سبيل التصنيف ومعنى التصنيف هو مالا يتميز بالمقومات بل بالعوارض وهما فان النفوس الثلاث اصناف لا انواع للنفس الانسانية مثلاً. وقد بان ان النفس الانسانية تنقسم انقساماً ثلاثة: النفس النباتية، والنفس الحيوانية، والنفس الانسانية». وقال صدر المتالهيّن فى سفر النفس من الاسفار: «فصل فى الاشارة الى تعديد القوى النفسانية وما درونها على

لنعدّ الآن قوى النفس عدداً على سبيل الوضع^١، ثم لنشتغل ببيان حال كل قوة فنقول: القوى النفسانية تنقسم بالقسمة الأولى أقساماً ثلاثة:

أحدها النفس النباتية، وهى الكمال الأول لجسم طبيعى آلى من جهة مايتولد وينمى ويغذى، والغذاء جسم من شأنه أن يتشبه بطبيعة الجسم الذى قيل إنه غذاء له فيزيد فيه مقدار مايتحلل أو أكثر أو أقل.

والثانى النفس الحيوانية، وهى الكمال الأول لجسم طبيعى آلى من جهة مايدرك الجزئيات ويتحرك بالإرادة.

والثالث النفس الإنسانية، وهى كمال أول لجسم طبيعى آلى من جهة ماينسب إليه أنه يفعل الأفاعيل الكائنة بالاختيار الفكرى والاستنباط بالرأى، ومن جهة مايدرك الامور الكلية.

ولولا العادة لكان الأحسن أن يجعل كل أول شرط^٢ مذكوراً فى رسم الثانى إن أردنا أن نرسم النفس لا القوة النفسانية التى للنفس بحسب ذلك الفعل. فإن الكمال مأخوذ فى حد النفس لا فى حد قوى النفس. وأنت ستعلم الفرق بين النفس الحيوانية وبين قوة الإدراك والتحريك،

→ سبيل التصنيف ومعنى التصنيف هاهنا ان هذه القوى لا يتميز بعضها عن بعض بفصول ذاتية كما فى الانواع النباتية والحيوانية بل امتيازها بعوارض انسانية من تقدم بعضها على بعض واستخدام بعضها قبل بعض» اسفار ج ٤ ص ٣١ ط ١ - ج ٨ ص ١٢٩ ط ٢.

١- قوله: على سبيل الوضع، أى على سبيل المصادرة والوضع أى الاصول الموضوعية من دون استعمال حجة وبرهان. نحو قوله فى عنوان الفصل الثانى من المقالة الاولى من الطبيعيات (ص ٥): «فى تعديد المبادئ للطبيعيات على سبيل المصادرة والوضع» فهذا الفصل كالذى قبله كالفهرس لمطالب كتاب النفس. وسيبينها ويفصلها فى المقالة الثانية إلى آخر كتاب النفس. فتبصر.

٢- أى النبات يجعل شرطاً للنفس الحيوانى، والحيوانى شرطاً للنفس الانسانى.

وبين النفس الناطقة وبين القوة على الأمور المذكورة من التميز وغيره .
فإن أردت الاستقصاء فالصواب أن تجعل النباتية جنساً للحيوانية ،
والحيوانية جنساً للإنسانية^١ ، وتأخذ الأعم في حد الاختصاص . ولكنك إذا
التفت إلى النفس من حيث القوى الخاصة لها في حيوانيتها وإنسانيتها ،
فربما قنعت بما ذكرناه .

وللنفس النباتية قوى ثلاث :

الغاذية وهي قوة تحيل جسمًا غير الجسم الذي هي فيه إلى مشكلة
الجسم الذي هي فيه فتلصقه به بدل ما يتحلل عنه .

والقوة المنمية وهي قوة تزيد في الجسم الذي هي فيه بالجسم المتشبه به
زيادة متناسبة في أقطاره طولًا وعرضًا وعمقًا ليلعب به كمال النشوء .

والقوة المولدة^٢ وهي قوة تأخذ من الجسم الذي هي فيه جزءًا^٣ هو
شبيهه بالقوة فتفعل فيه باستمداد أجسام أخرى تشبه به من التحليل
والتزيج ما يصير شبيهًا به بالفعل .

وللنفس الحيوانية بالقسمة الأولى قوتان : محرركة ، ومدركة .

والمحرركة على قسمين : إما محرركة بأنها باعثة على الحركة ، وإما
محرركة بأنها فاعلة :

١- فيقال كمال نباتي وكمال حيواني .

٢- في تعلية نسخة : إما المولدة فهي قوتان : إحداهما ما يجعل فضلة الهضم الرابع منياً
وهذه القوة فعلها في الأنثى لأن ذلك الأم يصير منياً فيهما . وثانيهما ما يهيئ كل جزء
من المنى الحاصل من الذكر والأنثى في الرحم لعنصر مخصوص بأن يجعل بعضه
مستعداً للعظمية وبعضه للعصية مثلاً . وفعل هذه القوة إنما يكون حال كون المنى في
الرحم لتصادف ذلك فعل القوة المصورة .

٣- أي مادة كالبر .

والحركة على أنها باعثة هى القوة النزوعية الشوقية، وهى القوة التى إذا ارتسمت فى التخيل الذى سنذكره بعد صورة مطلوبة أو مهروب عنها بعثت القوة الحركة^١ الأخرى التى نذكرها على التحريك، ولها شعبتان: شعبة تسمى قوة شهوانية وهى قوة تبعث على تحريك تقرب به من الأشياء المتخيلة ضرورية كانت أو نافعة طلباً للذة. وشعبة تسمى غضبية وهى قوة تبعث على تحريك تدفع به الشئ المتخيل ضاراً أو مفسداً طلباً للغلبة.

وأما القوة المحركة على أنها فاعلة فهى قوة تنبعث فى الأعصاب والعضلات من شأنها أن تشنج العضلات فتجذب^٢ الأوتار^٣ والرباطات المتصلة بالأعضاء إلى نحو جهة المبدأ أو ترخيها^٤ أو تمدّها طولاً، فتصير الأوتار والرباطات إلى خلاف جهة المبدأ.

وأما القوة المدركة فتتقسم قسمين: منها قوة تدرك من خارج، ومنها قوة تدرك من داخل.

١- أى فاعل الحركة.

٢- لجذب الملازم.

٣- فى تعليقه نسخة: الأوتار هى اجسام تنبت من اطراف اللحم من العضل شبيهة بالعصب فيلاقى الأعضاء المتحركة فتارة تجذبها بالجذبها وتارة ترخيها بارخائها. والرباط هى اجسام شبيهة بالعصب فى البياض واللينة تاتى من العظم الى العظم توصل بين طرفى العظم من المفاصل كرباطات الزندين او بين اعضاء آخر كالرباط الذى يربط العصب بالليف وقد يخص هذا باسم العقب وليس لشيء من الروابط حس لئلا يتأذى بكثرة مايلزم من الحركة.

٤- أى الدماغ فسر بهمنيار فى التحصيل المبدأ بالقلب حيث قال: «فهى التى تجذب الأوتار والرباطات المتصلة بالأعضاء الى نحو جهة المبدأ وهو القلب او ترخيها».

فالمدركة من خارج هى الحواس الخمس أو الثمانى^١ :
فمنها البصر وهى قوة مرتبة فى العصبية المجوفة تدرك صورة ما ينطبع
فى الرطوبة الجليدية من أشباح الأجسام ذوات اللون المتأدية فى
الأجسام^٢ الشفافة بالفعل إلى سطوح الأجسام الصقيلة .

ومنها السمع وهى قوة مرتبة فى العصبية المتفرقة فى سطح الصماخ
تدرك صورة ما يتأدى إليها من تموج الهواء المنضغط بين قارع ومقروع
مقاوم له انضغاطا بعنف يحدث منه صوت فيتأدى تموجه إلى الهواء
المحصور الراكد فى تجويف الصماخ ، ويحركه بشكل حركته ، وتماس
أمواج تلك الحركة العصبية فيسمع .

ومنها الشم^٣ وهى قوة مرتبة فى زائدتى مقدم الدماغ الشبيهتين
بحلمتى الشدى تدرك ما يودى إليها الهواء المستنشق من الرائحة الموجودة
فى البخار المخالط له أو الرائحة المنطبعة فيه بالاستحالة من جرم ذى
رائحة .

ومنها الذوق وهى قوة مرتبة فى العصب المفروش على جرم اللسان

١- إذا كانت قوة اللمس أربعة كما سيجئ .

٢- قوله : المتأدية فى الأجسام الخ المتأدية صفة للأشباح . وقوله : الى سطوح
الأجسام ، متعلق بالمتأدية . وقوله فى الأجسام الشفافة ، بيان للواسطة فى الرؤية
كالهواء الشاف . ثم أن قوله سطوح الأجسام الصقيلة كلى له أفراد منها الرطوبة الجليدية
فكما تتأدى أشباح الأجساد ذوات اللون فى الهواء الشفاف بالفعل الى سطح المرآة
الصقيلة كذلك تتأدى فيه الى الرطوبة الجليدية .

٣- فى شرح الموجز : قوة الشم هى قوة مرتبة فى الزائدتين الشبيهتين بحلمتى الشدى من
شأنها ادراك الرائحة المتصعدة مع الهواء المستنشق بتكيف الهوى بذى الرائحة على ما
هو الحق . او بانفصال اجزاء لطيفة بخارية من ذى الرائحة واتصالها بالة الشم انتهى .
فقول الشيخ قدس سره اشارة الى اختلاف المذهبين .

تدرك الطعوم^١ المتحللة من الاجسام المماسية له المخالطة للرطوبة العذبة التى فيه مخالطة محيلة^٢.

ومنها اللمس وهى قوة مرتبة فى أعصاب جلد البدن كله ولحمه تدرك مايماسه ويؤثر فيه بالمضادة المحيلة للمزاج أو المحيلة لهيئة التركيب. ويشبه أن تكون هذه القوة عند قوم لانوعا أخيراً، بل جنساً لقوى أربع أو فوقها^٣ منبثة معاً فى الجلد كله.

واحدتها حاكمة فى التضاد الذى بين الحار والبارد.

والثانية حاكمة فى التضاد الذى بين الرطب واليابس.

والثالثة حاكمة فى التضاد الذى بين الصلب واللين.

والرابعة حاكمة فى التضاد الذى بين الخشن والأملس. إلا أن اجتماعها فى آلة واحدة يوهم تأخذها فى الذات^٤.

وأما القوى المدركة من باطن فبعضها قوى تدرك صور المحسوسات، وبعضها تدرك معانى المحسوسات. ومن المدركات ما يدرك ويفعل معاً، ومنها ما يدرك ولا يفعل، ومنها ما يدرك إدراكاً أولياً، ومنها ما يدرك إدراكاً ثانياً.

والفرق بين إدراك الصورة وإدراك المعنى أن الصورة هو الشئ الذى يدركه الحس الباطن والحس الظاهر معاً. لكن الحس الظاهر يدركه أولاً

١- الطعوم تسعة وهى: الخرافة والمرارة والملوحة والحموضة والعفوصة والقبض والدسومة والحلاوة والتفاهة. هذا ان جعلت التفاهة من الطعوم والافثمانية.

٢- قوله: اوفوقها، كالقوة الحاكمة بين الثقل والخفيف.

٣- ص ٤٨ من نفس الاسفار (ج ٤ ط ١ = ص ٢٠٠ ج ٨ ط ٢) فى انحصار الحواس فى هذه الخمس.

ويؤديه إلى الحس الباطن مثل إدراك الشاة لصورة الذئب أعنى تشكّله وهيته ولونه، فإن الحس الباطن من الشاة يدركها، لكن إنما يدركها أولاً حسها الظاهر. وأما المعنى فهو الشيء الذى تدركه النفس من المحسوس من غير أن يدركه الحس الظاهر أولاً، مثل إدراك الشاة للمعنى المضاد فى الذئب أو للمعنى الموجب لخوفها إياه، وهربها عنه من غير أن يدرك الحس ذلك البتة. فالذى يدرك من الذئب أولاً الحس الظاهر ثم الحس الباطن فإنه يخصّ فى هذا الموضع باسم الصورة^١. والذى تدركه القوى الباطنة دون الحس فيخص فى هذا الموضع باسم المعنى.

والفرق بين الإدراك مع الفعل والإدراك لامع الفعل، أن من أفعال بعض القوى الباطنة أن يركّب بعض الصور والمعانى المدركة مع بعض ويفصله عن بعض، فيكون قد أدرك وفعل أيضاً فيما أدرك.

وأما الإدراك لامع الفعل فهو أن تكون الصورة أو المعنى يرتسم فى الشيء فقط من غير أن يكون له أن يفعل فيه تصرفاً البتة.

والفرق بين الإدراك الأول والإدراك الثانى أن الإدراك الأول هو أن يكون حصول الصورة على نحو ما من الحصول وقد وقع للشيء من نفسه؛ والإدراك الثانى هو أن يكون حصولها للشيء من جهة شيء آخر أدى إليها. فمن القوى المدركة الباطنة الحيوانية قوة بنطاسيا^٢ والحس المشترك

١- قوله: يخص فى هذا الموضع باسم الصورة. وسيأتى قوله فى ذلك فى آخر الفصل الأول من المقالة الرابعة: «قد جرت العادة بأن يسمى مدرك الحس المشترك صورة، ومدرك الوهم معنى».

٢- بنط: بتقديم الباء على النون بمعنى اللوح. والسيما بمعنى النفس يونانى. يعنى لوح النفس.

وهى قوة مرتبة فى التجويف الاول^١ من الدماغ تقبل بذاتها جميع الصور المنطبعة فى الحواس الخمس المتأدية إليه، ثم الخيال^٢ والمصورة^٣ وهى قوة مرتبة أيضاً فى آخر التجويف المقدم^٤ من الدماغ تحفظ ما قبله الحس المشترك من الحواس الجزئية الخمس، ويبقى فيه بعد غيبة تلك المحسوسات.

واعلم أن القبول لقوة غير القوة التى بها الحفظ فاعتبر ذلك من الماء، فإن له قوة قبول النقش والرقم^٥، وبالجمله الشكل، وليس له قوة حفظه؛ على أنا نزيدك لهذا تحقيقاً من بعد.

وإذا أردت أن تعرف الفرق بين فعل الحس العام^٦ وفعل الحس المشترك وفعل المصورة فتأمل حال القطرة التى تنزل من المطر فترى خطأ مستقيماً، وحال الشئ المستقيم الذى يدور فترى طرفه دائرة، ولا يمكن أن يدرك الشئ خطأ أو دائرة إلا ويرى فيه^٧ مراراً. والحس الظاهر

-
- ١- سه تجويف دارد دماغ بشر
مقدم ز تجويف اول بدانك
مؤخر از او شد محل خيال
پس اندر نخستين اوسط بود
اخير وسط جاي وهم است و، حفظ
 - ٢- قوله: ثم الخيال، الخيال على اصطلاح الحكماء، والمصورة على اصطلاح الاطباء.
فهذه المصورة غير القوة المصورة لتصوير الاعضاء فهما مشتركان لفظاً.
 - ٣- على اصطلاح الاطباء.
 - ٤- التجويف الاول، نسخة.
 - ٥- النقش والرسم له، نسخة.
 - ٦- الظاهر، نسخة.
 - ٧- اى فى الحس المشترك.

لا يمكن أن يراه مرتين، بل يراه حيث هو، لكنه إذا ارتسم فى الحس المشترك وزال قبل أن تتمحى الصورة من الحس المشترك أدركه الحس الظاهر حيث هو، وأدركه الحس المشترك كأنه كائن حيث كان فيه وكائن حيث صار إليه، فرأى امتداداً مستديراً أو مستقيماً. وذلك لا يمكن أن ينسب إلى الحس الظاهر البتة.

وأما الصورة فتدرك الأمرين وتتصورهما، وإن بطل الشيء وغاب. ثم القوة التى تسمى متخيلة^١ بالقياس إلى النفس الحيوانية، ومتفكرة بالقياس إلى النفس الإنسانية، وهى قوة مرتبة فى التجويف الأوسط من الدماغ عند الدودة^٢، من شأنها أن تركب بعض ما فى الخيال مع بعض وتفصل بعضه عن بعض، بحسب الإرادة.

ثم القوة الوهمية وهى قوة مرتبة فى نهاية التجويف الأوسط من الدماغ تدرك المعانى غير المحسوسة الموجودة فى المحسوسات الجزئية كالقوة الموجودة فى الشاة الحاكمة بأن هذا الذئب مهروب عنه وأن هذا الولد هو المعطوف عليه. ويشبه^٣ أن تكون هى أيضاً المتصرفة فى المتخيلات تركيباً وتفصيلاً.

ثم القوة الحافظة الذاكرة وهى قوة مرتبة فى التجويف المؤخر من

١- أى المتصرفة.

٢- قوله عند الدودة. الدودة هى البطن الأوسط من الدماغ فقط. وفى بحر الجواهر للهرؤى: الدودة هى البطن الأوسط من الدماغ، وإنما سُمى بها لأنها يتقلص ويتمدد فى الانبساط والانقباض كاللودة. ومن خواصها أن يسد زمان الانبساط ويفتح زمان الانقباض.

٣- قوله: ويشبه، وسيأتى قوله فى ذلك فى آخر الفصل الأول من المقالة الرابعة (ص ٣٣٤) ويشبه أن تكون القوة الوهمية هى بعينها المفكرة والمخيلة.

الدماغ تحفظ ماتدركه القوة الوهمية من المعانى غير المحسوسة فى المحسوسات الجزئية .

ونسبة القوة الحافظة إلى القوة الوهمية كنسبة القوة التى تسمى خيالاً إلى الحس المشترك . ونسبة تلك القوة إلى المعانى كنسبة هذه القوة إلى الصور المحسوسة . فهذه هى قوى النفس الحيوانية .
وأما النفس الناطقة الإنسانية فتنقسم قواها إلى قوة عاملة وقوة عالمة .

١- قال المحاكم : لاشك ان للنفس الانسانية ادراكاً للأشياء وتصرفاً فى البدن وهو فعل منه فائتوا للنفس قوتين مبدأ الادراك ومبدأ فعل من جهتين : الادراك من الملاء الاعلى ، والفعل فى العالم الادنى وفى بدنه . فبالجهة الاولى متأثرة وبالجهة الثانية مؤثرة . فالقوة التى بها تدرك النفس الأشياء تسمى العقل النظرى والقوة التى بها صارت مصدراً للانفعال تسمى العقل العملى . واطلاق العقل على القوتين بالاشتراك اللفظى لاختلافهما من حيث ان الاولى مبدأ الانفعال والثانية مصدر الفعل ، او بطريق التشابه لاشتراكهما فى كونهما قوى النفس .

ولما انقسم الادراك الى قسمين ادراك بامور لاتتعلق بالعمل وادراك لآراء متعلقة بالعمل لاجرم انقسم العقل النظرى الى قوتين او الى وجهين : قوة ادراك الامور التى لاتتعلق بالعمل كالعلم بالسماء والارض ، ومبنى الحكمة النظرية على هذه القوة . وقوة ادراك لآراء التى تتعلق بالعمل كالعلم بان العدل حسن والظلم قبيح ، ومبنى الحكمة العملية على هذه القوة لان مرجعهما العلم . واما العقل العملى فانما يصدر عنه الافعال بحسب استنباطه مايجب ان يفعل من رأى كلى مستنبط من مقدمة كلية ولما كان ادراك الكلى واستنباطه من المقدمات الكلية انما هو للعقل النظرى فهو مستعين فى ذلك بالعقل النظرى . اذا العمل لايتأتى بدون العلم مثلاً لهما مقدمة كلية وهى ان كل حسن ينبغي ان يؤتى به وقد استخرجنا منه ان الصدق ينبغي ان يؤتى به لان الصدق حسن وكل حسن ينبغي ان يؤتى به ينتج ان الصدق ينبغي ان يؤتى به ، وهذا رأى كلى ادركها العقل النظرى .

ثم ان العقل العملى لما اراد ان يوقع صدقاً جزئياً فهو انما يعقل بواسطة استخراج ذلك الجزئى من الرأى كانه يقول هذا صدق وكل صدق ينبغي ان يؤتى به فهذا الصدق ينبغي ان يؤتى به فهذا الصدق ينبغي ان يؤتى به وهذا رأى جزئى ادركها العقل النظرى ايضاً

وكل واحدة من القوتين تسمى عقلاً باشتراك الاسم^١ أو تشابهه^٢.
 فالعامله قوة هي مبدأ محرك لبدن الإنسان إلى الأفاعيل الجزئية
 الخاصة بالروية على مقتضى آراء تخصصها اصطلاحية^٣، ولها اعتبار
 بالقياس إلى القوة الحيوانية النزوعية واعتبار بالقياس إلى القوة الحيوانية
 المتخيلة والمتوهمة، واعتبار بالقياس إلى نفسها.

فاعتبارها بحسب القياس إلى القوة الحيوانية النزوعية هو القبيل الذى
 تحدث منه فيها هيئات تخص الإنسان يتهيا بها لسرعة فعل وانفعال مثل
 الخجل والحياء والضحك والبكاء وما أشبه ذلك.

واعتبارها الذى بحسب القياس إلى القوة الحيوانية المتخيلة والمتوهمة
 هو القبيل الذى تنحاز إليه^٤ إذا اشتغلت باستنباط التدابير فى الأمور
 الكائنة الفاسدة، واستنباط الصناعات الإنسانية.

واعتبارها الذى بحسب القياس إلى نفسها هو القبيل الذى تتولد فيه
 بين^٥ العقل العملى^٦ والعقل النظرى الآراء التى تتعلق بالأعمال
 وتستفيض ذائعه مشهورة مثل: أن الكذب قبيح، والظلم قبيح، لا على

لكن العقل العملى انما يفعل هذا لصدق العلم بذلك الجزئى، فالعقل العملى بل النفس
 انما يصدر منه الافعال لآراء جزئية تنبعث من آراء كلية عندها مستبطة من مقدمات
 بديهية او مشهورة او تجريبية.

١- وفى تعليقه نسخة: لا اختلافهما فى ان احدهما مبدأ الفعل والاخرى مبدأ الانفعال.

٢- وفى تعليقه: اى الحقيقة والمجاز بعلاقة المشابهة يعنى بطريق التشابه لاشتراكهما فى
 كونهما قوى النفس.

٣- صفة لقوله آراء. اصطلاح: باهمديكر صلح كردن. (كنز).

٤- اى تجمع إليه.

٥- من، نسخة.

٦- فى تعليقه نسخة: القوة التى بها صارت النفس مصدراً للافعال تسمى العقل العملى.

سبيل التبرهن، وما أشبه ذلك من المقدمات المحدودة الانفصال عن الأوليات العقلية المحضة فى كتب المنطق. وإن كانت إذا برهن عليها صارت من العقلية أيضا على ما عرفت فى كتب المنطق.

وهذه القوة يجب أن تتسلط على سائر قوى البدن على حسب ما توجبه أحكام القوة الأخرى التى نذكرها حتى لا تنفعل عنها^١ البتة؛ بل تنفعل تلك عنها وتكون مقموعة دونها، لئلا تحدث فيها عن البدن هيئات انقيادية مستفادة من الأمور الطبيعية. وهى التى تسمى أخلاقا رذيلة، بل يجب أن تكون غير منفعله البتة وغير منقادة، بل متسلطة، فتكون لها أخلاق فضيلة وقد يجوز أن تنسب الأخلاق إلى القوى البدنية أيضا، ولكن إن كانت هى الغالبة، تكون لها هيئة فعلية، ولهذا العقل هيئة انفعالية. ولنسم كل هيئة خلُقا فيكون شىء واحد يحدث منه خلُق فى هذا^٢ وخلُق فى ذلك^٣؛ وإن كانت هى المغلوبة تكون لها هيئة انفعالية، ولذلك هيئة فعلية غير غريبة^٤، فيكون ذلك أيضا هيئتين وخلقين، أو يكون الخلق واحدا له نسبتان^٥.

وإنما كانت الأخلاق التى فىنا منسوبة إلى هذه القوة لأن النفس الإنسانية كما يظهر من بعد جوهر واحد، وله نسبة وقياس إلى جنبتين: جنبه هى تحته، وجنبه هى فوقه، وله بحسب كل جنبه قوة بها تنتظم

١- أى حتى لا تنفعل تلك القوة عن سائر قوى البدن بل تنفعل تلك - أى سائر قوى البدن - عن تلك القوة وتكون سائر قوى البدن مقموعة عند تلك القوة أى ذليلة عندها.

٢- فى تعلية نسخة: أى فى البدن وهو الفعلية.

٣- فى تعلية نسخة: أى فى العقل وهو الانفعالية.

٤- لأن التسلُط شأن النفس.

٥- نسبة إلى البدن ونسبة إلى العقل.

العلاقة بينه وبين تلك الجنبية . فهذه القوة العملية هى القوة التى لها لأجل العلاقة إلى الجنبية التى دونها وهو البدن وسياسته .

وأما القوة النظرية فهى القوة التى لها لأجل العلاقة إلى الجنبية التى فوقه لتتفعل وتستفيد منها وتقبل عنها . فكان للنفس منا وجهين : وجه إلى البدن ، ويجب أن يكون هذا الوجه غير قابل ألبتة أثرا من جنس مقتضى طبيعة البدن ، ووجه إلى المبادئ العالية . ويجب أن يكون هذا الوجه دائم القبول عما هناك والتأثر منه . فمن الجهة السفلية تتولد الأخلاق ، ومن الجهة الفوقانية تتولد العلوم ، فهذه هى القوة العملية .

وأما القوة النظرية فهى قوة من شأنها أن تنطبع بالصور الكلية المجردة عن المادة ، فإن كانت مجردة بذاتها فأخذها بصورتها فى نفسها أسهل ، وإن لم تكن فإنها تصير مجردة بتجريد إياها ، حتى لا يبقى فيها عن علائق المادة شىء ، وسنوضح كيفية هذا من بعد .

وهذه القوة النظرية لها إلى هذه الصور نسب مختلفة ، وذلك لأن الشىء الذى من شأنه أن يقبل شيئا قد يكون بالقوة قابلا له وقد يكون بالفعل قابلا له .

والقوة تقال على ثلاثة معان ، بالتقديم والتأخير : فتقال قوة للاستعداد المطلق الذى لا يكون خرج منه بالفعل شىء ، ولا أيضا حصل ما به يخرج ، كقوة الطفل على الكتابة . وتقال قوة لهذا الاستعداد إذا كان لم يحصل للشىء إلا ما يمكنه به أن يتوصل إلى اكتساب الفعل بلا واسطة ، كقوة الصبى الذى ترعرع^١ وعرف الدواة والقلم وبسائط

١- ترعرع الصبى : تحرك ونشأ ، وغايته ثلاثة عشر .

الحروف على الكتابة^١. وتقال قوة لهذا الاستعداد إذا تم بالآلة، وحدث مع الآلة أيضا كمال الاستعداد بأن يكون له أن يفعل متى شاء بلا حاجة إلى اكتساب، بل يكفي أن يقصد فقط، كقوة الكاتب المستكمل للصناعة إذا كان لا يكتب. والقوة الأولى تسمى مطلقة وهيولانية، والقوة الثانية تسمى قوة ممكنة، والقوة الثالثة تسمى كمال القوة. فالقوة النظرية إذن:

تارة تكون نسبتها إلى الصور المجردة التي ذكرناها نسبة ما بالقوة المطلقة، وذلك حين ما تكون هذه القوة التي للنفس لم تقبل بعد شيئا من الكمال الذي بحسبها، وحينئذ تسمى عقلا هيولانيا، وهذه القوة التي تسمى عقلا هيولانيا موجودة لكل شخص من النوع، وإنما سميت هيولانية تشبيها إياها باستعداد الهيولى الأولى التي ليست هي بذاتها ذات صورة من الصور، وهي موضوعة لكل صورة.

وتارة نسبة ما بالقوة الممكنة، وهي أن تكون القوة الهيولانية قد حصل فيها من المعقولات الأولى التي تتوصل منها وبها إلى المعقولات الثانية، أعني بالمعقولات الأولى المقدمات التي يقع بها التصديق لا باكتساب ولا بأن يشعر المصدق بها أنه كان يجوز له أن يخلو عن التصديق بها وقتاً لئلا، مثل اعتقادنا بأن الكل أعظم من الجزء وأن الأشياء المتساوية لشيء واحد بعينه متساوية. فما دام أنه يحصل فيه^٢ من معنى ما بالفعل هذا القدر بعد فائه يُسمى عقلا بالملكة. ويجوز أن يسمى هذا عقلا بالفعل بالقياس إلى الأولى، لأن القوة الأولى ليس لها أن تعقل شيئا بالفعل،

١- متعلق بقوله على الكتابة.

٢- التذكير باعتبار أن هذه القوة عقل. وفي نسخة: فمادام إنما يحصل فيها.

وأما هذه فإن لها أن تعقل إذا أخذت تَبَحْثُ بالفعل .

وتارة تكون نسبةً ما بالقوة الكمالية وهو أن يكون حصل فيها أيضا الصور المعقولة المكتسبة بعد المعقولة الأولية ، إلا أنه ليس تطالعها وترجع إليها بالفعل ، بل كانها عنده مخزونة فمتى شاء طالع تلك الصور بالفعل فعقلها ، وعقل أنه قد عقلها . وسُمِّي عقلا بالفعل لأنه عقل يعقل متى شاء بلا تكلف اكتساب وإن كان يجوز أن يسمَّى عقلا بالقوة بالقياس إلى ما بعده .

وتارة تكون النسبة نسبةً ما بالفعل المطلق ، وهو أن تكون الصورة المعقولة حاضرة فيه وهو يطالعها بالفعل فيعقلها بالفعل ويعقل أنه يعقلها بالفعل فيكون ما حصل له حينئذ يسمى عقلا مستفادا . وإنما سمي عقلا مستفادا ، لأنه سيتضح لنا أن العقل بالقوة إنما يخرج إلى الفعل بسبب عقل هو دائما بالفعل وأنه إذا اتصل العقل بالقوة بذلك العقل الذي بالفعل نوعا من الاتصال انطبع فيه نوع من الصور تكون مستفادة من خارج .

فهذه أيضا مراتب القوى التي تسمى عقولا نظرية . وعند العقل المستفاد يتم الجنس الحيواني والنوع الإنساني منه . وهناك تكون القوة الإنسانية قد تشبهت بالمبادئ الأولية للوجود كله .

فاعتبر الآن وانظر إلى حال هذه القوى كيف يرءس بعضها بعضاً وكيف يخدم بعضها بعضاً ، فإنك تجد العقل المستفاد رئيساً ويخدمه الكل وهو الغاية القصوى .

ثم العقل بالفعل يخدمه العقل بالملكة .

والعقل الهولانى بما فيه من الاستعداد يخدم العقل بالملكة .
ثم العقل العملى يخدم جميع هذه . لأن العلاقة البدنية كما سيتضح
بعد لأجل تكميل العقل النظرى وتزكيته وتطهيره ، والعقل العملى هو
مدبر تلك العلاقة .

ثم العقل العملى يخدمه الوهم .
والوهم تخدمه قوتان : قوة بعده وقوة قبله . فالقوة التى بعده هى
القوة التى تحفظ ما آذاه الوهم أى^١ الذاكرة ، والقوة التى هى قبله هى
جميع القوى الحيوانية .

ثم المتخيلة تخدمها قوتان مختلفتا المأخذين : فالقوة النزوعية تخدمها
بالإثمار لأنها تبعثها على التحريك نوعا من البعث ، والقوة الخيالية
تخدمها لعرضها الصور المخزونة فيها المهيأة لقبول التركيب والتفصيل . ثم
هذان رئيسان لطائفتين ، أما القوة الخيالية فتخدمها بنطاسيا ، وبنطاسيا
تخدمها الحواس الخمس .

وأما القوة النزوعية فتخدمها الشهوة والغضب ، والشهوة والغضب
تخدمهما القوة المحركة فى العَضَل ، فهاهنا تضى القوى الحيوانية .

ثم القوى الحيوانية تخدمها النباتية وأولها ورأسها المولدة . ثم النامية
تخدم المولدة . ثم الغذائية تخدمهما جميعا . ثم القوى الطبيعية الأربع^٢
تخدم هذه ، والهاضمة منها تخدمها الماسكة من جهة والجاذبة من جهة ،
والدافعة تخدم جميعها .

ثم الكيفيات الأربع تخدم جميع ذلك . لكن الحرارة تخدمها

١- تفسير للقوة الحافظة .

٢- أى الجاذبة والهاضمة والماسكة والدافعة .

البرودة^١، فإنها إما أن تُعدّ للحرارة مادة أو تحفظ ما هيأتها الحرارة، ولا مرتبة للبرودة^٢ فى القوى الداخلة فى الأعراض الطبيعية إلا منفعة تابع وتال، وتخدمهما جميعاً اليبوسة والرطوبة^٣، وهناك آخر درجات القوى.

١- فى تعليقه نسخة : لكن الحرارة تخدمها البرودة فانها اما ان تعدّ للحرارة مادة او تحفظ ما افادت الحرارة من التحليل وحاجة الجاذبة والدافعة الى اليبوسة من وجهين الاول تمكين الروح الحاملة للقوة فى الحركة . الثانى تجويدهيئة الالة وتقويتها والهاضمة انما تحتاج الى الرطوبة لتسهيل الغذاء وتهيته للنفوذ فى المجارى والقبول للاشكال . كذا فى القانون .

٢- فى تعليقه نسخة : البرودة تنفع الماسكة فى الامساك بالعرض بان يحتبس الليف على هيئة الاشتمال الصالح للامساك وكذا الماسكة تنفع الدافعة بالبرودة لانها يمنعها تحليل الريح المعينة للدفع كذا فى القانون .

٣- قوله : « وتخدمهما جميعاً اليبوسة والرطوبة »، اقول : كانت العبارة وتخدمها بافراد الضمير ، والصواب ثنية الضمير كما فى النسخ المصححة من الشفاء التى عندنا . على ان الافراد مستلزم للتكرار لان الشيخ صرح اولاً بان الكيفيات الاربع تخدم جميع ذلك . فراجع الفصل الثالث من التعليم السادس من كليات القانون (ص ١٤١ من الطبع الناصرى) والى شرح المواقف ص ٤٢٦ طبع القسطنطينية ، وان كان كلام الايجى والميرفى المقام انموذجاً من القانون . قال الايجى : وهذه القوى الاربع تخدمها الكيفيات الاربع فاشد القوى حاجة إلى الحرارة ، الهاضمة ثم الجاذبة ثم الدافعة ثم الماسكة . واشد القوى حاجة الى اليبوسة الماسكة ثم الجاذبة ثم الدافعة والهاضمة لاحاجة لها الى اليبس بل الى الرطوبة . وقال الشارح : والبرودة مع كونها منافية بالذات لافعال هذه القوى تخدم بالعرض الماسكة باعانتها على حبس الليف المورب على هيئة الاشتمال الصالح للامساك . وتخدم كذلك الدافعة بانها تمنع تحليل الريح المعينة على الدفع . وايضاً تغلظها ، وكلما كانت الريح اغلظ كانت اعون . وايضاً تجمع الليف العاصر وتكثفه فتكون اقوى فى الدفع ، فظهر مما ذكر ان الحرارة تخدم جميع هذه القوى . والبرودة لاتخدم الا الماسكة والدافعة وأن اليبوسة تخدم ماسوى الهاضمة والرطوبة تخدمها فقط . انتهى نقلناها باختصار .

المقالة الثانية

وهي خمسة فصول :

الفصل الاول : فى تحقيق القوى المنسوبة الى النفس النباتية .

الفصل الثانى : فى تحقيق اصناف الادراكات التى فىنا .

الفصل الثالث : فى الحاسة اللمسية .

الفصل الرابع : فى الذوق والشم .

الفصل الخامس : فى حاسة السمع .



مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الفصل الاول

فى تحقيق القوى المنسوبة إلى النفس النباتية

فلنبدا بتعريف حال القوى المذكورة قوة قوة، ولنعرّفها من جهة أفعالها . واول ذلك أفعال القوى النباتية ، وأولها حال التغذية . فنقول :
قد علمت فيما سلف نسبة الغذاء إلى المغذى وحد كل واحد منهما وخاصيته . فنقول الآن : إن الغذاء ليس إنما يستحيل دائماً إلى طبيعة المتغذى دفعة ، بل أولاً يستحيل استحالة ما عن كيفيته ويستعدّ للاستحالة إلى جوهر المغذى ، فتفعل فيه قوة من خدّم القوة الغاذية وهى الهاضمة ، وهى التى تذيب الغذاء فى الحيوان وتعدّه للنفوذ المستوى ، ثم إن القوة الغاذية تحيله فى الحيوان الدموى أول الإحالة إلى الدم والأخلاق التى منها قوام البدن على ما بينا فى مواضع أخرى . وكل عضو فإنه يختص بقوة غاذية تكون فيه وتحيل الغذاء إلى مشابهته الخاصة فتلصقه به .
فالقوة الغاذية تورد البدل ، أى بدل ما يتحلل وتُشبه وتُلصق . فأنه وإن كان الغذاء أكثر منافعه أنه يقوم بدل ما يتحلل ، فإنه ليست الحاجة إلى الغذاء لذلك فقط ، بل قد تحتاج إليه الطبيعة فى أول الأمر للتربية ، وإن كان بعد ذلك إنما يحتاج إلى وضعه موضع المتحلل فقط . فالقوة

الغاذية من قوى النفس النباتية تفعل فى جميع مدة بقاء الشخص وهى مادامت موجودة تفعل أفاعيلها وجد النبات والحيوان باقيين ، وان بطلت لم يوجد النبات والحيوان باقيين . وليس كذلك حال سائر القوى النباتية^١.

والنامية تفعل فى أول كون الحيوان فعلا ليس هو التغذية فقط ، وذلك لأن غاية التغذية ما^٢ حدّدناه ، وأما هذه القوة فإنها توزّع الغذاء على خلاف مقتضى القوة الغاذية ، وذلك لأن الذى للقوة الغاذية لذاتها أن تؤتى كل عضو من الغذاء بقدر عظمه وصغره وتلصق به من الغذاء بمقداره الذى له على السواء .

وأما القوة النامية فإنها تسلب جانبا من البدن من الغذاء ما يحتاج إليه لزيادة فى جهة أخرى فتلصقه بتلك الجهة لتزيد تلك الجهة فوق زيادة جهة أخرى مستخدمة للغاذية فى جميع ذلك . ولو كان الأمر إلى الغاذية لسوّت بينهما أو لفضّلت الجهة التى نقصتها النامية . مثال ذلك أن الغاذية إذا انفردت وقوى فعلها وكان ما يورد أكثر مما يتحلل فإنها تزيد فى عرض الأعضاء وعمقها زيادة ظاهرة بالتسمين^٣ ، ولا تزيد فى الطول زيادة

١- يتم فعل الغاذية بامور ثلاثة : الاول تحصيل الخلط الذى هو بالقوة القرية من الفعل شبيهة بالعضو . الثانى الالتزاق وهو ان يلصق ذلك الحاصل بالعضو ويجعله جزءاً منه بالفعل . الثالث ان يجعله بعد الالتصاق شبيهاً به من كل جهة حتى فى قوامه ولونه . شرح المواقف ج ٧ ص ١٧٩ .

٢- فى تعليقه نسخة : من ايراد البدل والتشبه والالتصاق .

٣- والسمن قد يكون بعد كمال النشوء ايضاً وإن السمن لا يكون الا فى قطرين ومن انه مخصوص باللحم وما فى حكمه دون الاعضاء الاصلية كالعظم ونظائره . شرح المواقف ج ٧ ص ١٧٩ .

يعتدها . واما المربية فإنها تزيد فى الطول أكثر كثيرا مما تزيد فى العرض ،
والزيادة فى الطول أصعب من الزيادة فى العرض ، وذلك لأن الزيادة فى
الطول يحتاج فيها إلى تنفيذ الغذاء فى الاعضاء الصلبة من العظام
والعصب تنفيذاً فى أجزائها طولا لتنميتها وتبعد بين أطرافها . والزيادة فى
العرض قد تغنى فيها تربية اللحم وتغذية العظم أيضا عرضا من غير
حاجة إلى تنفيذ شئ كثير فيه وتحريكه . وربما كانت أعضاء هى فى اول
النشوء صغيرة وأعضاء هى فى أول النشوء كبيرة ، ثم يحتاج فى آخر
النشوء أن يصير ما هو أصغر أكبر وما هو أكبر أصغر ؛ فلو كان التدبير
إلى الغذائية لكان يستمر ذلك على نسبة واحدة . فالقوة الغذائية^١ من حيث
هى غاذية تأتى بالغذاء وتقتضى إلصاقه بالبدن على النحو المستوى أو
القريب من المستوى ، وعلى الوجه الذى فى الطبع^٢ أن تفعله عند
الإسمان .

وأما النامية فتوغر^٣ إلى الغذائية بأن تقسم ذلك الغذاء وتنفذه إلى
حيث تقتضى التربية خلافا لمقتضى الغذائية ، والغاذية تخدمها فى
ذلك^٤ ، لأن الغذائية لا محالة هى الملتصقة ؛ لكنها تكون متصرفة تحت
تصرف القوة المربية . والقوة المربية إنما تنحو نحو تمام النشوء .

١- قال الرازى فى المباحث المشرقية : « الاجزاء الزائدة من الغذاء فى النمو تنفذ فى جواهر
الاعضاء فلاجرم نمدها وتزيد فى جوهرها واما فى السمن فانها لاتنفذ فى جواهر
الاعضاء بل كأنها تلتصق بها . » المباحث المشرقية ج ٢ ، ص ٢٧٢ .

٢- فى طبعه ، نسخة .

٣- او غره الى كذا أى الجاه إليه .

٤- والغاذية تخدم القوة المربية ، نسخة .

وأما المولدة فلها فعلان^١: أحدهما تخليق البزر وتشكيله وتطبيعه، والثاني إفادة أجزائه فى الإستحالة الثانية صورها من القوى والمقادير والأشكال والأعداد والخشونة والملاسة ومايتصل بذلك متسخرة تحت تدبير المتفرد بالجبروت^٢، فتكون الغازية تمدها بالغذاء، والنامية تخدمها بالتمديدات المشاكلة فهذا الفعل يتم فيها فى أول تكون الشيء ثم يبقى التدبير مفوضاً إلى النامية والغازية.

فإذا كان فعل النامية يستتم فحينئذ تنبعث القوة المولدة فى توليد البزر والمنى ليسكنهما^٣ القوة التى هى من جنسها^٤ مع الخادمتين^٥. وبالجمله فإن القوة الغازية مقصودة ليحفظ بها جوهر الشخص، والقوة النامية مقصودة ليتم بها جوهر الشخص، والقوة المولدة مقصودة ليستبقى بها

١- قوله قدس سره: «وأما المولدة فلها فعلان»، اقول: القوة المولدة من حيث فعلها الاول تسمى بالمغيرة الاولى ومن حيث فعلها الثانى تسمى بالمغيرة الثانية، كما انها تسمى من حيث فعلها الثانى مصورة ايضاً، فكلام الشيخ وهو قوله: والثانى افادة اجزائه فى الاستحالة الثانية صورها من القوى والمقادير الخ بيان للمولدة من حيث انها مغيرة ثانية مصورة. وقوله: الاستحالة الثانية ناظر الى كونها مغيرة ثانية. وقوله: صورها-وهو منصوب على المفعولية لقوله افادة- ناظر الى كونها مصورة. وقوله: متسخرة تحت تدبير المتفرد بالجبروت اشارة الى ان المصورة- اعم من هذه المصورة. ومن القوة المصورة التى منشير اليها- ليست مستقلة فى فعلها بل هى متسخرة تحت تدبير المتفرد بالجبروت. والقاتل بأن المتصورة باطلة كما ذهب الى بطلانها المحقق الطوسى فى التجريد يريد هذا المعنى اعنى بطلان استقلالها لا ان المصورة باطلة رأساً.

٢- فى تعليقة نسخة: اى المصورة تكون آله فى هذا الفعل لوجود مجرد لا ان تكون مستقلة فى هذه الافعال.

٣- فى تعليقة نسخة: اى يكون مسكناً ومنزلاً لهما.

٤- اى المولدة.

٥- فى تعليقة نسخة: اى الغازية والنامية.

النوع^١، إذ كان حب الدوام^٢ أمراً فائضاً من الإله تعالى على كل شىء، فما لم يصلح أن يبقى بشخصه ويصلح أن يبقى بنوعه فإنه تنبعث فيه قوة إلى استجلاب بدل يعقبه ليحفظ به نوعه. فالغاذية تورث بدل ما يتحلل من الشخص، والمولدة تورث بدل ما يتحلل من النوع.

وقد ظن بعضهم^٣ أن الغاذية نار، لأن النار تغتذى وتنمو.

وقد أخطأ من وجهين: أحدهما من جهة أن الغاذية ليست تغتذى بنفسها، بل تغذى البدن وتُمنيه، والنار إن كانت تغتذى فهي إنما تغتذى وتنمى بنفسها^٤. ومن وجه آخر أن النار ليست تغتذى، بل تتولد شيئاً بعد شىء وتطفأ ما تقدم. ثم لو كانت تغتذى وكان حكمها حكم غذاء الأبدان، لما كان يجب أن يكون للأبدان وقوف فى النمو. فإن النار

١- فى تعليقة نسخة: قال الامام فى المباحث: اما اللتان لبقاء النوع فاوليهما المولدة وهى التى تفصل جزء من فضل الهضم الاخير للمغتذى وتودعه قوة من نسخها، وثانيتهما المصورة.

٢- قوله قدس سره: إذ كان حب الدوام الى آخره: هذه الكلمة التامة فى غاية الجودة. والطبيعى الذى اخلد الى الارض ويقول ما يهلكنا الا الدهر وينكر دار الخلود والبقاء لم يحب بقاءه فى هذه العاجلة ويهرب عما يهلكه ويفنيه لولا البقاء كان اصلاً ثابتاً سرمدياً ابدياً ارتكز فى جبلة النفوس حب^{١٩} ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور. قال صدرالمتألهين فى الاسفار (ص ١٦٣ ج ٤ ط ١ = ص ٢٤١ ج ٩ ط ٢): ان الله تعالى قد جعل لواجب حكمته فى طبع النفوس محبة الوجود والبقاء وجعل فى جبلتها كراهة الفناء والعدم، وهذا حق لما علمت ان طبيعة الوجود خير محض ونور صرف وبقائه خيرية الخير ونورية النور. الخ.

٣- ذلك البعض هو هراكليطوس. راجع ص ٢٢ ج ٤ من الاسفار ١ = ج ٨ ص ٩٧ ط ٢.

وص ١٠٦ من نفس ارسطو.

٤- نفسها، نسخة.

مادامت تجدد مادة لم تقف، بل تزيد^١ إلى غير نهاية.

وأعجب من ذلك ما قال صاحب هذا القول: إن الأشجار تُعْرِق من أسفل لأن الأرضية تتحرك إلى أسفل وتفرع إلى فوق، لأن النار تتحرك إلى فوق. فأول غلطه هو أن كثيرا من النبات أغصانه أثقل من عروقه. وثانيا أنه لم لا ينفصل بهذه الحركة فيفارق الثقل الخفيف. فإن كان ذلك لتدبير النفس فليجعل التعريق والتفريع أيضا للنفس، وعلى أنه يشبه أن يكون الفوق^٢ في النبات حيث رأسه، ورأس النبات عروقه ومنه منشؤه.

ثم إن آلة هذه القوة^٣ الأولية^٤ هي الحار الغريزي، فإن الحار هو المستعد لتحريك المواد ويتبعها البرد لتسكينها^٥ عند الكمالات من الخلق محتوية عليها^٦. وأما من الكيفيات المنفصلة فآلتها الأولية الرطوبة، فإنها هي التي تتخلق وتتشكل، وتتبعها اليبوسة فإنها تحفظ الشكل وتفيد التماسك.

والقوة النباتية^٧ التي في الحيوان فإنها تولد جسما حيوانيا، وذلك لأنها نباتية تتعلق بها قوة الحيوان، وهى الفصل الذى لهما مما يشاركها فى كونها ذات قوة التغذية والنمو، فتمزج الأركان والعناصر مزاجا يصلح

١- ذهب، نسخة.

٢- أن يكون العرق فى النبات - ط.

٣- أى الغذائية.

٤- صفة الآلة.

٥- ويتبعها البرد ويسكنها، كما فى نسخة مصححة مقرأة من الشفاء.

٦- مختومة، نسخة.

٧- يعنى النباتية الحيوانية. فافهم.

للحيوان . إذ ليس تتولى مزاجها القوة المشتركة بين النبات والحيوان من حيث هى مشتركة ، فإنها من حيث هى مشتركة لا توجب مزاجا خاصا ، بل إنما توجب مزاجا خاصا فيها لأنها مع أنها غاذية هى أيضاً حيوانية فى طباعها أن تحس وتحرك إذا حصلت الآلة ، وهى بعينها حافظة لذلك التأليف والمزاج حفظا ، إذا أضيف إلى ذوات التأليف كان قسريا ، لأنه ليس من طباع العناصر والأجسام المتضادة أن تأتلف لذاتها ، بل من طباعها الميل إلى جهات مختلفة ، وإنما تؤلفها النفس الخاصة . مثلاً فى النخلة نفسٌ نخلية ، وفى العنب نفسٌ عنبية . وبالجملية النفس التى تكون صورة لتلك المادة . والنفس إذا صارت نخلية كان لها مع أنها نفس النمو زيادة أنها نفس نخلية ، وفى العنب أنها نفس عنبية ، وليست النخلة تحتاج إلى نفس نباتية ونفس أخرى تكون بتلك النفس نخلة ، وإن كان ليس لها أفعال خارجة عن أفعال النبات ، بل تكون نفسها النباتية فى نباتيتها أنها نخلية .

وأما النفس النباتية التى فى الحيوان فإنها تُعد خلقه الحيوان نحو أفعال غير أفعالها وحدها من حيث هى نباتية ، فهى مدبرة نفس حيوانية ، بل هى بالحققيقة غير نفس نباتية ، اللهم إلا أن يقال إنها نفس نباتية بالمعنى الذى ذكرنا أعنى العام . فالفصل المقوم لتنوعية نفس من النفوس النباتية أعنى الفصول التى لنبت ما دون نبت ما لا يكون إلا مبدأ فعل نباتى مخصص فقط .

وأما النفس النباتية الحيوانية ففصلها القاسم إياها المقوم لنوع نوع تحتها

هو قوة النفس الحيوانية المقارنة لها التي تُعدُّ لها البدن، وهو فصل على نحو الفصول التي تكون للبسائط لا التي تكون للمركبات.

وأما النفس الإنسانية فلا تتعلق بالبدن تعلقاً صورياً كما نتبين^١، فلا يحتاج أن يُعدَّ لها عضو. نعم قد تتميز الحيوانية التي لها، عن سائر الحيوانات، وكذلك الأعضاء المعدة لحيوانيتها أيضاً.

الفصل الثانى

فى تحقيق أصناف الإدراكات التى لنا

فلنتكلم الآن فى القوى الحاسة والدراكة، ولنتكلم فيها كلاما كليا فنقول : يشبه أن يكون كل إدراك أنما هو أخذ صورة المدرك بنحو من الانحاء، فإن كان الإدراك إدراكا لشيء مادي فهو أخذ صورته مجردة عن المادة تجريدا ما، إلا أن أصناف التجريد مختلفة ومراتبها متفاوتة، فإن الصورة المادية تعرض لها بسبب المادة أحوال وأمور ليست هى لها بذاتها من جهة ما هى تلك الصورة فتارة يكون النزاع عن المادة نزاعا مع تلك العلائق كلها أو بعضها، وتارة يكون النزاع نزاعا كاملاً . وذلك بأن يجرى المعنى عن المادة وعن اللواحق التى لها من جهة المادة .

مثاله أن الصورة الإنسانية والماهية الإنسانية طبيعة لا محالة تشترك فيها أشخاص النوع كلها بالسوية، وهى بحددها شيء واحد وقد عرض لها أن وجدت فى هذا الشخص وذلك الشخص فتكثرت . وليس لها ذلك من جهة طبيعتها الإنسانية . ولو كان للطبيعة الإنسانية ما يجب فيها التكثر لما كان يوجد إنسان محمولا على واحد بالعدد ولو كانت الإنسانية موجودة لزيد لأجل أنها إنسانيته، لما كانت لعمره، فإذا أحدى العوارض التى

تعرض للإنسانية من جهة المادة هي هذا النوع من التكثر والانقسام^١. ويعرض لها أيضا غير هذا من العوارض^٢، وهو أنها إذا كانت في مادة ما حصلت بقدر من الكم والكيف والوضع والايين، وجميع هذه أمور غريبة عن طبائعها، وذلك لأنه لو كانت الإنسانية هي على هذا الحد أوحد آخر من الكم والكيف والايين والوضع لأجل أنها إنسانية، لكان يجب أن يكون كل إنسان مشاركا للآخر في تلك المعانى. ولو كانت لأجل الإنسانية على حد آخر وجهة أخرى من الكم والكيف والايين والوضع، لكان كل إنسان يجب أن يشترك فيه. فإذا الصورة الإنسانية بذاتها غير مستوجبة أن يلحقها شيء من هذه اللواحق العارضة لها، بل من جهة المادة، لأن المادة التي تقارنها تكون قد لحقتها هذه اللواحق. فالحس يأخذ الصورة عن المادة مع هذه اللواحق، ومع وقوع نسبة بينها^٣ وبين المادة، إذا زالت تلك النسبة بطل ذلك الأخذ، وذلك لأنه لا ينزع الصورة عن المادة مع جميع لواحقها، ولا يمكنه أن يستثبت تلك الصورة إن غابت المادة، فيكون كأنه لم يتزع الصورة إن غابت المادة، فيكون كأنه لم يتزع الصورة عن المادة^٤ نزعا محكما، بل يحتاج إلى وجود المادة أيضا في أن تكون تلك الصورة موجودة لها. وأما الخيال والتخيل فإنه يرى الصورة المنزوعة عن المادة تبرئة أشد،

١- في تعليقة نسخة: أى الانقسام الى الافراد.

٢- غير هذه العوارض، نسخة. وفي نسخة أخرى: غير هذه العوارض وهى أنها ...

٣- نسبة بينها، كما فى جميع النسخ التى عندنا، فالضمير راجع الى الحس باعتبار انها قوة.

٤- في تعليقة نسخة: فحضور المادة شرط فى الاحساس.

وذلك لأنه يأخذها عن المادة بحيث لا تحتاج فى وجودها فيه إلى وجود مادتها، لأن المادة وإن غابت عن الحس أو بطلت، فإن الصورة تكون ثابتة الوجود فى الخيال، فىكون أخذه إياها قاصما العلاقة بينها وبين المادة قصما تاماً، إلا أن الخيال لا يكون قد جردها عن اللواحق المادية، فالحس لم يجردها عن المادة تجريدا تاما ولا جردها عن لواحق المادة. وأما الخيال فإنه قد جردها عن المادة تجريدا تاما، ولكن لم يجردها البتة عن لواحق المادة، لأن الصورة التى فى الخيال هى على حسب الصورة المحسوسة، وعلى تقدير ما وتكيف ما ووضع ما. وليس يمكن فى الخيال البتة أن تتخيل صورة هى بحال يمكن أن يشترك فيها جميع أشخاص ذلك النوع، فإن الإنسان المتخيل يكون كواحد من الناس، ويجوز أن يكون ناس موجودين ومتخيلين ليسوا على نحو ما تخيل الخيال^١ ذلك الإنسان^٢.

وأما الهم فإنه قد يتعدى قليلا هذه المرتبة فى التجريد، لأنه ينال المعانى التى ليست هى فى ذاتها بمادية، وإن عرض لها أن تكون فى مادة. وذلك لأن الشكل واللون والوضع وما أشبه ذلك أمور لا يمكن أن تكون إلا لمواد جسمانية وأما الخير والشر والموافق والمخالف وما أشبه ذلك، فهى أمور فى أنفسها غير مادية، وقد يعرض لها أن تكون مادية. والدليل على أن هذه الأمور غير مادية، أن هذه الأمور لو كانت بالذات مادية لما كان

١- أى العلاقة التى بينها ...

٢- فى تعليقه نسخة : فحضور المادة لا يكون شرطاً فى إدراكه .

٣- خيال، نسخة .

٤- فى تعليقه نسخة : بل يكونون على شكل آخر وكيف آخر فلا يكونون مشتركين فيما يخیل خيال ذلك الانسان .

يُعقل خيرٌ وشرٌّ أو موافقٌ ومخالفٌ إلا عارضا لجسم، وقد يعقل ذلك بل يوجد^١. فبيّن أن هذه الأمور هي في أنفسها غير مادية، وقد عرض لها إن كانت مادية. والوهم إنما ينال ويدرك أمثال هذه الأمور.

فإذن الوهم قد يدرك أمورا غير مادية، ويأخذها عن المادة، كما يدرك أيضا معانى غير محسوسة وإن كانت مادية. فهذا النزاع إذن أشد استقصاء وأقرب إلى البساطة من النزعين الأولين، إلا أنه مع ذلك لا يجرد هذه الصورة عن لواحق المادة، لأنه يأخذها جزئية وبحسب مادة مادة، وبالقياس إليها، ومتعلقة بصورة محسوسة مكنوفة بلواحق المادة وبمشاركة الخيال فيها.

وأما القوة التي تكون الصورة المثبتة^٢ فيها، إما صور موجودات ليست بمادية البتة ولا عرض لها أن تكون مادية، أو صور موجودات مادية ولكن مبرأة عن علائق المادة من كل وجه، فبيّن أنها تدرك الصور بأن تأخذها أخذا مجردا عن المادة من كل وجه. فأما ما هو متجرد بذاته عن المادة فالامر فيه ظاهر، وأما ما هو موجود للمادة إما لأن وجوده مادي، وإما عارض له ذلك فتتزعجه عن المادة وعن لواحق المادة معه، فتأخذها أخذا مجردا، حتى يكون مثل الإنسان الذي يقال على كثيرين، وحتى تكون قد أخذ الكثير طبيعة واحدة، وتفرزه عن كل كم وكيف وأين ووضع مادي. ولو لم تجرّده عن ذلك لما صلح أن يقال على الجميع.

فبهذا يفترق إدراك الحاكّم الحسى، وإدراك الحاكّم الخيالى، وإدراك الحاكّم الوهمى، وإدراك الحاكّم العقلى. وإلى هذا المعنى كنا نسوق

١- أى تعقل مجردة وتوجد مجردة فى الخارج.

٢- المستبثة - خ.

الكلام فى هذا الفصل .

فنعول : إن الحاس فى قوته أن يصير مثل المحسوس بالفعل ، إذ كان الإحساس هو قبول صورة الشيء مجردة عن مادته فيتصور بها الحاس ، فالمبصر^١ هو مثل المبصر بالقوة^٢ ، وكذلك الملموس والمطعوم وغير ذلك ، والمحسوس الأول بالحقيقة هو الذى يرتسم فى آلة الحس وإياه يدرك ، ويشبه أن يكون إذا قيل : أحسستُ الشيء الخارجى كان معناه غير معنى أحسستُ فى النفس ، فإن معنى قوله : أحسستُ الشيء الخارجى ، أن صورته تمثلت فى حسى ، ومعنى أحسست فى النفس أن الصورة نفسها تمثلت فى حسى . فلهذا^٣ يصعب إثبات وجود الكيفيات المحسوسة فى الأجسام .

لكننا نعلم^٤ يقينا أن جسمين وأحدهما يتأثر عنه الحس شيئا ، والآخر لا يتأثر عنه ذلك الشيء أنه مختص فى ذاته بكيفية هى مبدأ إحالة الحاسة دون الآخر .

وأما ديمقراطيس وطائفة من الطبيعيين فلم يجعلوا لهذه الكيفيات وجودا البتة ، بل جعلوا الأشكال التى يجعلونها للأجرام التى لا تتجزأ أسبابا لاختلاف ما يتأثر فى الحواس باختلاف ترتيبها ووضعها . قالوا : ولهذا ما يكون الإنسان الواحد قد يحس لونا واحدا على لونين مختلفين :

١- فى تعليقة نسخة : أى المبصر بالفعل .

٢- المبصر بالكسر وهو الحاس مثل المبصر بالقوة بالفتح وهو الشيء الخارجى المحسوس بالعرض .

٣- فى تعليقة نسخة : أى فلان الشيء الخارجى لا يدرك بالذات .

٤- قوله : «لكننا نعلم» ، يريد بذلك أن يثبت أن الكيفيات المحسوسة موجودات خارجية لها حقائق فى الخارج .

بحسب وقوفين منه تختلف بذلك نسبتها من أوضاع المرئى الواحد، كطوق الحمامة^١ فإنها ترى مرة شقراً^٢ ومرة أرجوانية ومرة على لون الذهب، بحسب اختلاف المقامات، فلهذا ما يكون شئ واحد عند إنسان صحيح حلوأ، وعند إنسان مريض مُراً. فهؤلاء هم الذين جعلوا الكيفيات المحسوسة لاحقائق لها فى نفسها، إنما هى أشكال^٣.

وهاهنا قوم آخرون أيضاً^٤ ممن لا يرون هذا المذهب لا يجعلون لهذه الكيفيات حقيقة فى الأجسام، بل يرون أن هذه الكيفيات إنما هى انفعالات للحواس فقط من غير أن يكون فى المحسوسات شئ منها. وقد

١- فى تعليقة نسخة: قال المحققون طوفى الحمامة ليس المرئى منه شيئاً واحداً بل هناك اطراف ريش ذوات جهات وكل جهة لها لون يسترون جهة الاخرى بالقياس الى القائم الناظر.

٢- بعيراً شقر: شتر سخت سرخ موى. شقراء: ماديان. صراح اللغة.

٣- فى المباحث: قال بعض القدماء ان الكيفيات المحسوسة لاحقيقة لها فى انفسها بل هى انفعالات تعرض للحواس فقط. قبل لهم ولولا اختصاص الملون بكيفية مخصوصة لا توجد فى غيره لم يكن انفعال الحس عن الملون اولى من انفعاله عن الشفاف.

قال الامام: فنقول الآثار الحاصلة فى الحواس اشكال او غير اشكال؟ فان كانت اشكالاً وكل شكل ملموس فالآثر الحاصل فى العين ملموس هذا خلف. وان لم يكن اشكالاً فقد ثبت القول بوجود كيفيات وراء الاشكال فاذا جاز ذلك فائى مانع يمنع من اثباتها فى الجسم الخارجى. الوجه الثانى فى اثبات الكيفيات: ان الالوان والطعوم والروائح فيها مضادة والاشكال ليس فيها مضادة. الوجه الثالث: الاحساس بالشكل يتوقف على وجود اللون فلو كان اللون نفس الشكل لتوقف الاحساس بالشئ على الاحساس به.

قال صدر المتألهين فى الاسفار: وهذا المذهب سهل الدفع فان ما فى الحواس صورة المحسوسات ومثالها ومثال الشكل غير مثال الطعم واللون وغيرهما.

٤- راجع ص ٢١ ج ٢ ط ١ = ص ٦٧ ج ٤ ط ٢ من الاسفار.

بيننا فساد هذا الرأى ، وبيننا أن فى بعض الأجسام خاصية تؤثر فى حاسة اللسان ، مثلاً الشىء الذى نسميه إذا ذقناه حلاوة ، ولبعضها خاصية أخرى من جنسها ، وهذه الخاصة نسميها الطعم لا غير .

وأما مذهب أصحاب الاشكال فقد نقضنا أصله فيما سلف^١ .

ثم قد يظهر لنا سريعاً بطلانه ، فإنه لو كان المحسوس هو الشكل لكان يجب إذا لمسنا الشكل وأدركناه خصوصاً بالحدقة^٢ أن نكون رأينا أيضاً لونه ، فإن الشىء الواحد من جهة واحدة يدرك شيئاً واحداً ، فإن أدرك من جهة ولم يدرك من جهة ، فالذى لم يدرك منه غير المدرك ، فيكون اللون إذن غير الشكل ، وكذلك أيضاً الحرارة غير الشكل ، اللهم إلا أن يقال : إن الشىء الواحد يؤثر فى شيئين أثرين مختلفين ، فيكون أثره فى شىء مالموساً وأثره فى شىء آخر مرئياً . فإذا كان كذلك لم يكن الشكل نفسه محسوساً ، بل أثر مختلف يحدث عنه فى الحواس المختلفة غير نفسه . والحاس أيضاً جسم^٣ ، وعنده أنه لا يتأثر إلا بالشكل ، فيكون أيضاً

١- ص ١٩٠ ، ١٩٨ من الفصل الأولى الى السادس من الفن الثالث .

٢- كما فى الأجسام البعيدة عنا إذا ادركنا منها شكلاً .

٣- فى تعليقه نسخة : قوله : «والحاس أيضاً جسم» أى كالمحسوس والجسم الحاس عنده لا يتأثر إلا بالشكل عند الإدراك . فان قيل ان الشكل المحسوس هو الشكل لكن يختلف الاشكال بحسب المدارك والحواس . فشكل يكون مرئياً وشكل يكون ملموساً وهكذا فى الباقي . قلنا يمكن ان يكون شىء واحد مرئياً وملموساً وغيرهما وكيف يكون الشىء الواحد والشكل الواحد يؤثر فى آلة شكلاً وفى آلة أخرى شكلاً آخر مع ان كل شكل عنده ملموس ولا يكون عنده شكل مخصوص بالرؤية ، وشكل مخصوص بالذوق مثلاً . فعلى هذا يجوز ان يلمس هذا المرئى او هذا المذوق مثلاً لأن المرئى او المذوق كلاهما شكل والشكل ملموس أى شكل كان .

الحاس إنما يتأثر بالشكل^١، فيكون الشيء الواحد يؤثر فى آلة شكلاً ما وفى آلة أخرى شكلاً آخر لكن لاشئ من الأشكال عنده إلا ويجوز أن يلمس، فيكون هذا المرئى^٢ أيضاً يجوز أن يلمس. ثم من الظاهر البين أن اللون فيه مضادة وكذلك الطعم وكذلك أشياء أخرى، ولاشئ من الأشكال بمضاد لشيء، وهؤلاء بالحقيقة يجعلون كل محسوس ملموساً، فإنهم يجعلون أيضاً البصر ينفذ فيه شئ ويلمس، ولو كان كذلك لكان يجب أن يكون المحسوس فى الوجهين^٣ جميعاً هو الشكل فقط.

ومن العجائب غفلتهم عن أن الأشكال لا تدرك إلا أن تكون هناك ألوان أو طعوم أو روائح أو كفيات أخرى؛ ولا تحس البتة بشكل مجرد. فإن كان لأن الشكل المجرد إذا صار محسوساً أحدث فى الحس أثراً من هذه الآثار غير الشكلية، فقد صح وجود هذه الآثار. وإن لم تكن هذه الآثار إلا نفس الشكل، وجب أن يحس شكل مجرد من غير أن يحس معه شئ آخر.

وقال قوم من الأوائل: إن المحسوسات قد يجوز أن تحس بها النفس بلا وسائط البتة ولا آلات، أما الوسائط فمثل الهواء مثلاً للإبصار وأما الآلات فمثل العين للإبصار.

وقد بعدوا عن الحق، فإنه لو كان الإحساس يقع للنفس بذاتها من غير هذه الآلات لكانت هذه الآلات معطلة فى الخلقة لا ينتفع بها، وأيضاً فإن النفس إذا كانت غير جسم عندهم ولا ذات وضع فيستحيل أن يكون بعض

١- لانه جسم.

٢- قوله: «فيكون هذا المرئى» أى المرئى بالذات وهو الشبح المنطبع فى الجليدية.

٣- أى فى اللمس والبصر.

الاجسام قريباً منها ومتجها إليها فيحس ، وبعضها بعيداً منها محتجبا عنها فلا يحس . وبالجملة يجب أن لا يكون اختلاف فى أوضاع الأجسام منها وحجب وإظهار^١ ، فإن هذه الاحوال تكون للأجسام عند الأجسام . فيجب أن تكون النفس إما مدركة لجميع المحسوسات وإما غير مدركة ، وأن لا تكون غيبة المحسوس تزيله عن الإدراك . لأن هذه الغيبة عند شئ لا محالة هى خلاف الحضرة منه . فيكون عند ذلك الشئ لهذا الشئ غيبة مرة وحضور مرة ، وذلك مكانى وضعى فيجب أن تكون النفس جسماً ؛ ليس ذلك بمذهب هؤلاء ؛ وسنبين لك من بعد أن الصورة المدركة لا يتم نزعها عن المادة وعلاقق المادة يستحيل أن تستثبت بغير آلة جسدانية ؛ ولو لم تحتج النفس فى إدراك الأشياء إلى المتوسطات لوجب أن لا يحتاج البصر إلى الضوء وإلى توسط الشاف ، ولكان تقريب المبصر من العين لا يمنع الإبصار ، ولكان سد الأذن لا يمنع الصوت ، ولكانت الآفات العارضة لهذه الآلات لا تمنع الإحساس .

ومن الناس من جعل المتوسط عائقاً ، وقال إنه لو كان المتوسط كلما كان أرق كان أدل^٢ ؛ فلو لم يكن ، بل كان خلاصراً ، لتمت

١- فى تعليقه نسخة : اى لا تكون حجب وإظهار للأجسام منها .

٢- ص ٣١٨ ج ٢ من المباحث المشرقية للفخر : قال الشيخ من الناس من قال المتوسط كلما كان أرق كان أدل فلو كان خلاصراً لكان الابصار اكمل حتى يمكن ابصار النملة على السماء الخ . والمذكور فى الاسفار منقول من المباحث . ولكن عبارة الفخر منقولة بالمعنى . وقوله : لا يبصر عطف على قوله لتمت الدلالة . والمعنى ولا يبصر الشئ اكثر من المسافة التى يبصر ذلك الشئ حتى يمكن ان تبصر نملة فى السماء . وقال صدر التاليفين فى الاسفار (ج ٤ ص ٤٨ ط ١ = ج ٨ ص ٢٠٠ ط ٢) : «فعلى هذا يظهر فساد قول من قال : المتوسط كلما كان ارق كان اولى فلو كان خلاصراً لكان الابصار اكمل

الدلالة، ولأبصرَ الشيء أكبر مما يُبصر، حتى كان يمكن أن تبصر نملة في السماء.

وهذا كلام باطل، فليس إذا أوجب رفته زيادة، يجب أن يكون عدمه يزيد أيضا في ذلك، فإن الرقة ليس هي طريقا إلى عدم الجسم. وأما الخلا فهو عدم الجسم عندهم، بل لو كان الخلا موجودا لما كان بين المحسوس والحاس المتباينين موصل البتة، ولم يكن فعل ولا انفعال البتة.

ومن الناس من ظن شيئا آخر وهو أن الحاس المشترك أو النفس متعلق بالروح، وهو جسم لطيف، سنشرح حاله بعد، وأنه آلة الإدراك، وأنه وحده يجوز أن يمتد إلى المحسوسات فيلاقيها أو يوازيها أو يصير منها بوضع ذلك الوضع يوجب الإدراك.

وهذا المذهب أيضا فاسد، فإن الروح لا يضبط جوهره إلا في هذه الوقايات^١ التي تكتنفه، وأنه إذا خالطه شيء من خارج أفسد جوهره مزاجا وتركيبا. ثم ليس له حركة انتقال خارجا وداخلا، ولو كان له هذا

→ حتى كان يمكن إبصارنا النملة على السماء، لا بما ذكره في جوابه بأن هذا باطل فليس إذا أوجب رقة المتوسط زيادة قوة في الإبصار لزم أن يكون عدمه يزيد أيضا في ذلك فإن الرقة ليست طريقاً إلى عدم الجسم، لأن اشتراط الرقة في الجسم المتوسط لو كان لاجل أن لا يمنع نفوذ الشعاع فصح أنه إذا كان رقة الجسم منشأ سهولة النفوذ كان عدم الجسم فيما بين أولى في ذلك وكانت الرقة على هذا التقدير طريقاً إلى العدم، بل فساده لأنه لو لم يكن بين الرائي والمرئي أمر وجودي متوسط موصل رابط لم يكن هناك فعل وانفعال.

١- تلك الوقايات هي أوعية الروح ولكن كل وعاء ليس بواق كالغدير للماء فإن الماء لا يفسد بالخروج عنه بخلاف الروح وتلك الأوعية ولذا عبر عنها بالوقايات أي الوقايات.

لجاز أن يفارق الإنسان ويعود إليه ، فيكون للإنسان أن يموت وأن يحيا باختياره فى ساعته ولو كان الروح بهذه الصفة لما احتيج إلى الآلات البدنية .

فالحق أن الحواس محتاجة إلى الآلات الجسدانية ، وبعضها إلى وسائط ، فإن الإحساس انفعال مّا ، لأنه قبول منها لصورة المحسوس ، واستحالة إلى مشاكلة المحسوس بالفعل ، فيكون الحاس بالفعل مثل المحسوس بالفعل ، والحاس بالقوة مثل المحسوس بالقوة ، والمحسوس بالحقيقة القريب هو ما يتصور به الحاس من صورة المحسوس ، فيكون الحاس من وجه مّا يحس ذاته لا الجسم المحسوس ، لأنه المتصور بالصورة التى هى المحسوسة القريبة منها^١ . وأما الخارج فهو المتصور بالصور التى هى المحسوسة البعيدة ، فهى^٢ تحس ذاتها لا الثلج ، وتحس ذاتها لا القار ، إذا عني^٣ أقرب الإحساس الذى لا واسطة فيه . وانفعال الحاس من المحسوس ليس على سبيل الحركة ، إذ ليس هناك تغير من ضد إلى ضد ، بل هو استكمال . أعنى أن يكون الكمال الذى كان بالقوة قد صار بالفعل^٤ من غير أن بطل فعل إلى القوة .

وإذ قد تكلمنا الآن على الإدراك الذى هو أعم من الحس ، ثم تكلمنا فى كيفية إحساس الحس مطلقا ، فنقول : إن كل حاسة فإنها تدرك محسوسها وتدرك عدم محسوسها ، أما محسوسها فبالذات ، وأما عدم

١- راجع الى الحاس باعتبار القوة .

٢- فى تعليقة نسخة : أى القوة تحس نفس ذاتها لاشيئا خارجا عن ذاتها .

٣- بالاحساس والمحسوس .

٤- فى تعليقة نسخة : أى يكون استكمال من العدم الى الوجود لا ابطال امر وجودى .

محسوسها كالظلمة للعين والسكرات للسمع وغير ذلك فإنها تكون بالقوة لا بالفعل . وأما إدراك أنها أدركت فليس للحاسة ، فإن الإدراك ليس هو لونا فيبصر أو صوتا فيسمع ، ولكن إنما يدرك ذلك بالفعل العقل أو الوهم على ما يتضح من حالهما بعدُ .

الفصل الثالث

فى الحاسة اللمسية^١

وأول الحواس الذى يصير به الحيوان حيوانا هو اللمس ، فإنه كما أن

١-راجع الفصل الثانى من الباب الرابع من نفس^٥ الاسفار فى اللمس واحواله ص ٣٩ ج ١ ط ١ = ج ٨ ص ١٥٩ ط ٢.

قال العلامة الشيرازى فى شرح حكمة الاشراق ص ٤٥٤: «لكن اللمس اهم للحيوان فانه لما كان مركباً من العناصر وكان صلاحه باعتدالها وفساده بتغالبها وجب ان يكون له قوة سارية فى كلبته بها يدرك المنافى من الكيفيات».

وقال صدر المتألهين فى تعليقاته عليه: «يرد عليه ان مذكروه لا يدل على كون اللامسة قوة سارية فى البدن كله ولا على عدم صحة بقاء الحيوان بدون اللامسة ، ولو تم مذكروه لدلّ على وجودها فى النباتات بل فى الجمادات فانها ايضا مركبة من العناصر صلاحها ببقاء الاعتدال وفسادها بزواله والذى يصلح ان يقال فى اثبات هذا المطلب ان قوة اللامسة لما كانت من شأنها ادراك كيفيات العناصر وهى اوائل المحسوسات من باب الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة وموضوع هذه القوة ايضا مركب كالحيوان من العناصر بحسب صورتها التى تلزمها هذه الاوائل لاحتساب مادتها المشتركة بين الكل فقوام هذه القوة ايضا بما به قوام الحيوان بما هو حيوان اعنى كيفية الصورة العنصرية المتوسطة بين الاربع لاعتداله فلهذا سرت هذه القوة فى كل البدن الحيوانى لان طبيعتها كطبيعة الحيوان ومادتها كما دتته وكذا كل عضو من الاعضاء الحيوانية كاصل البدن مركب من صورة هذه الكيفيات اعنى المعتدل المتوسط فاذن صلاحها كصلاحه ببقاء الاعتدال وفسادها بفساده بزوال ذلك الاعتدال . فافهم يا حبيبى هذا فانه مع وضوحه دقيق .

كل ذى نفس أرضية فإن له قوة غاذية، ويجوز أن يفقد قوة من الأخرى ولا ينعكس، كذلك حال كل ذى نفس حيوانية فله حس اللمس، ويجوز أن يفقد قوة من الأخرى ولا ينعكس. وحال الغاذية عند سائر قوى التى للنفس الأرضية، حال اللمس عند سائر قوى الحيوان. وذلك لأن الحيوان تركيبه الأول هو من الكيفيات الملموسة، فإن مزاجه منها وفساده باختلالهما.

والحس طليعة للنفس، فيجب أن تكون الطليعة الأولى، هو مايدل على مايقع به الفساد ويحفظ به الصلاح وأن تكون قبل الطلائع التى تدل على أمور تتعلق ببعضها منفعة خارجة عن القوام أو مضرة خارجة عن الفساد.

والذوق، وإن كان دالا على الشئ الذى به تستبقى الحياة من المطعومات، فقد يجوز أن يعدم الذوق ويبقى الحيوان حيوانا، فإن الاحساس الآخر ربما أعان على ارتياد الغذاء الموافق واجتناب المضار.

وأما الحواس الأخرى فلا تُعين على معرفة أن الهواء المحيط بالبدن مثلا محرق أو مجمد. وبالجمله فإن الجوع شهوة اليابس الحار والعطش شهوة البارد الرطب. والغذاء بالحقيقة ما يتكيف بهذه الكيفيات التى يدركها اللمس. وأما الطعوم فتطبيبات، فلذلك كثيرا مايبطل حس الذوق لآفة تعرض فيكون الحيوان باقيا، فاللمس هو أول الحواس ولا بد منه لكل حيوان أراضى.

وأما الحركة فلقائل أن يقول: إنها أخت اللمس للحيوان، وكما أن من

الحس نوعاً متقدماً كذلك قد يشبه أن يكون من قوى الحركة نوع متقدم .
وأما المشهور فهو أن من الحيوان ما له حس اللمس وليس له قوة الحركة ،
مثل ضروب من الأصدا ف .

لكننا نقول : إن الحركة الإرادية على ضربين : حركة انتقال من
مكان إلى مكان ، وحركة انقباض وانبساط للأعضاء من الحيوان وإن
لم يكن به انتقال الجملة من موضعه فيبعد أن يكون حيوان له
حس اللمس ولا قوة حركة فيه البتة ، فإنه كيف يعلم أنه له حس
اللمس إلا بان يشاهد فيه نوع هرب من ملموس وطلب للموس . وأما
ما يتمثلون هم به من الأصدا ف والإسفنجات^١ وغيرها ، فإننا نجد
للأصدا ف فى غُلفها حركات انقباض وانبساط والتواء وامتداد فى
أجوافها ؛ وإن كانت لاتفارق أمكتتها ، ولذلك يُعرف أنها تحس
بالملموس . فيشبه أن يكون كل ما له لمس فله فى ذاته حركة مآ إرادية إما
لكليته وإما لأجزائه .

وأما الأمور التى تُلْمَسُ^٢ ، فإن المشهور من أمرها أنها الحرارة

١- فى بحر الجواهر للهروى : اسفنجة جسم بحرى رخو متخلخل كاللبد ، وعامة الفرس
تقولون أنه «ابر مرده» .

وإذا القى فى الماء نشفه وحمل منه قريباً من حبشه وهو جسم خفيف يميل الى
السواد غالباً يَبْتُ فى صخور السواحل ومنهم من يظن انه حيوان لانقباضه وتجمعه
إذا لمس .

٢- قوله : وأما الأمور التى الخ ، هذا شروع فى بيان الاشياء الملموسة وذكر اولاً أن
المشهور ذهب الى انها ثمانية اشياء ، وهى الحرارة واخواتها السبعة . والبواقى تلمس
تبعاً لهذه الثمانية . مثلاً أن الصلاة تلمس تبعاً لليوسة ، واللزوجة تبعاً للروطية . ثم
تعرض لقول المشهور فى الملموس بذاته والملموس بالعرض بان المشهور يظن ان الحرارة
والبرودة تلمسان بذاتهما بلا دخالة انفعال عضو حاس عبر عنه بالآلة . وأما البواقى

والبرودة والرطوبة واليبوسة والخشونة والملاسة والثقل والخفة. وأما الصلابة واللين واللزوجة والهشاشة^١ وغير ذلك فإنها تحس تبعا لهذه المذكورات. فالحرارة والبرودة كل منهما يُحس بذاته، لا لما يعرض في الآلة من الانفعال بها. وأما الصلابة واللين واليبوسة والرطوبة فيظن^٢ أنها لا تُحس بذاتها، بل يعرض للرطوبة أن تطيع^٣ لنفوذ ما ينفذ في جسمه، ويعرض من اليبوسة أن تعصى فتجمع العضو الحاس وتعصره، والخشونة أيضا يعرض لها مثل ذلك بأن تحدث الاجزاء النائية^٤ منه عصرا ولا تحدث الغائرة شيئا، والاملس يحدث ملاسة واستواء، وأما الثقل فيحدث تمردا إلى أسفل، والخفة خلاف ذلك.

فتقول لمن يقول هذا القول: إنه ليس من شرط المحسوس بالذات أن يكون الإحساس به من غير انفعال يكون منه، فإن الحار أيضا مالم يُسخَّن لم يحس. وبالحقيقة ليس إنما يحس ما في المحسوس بل ما يحدث منه في الحاس حتى أنه ان لم يحدث ذلك لم يحس به. لكن المحسوس بالذات هو الذي تحدث منه كيفية في الآلة الحاسة مشابهة لما فيه فيحس. وكذلك الانعصار عن اليابس والخشن والتملس من

→ سواء كانت توابع وغيرها فهي تحس بدخالة عضو حاس. وبعد نقل ظن المشهور اخذ في ردهم حيث قال: فتقول لمن يقول هذا القول

١- في تعليقه نسخة: الهشاشة ما يصعب تشكيله ويسهل تفريقه لغلبة اليابس وقلة الرطب مع ضعف المزاج واللزوجة مقابلة لها.

٢- أي المشهور.

٣- أي ان تطيع الرطوبة لنفوذ العضو الحاس ينفذ في جسم المحسوس البعيد أي المحسوس بالعرض.

٤- الاجزاء النائية من التو والناتية تقابل الغائرة. منه، أي من الجسم الخشن.

الأملس والتمدد إلى جهة معلومة من الثقيل والخفيف، فإن الثقل والخفة ميلان والتمدد أيضا ميل إلى نحو جهة مّا. فهذه الاحوال إذا حدثت فى الآلة أحس بها لا بتوسط حر أو برد، أو لون أو طعم، أو غير ذلك من المحسوسات، حتى كان يصير لأجل ذلك المتوسط غير محسوس أولى أو غير محسوس بالذات، بل محسوسا ثانيا أو بالعرض. ولكن هاهنا ضرب آخر^١ مما يحس مثل تفرق الاتصال الكائن

١- قوله: ولكن ههنا ضرب آخر، حاصل السؤال ان تفرق الاتصال امر عدى و ادراك ألمه امر وجودى فكيف يلمس التفرق وهو ليس بشىء من الامور المعدودة التى تلمس، وكذا السؤال فى نحو لذة الجماع؟ فاجاب بان الحيوان متحقق اى متكون من المزاج والتركيب والمراد من التركيب هو مقابل التفرق اى الاتصال. ولكل واحد منهما صحة ومرض والمرض ايضا قد يكون مفسد المزاج اى قد يكون مهلكا وقد لا يكون وكذلك المرض العارض للتركيب قد يكون مهلكا وقد لا يكون. واللمس حس يتقى به ما يفسد به المزاج والتركيب ايضا. فالآلم والراحة من الآلم من المحسوسات اللمسية.

ثم اورد فى الاثناء بعض الآراء تسديداً للسؤال وقال: وخصوصا وقد ظن بعض الناس الخ. ورده بقوله: ليس كذلك، لان الحار والبارد يتغير بكل واحد منهما المزاج وبذلك التغير يحس كل واحد منهما والحال ان المزاج باق على استوائه واتصاله واعتداله. يعنى ان ذلك المزاج مع تغيره الانفعالى لا يخرج عن الاستواء، يعنى لا يتحقق تفرق الاتصال لانه لو تحقق ذلك التفرق لا يكون جميع اجسام العضو اللامس متشابهة مستويا، والحال ان جميع اجسام العضو مستو متشابه مع صدق ذلك التغير الانفعالى فلا يكون سائر الكيفيات اى جميعها انما تحس بتوسط ما يحدث من تفرق الاتصال.

وبعد ذلك اجاب عن سؤال مقدر وهو ان بعض الامراض مع شدته لا يحس كالدق يعنى حمى الدق وبعضها مع كونه ليس بتلك الشدة يحس كالغيب اى حمى الغيب. فاجاب عنه بقوله: ونقول ان كل حال الخ.

ثم اعلم ان لصدر المثاليين فى الفصل الخامس من القسم الثالث من الجواهر والاعراض من الاسفار تحقيقا انيقا فى المقام (ص ٤١ ط ٢ = ص ١٢٥ ج ٤ ط ٢) فراجع. وراجع ايضا العين الثامنة عشرة من عيون مسائل النفس.

بالضرب وغير ذلك، وذلك ليس بحرارة ولا برودة ولا رطوبة ولا يوسه ولا صلابه ولا شيء من المعدودات،^١ وكذلك أيضا الإحساس بالملذات اللمسية مثل اللذة التي للجماع وغير ذلك، فيجب أن ننظر أنها كيف هي وكيف تنسب إلى القوة اللمسية وخصوصا وقد ظن بعض الناس أن سائر الكيفيات إنما تحس بتوسط ما يحدث من تفرق الاتصال. وليس كذلك^٢، فإن الحار والبارد من حيث يتغير به المزاج يحس على استوائه، وتفرق^٣ الاتصال لا يكون مستويا متشابهيا في جميع الاجسام.

لكننا نقول^٤: إنه كما أن الحيوان متكون بالامتزاج الذي للعناصر، كذلك هو متكون أيضا بالتركيب. وكذلك الصحة والمرض، فإن منهما ما ينسب إلى المزاج ومنها ما ينسب إلى الهيئة والتركيب. وكما أن من فساد المزاج منه ما هو مفسد كذلك من فساد التركيب منه ما هو مهلك؟ وكما أن اللمس حس يتقى به ما يفسد المزاج، كذلك هو حس يتقى به ما يفسد التركيب. فاللمس أيضا يدرك به تفرق الاتصال ومضاده وهو عوده إلى الالتئام.

ونقول: إن كل حال مضادة لحال البدن فإنها يحس بها عند الاستحالة وعند الانتقال إليها، ولا يحس بها عند حصولها واستقرارها. وذلك لأن الإحساس انفعال مّا أو مقارن لانفعال مّا، والانفعال إنما يكون عند زوال

١- في المطبوعة بمصر: ولا صلابه ولا لين ولا شيء من المعدودات. ولكن المتن موافق لنسخنا الثلاثة المخطوطة.

٢- جواب عن ذلك الظن.

٣- الواو حالية.

٤- جواب عن قوله: ولكن هيهنا ضرب آخر الخ.

شئ وحصول شئ، وأما المستقر فلا انفعال به . وذلك فى الأمزجة الموافقة والرديئة معا، فإن الأمزجة الرديئة إذا استقرت وأبطلت الأمزجة الأصلية حتى صارت هذه الرديئة كأنها أصلية لم يحس بها، ولذلك لا تحس بحرارة الدق وإن كانت أقوى من حرارة الغيب . وأما إن كانت الأصلية موجودة بعد وهذه الطارئة مضادة لها أحس بها، وهذا يسمى سوء المزاج المختلف، وهذا المستقر يسمى سوء المزاج المتفق، فالآلم والراحة من الآلم أيضا من المحسوسات اللمسية .

وفى فارق اللمس فى هذا المعنى سائر الحواس، وذلك لأن الحواس

١- قوله : وفى فارق اللمس، أقول : اللمس لانغماره فى الطبيعة كان ادراكه فى منغمره وكذا الذوق والشم . فهذه الثلاثة احكام الطبيعة غالبية عليها فلا يتحقق ادراكها الا بجماسة محسوساتها الخارجية اعنى بها المحسوس بالعرض فتلذ وتالم كل واحدة منها من محسوساتها القريبة اعنى بها الذاتية فى موطنها ومنغمرها . بخلاف البصر والسمع فان لهما شأنًا من التفوق والاستعلاء على الطبيعة فلا لذة ولا ألم لهما من محسوساتهما المبصرة والمسموعة . بل النفس تلذ وتالم من داخل .
فان قلت : ان النفس مطلقا مدركة لان تلك القوى كلها فروعها فلا فرق من هذه الحيثية بين تلك الثلاثة وبين هاتين .

قلت : لا مشاحة فى ذلك وانما الكلام فى ان اللمس الذى من فروع النفس انما هو مدرك فى موطنه وانما يلذ او يالم من ملموسه فى موطنه ومنغمره من حيث انه ملموسه وكذا الذوق والشم . بخلاف البصر والسمع فانهما لا يلتذان ولا يتألمان من مدركاتهما من حيث انهما مبصرة او مسموعة وانما ذلك الالتذاذ والتألم للنفس من داخل لا فى موطنهما . فان احسبتهما لذة او ألم فانما تلك الاصابة من حيث اللمس السارى فيهما كسائر اللوامس .

وبالجملة اللمس منغمر فى الطبيعة وان كان فى الرتبة فوقها . يعنى ان الطبيعة اذا صوعدت صارت لمساً واللمس اذا صوعد صار ذوقاً وهكذا الذوق اذا صوعد صار شماً، والشم سمعاً والسمع بصرأ والبصر خيالاً والخيال عقلاً وان للنفس فى كل واحدة

الأخرى: منها ما لا لذة لها في محسوسها ولا ألم. ومنها ما يلتذ و يالم بتوسط أحد المحسوسات. فاما التي لا لذة فيها فمثل البصر لا يلتذ بالالوان

منها حكماً بحسبها. ولكل واحدة منها بحسب انغمارها في الطبيعة وانقهارها عليها حكماً آخر وإن كان حكمها حكمها فافهم.

ثم ان لصدر المثاليين كلاماً في المقام في الاشراق السادس من الشاهد الاول من المشهد الثالث من الشواهد الربوبية (ص ١٣٣ ط ١ = ١٩١ ط ٢) قال: «حكمة عرشية: وما ذكره الشيخ في القانون: ان هاتين القوتين [السمع والبصر] لا لذة لهما في محسوسيه ولا ألم بخلاف البواقى. فمعجزت عن دركه شرآح القانون واعترضوا عليه وطال الكلام بينهم جرحاً وتعديلاً ولم يأتوا عن آخرهم بشيء يطمئن به القلب. وفيما قُسم لنا من الملوك ان الحيوان بما هو حيوان تتقوم مادة حياته من الكيفيات الملموسة وهذه اولى مرتبة الحيوانية التي لا يخلو منها حيوان. كما لا يخلو حيوان من قوة اللمس لان المدرك من كل شيء والشاعر من كل شيء قوة من باب ما يدركه آلة من جنس ما يشعر به ويحضر عنده اذ به يخرج من القوة الى الفعل فالملايم والمنافر للحيوان بما هو حيوان ولا دنى الحيوانات اولا وبالذات اتما هما من مدركات قوة اللمس لانها يتقوم بها بدنه.

ثم مدركات الذائقة في الحيوانات المرتفعة درجتها قليلاً عن ادنى المراتب فيفتقر الى اغذية مخصوصة والى قوة من شأنها تمييز النافع عن الضار فيما يتغذى ويزداد به بدنه من المذوقات وتالى الكيفيتين في الملايمة والمنافرة مدركات الشامة حيث يتغذى بها لطائف الاعضاء كالارواح البخارية.

واما مدركات السامعة والباصرة فليس للحيوان بما هو حيوان اليها حاجة قريبة لان بدنه ليس مركباً من الاصوات ولا من الاضواء ولا الالوان ولا لاشك في ان الآلات الحساسة جسم حيوانى واللذة هى ادراك الملايم والملايم للجسد الحيوانى اما الملموس او المذوق او المشموم لا الاصوات والانوار بل هى ملايمة للنفس التى هى من عالم النور كما سيجىء وقس عليها حال الالم. وما يؤكد ما ذكرنا ان جنس الحيوان مدة مديدة فى الموضع المظلم الخالى عن الصوت لا يوجب موته بخلاف حيسه عن الملموس لحظة وعن المطعوم اياماً قلائل والشم ضرب من الطعم قد يصير بدلاً منه فى بعض الحيوان احياناً وفى الجن دائماً. انتهى كلامه.

ولا يتألم، بل النفس تتألم من ذلك وتلتذ من داخل . وكذلك الحال فى الأذن، فإن تألمت الأذن من صوت شديد والعين من لون مفرط كالضوء فليس تألم من حيث تسمع أو تبصر، بل من حيث تلمس، لأنه يحدث فيه ألم لمسى، وكذلك تحدث فيه^١ بزوال ذلك لذة لمسية . وأما الشم والذوق فتتألمان وتلتذنان إذا تكيفتا بكيفية منافرة أو ملائمة . وأما اللمس فإنه قد يتألم بالكيفية الملموسة ويلتذ بها، وقد يتألم ويلتذ بغير توسط كيفية هى المحسوس الأول، بل بتفرق الاتصال والتتامه .

ومن الخواص التى لللمس أن الآلة الطبيعية التى يحس بها وهى لحم عصبى أو لحم وعصب تحس باللماسة، وإن لم يكن متوسط^٢ البتة، فإنه لامحالة يستحيل عن المماسات ذوات الكيفيات؛ وإذا استحال عنها أحس، ولا كذلك حال كل حاسة مع محسوسها . وليس يجب أن يظن أن الحساس هو العصب فقط، فإن العصب بالحقيقة هو مؤد للحس اللمسى إلى عضو غيره وهو اللحم . ولو كان الحساس نفس العصب فقط، لكان الحساس فى جلد الإنسان ولحمه شيئا منتشرا كالليف، وكان حسه ليس بجميع^٣ أجزائه، بل أجزاء ليفية فيه، بل العصب الذى لحس^٤ اللمس مؤد وقابل معا . والعصبه المجوفة مؤدية للبصر لكنها غير

١- لأنه يحدث فيها ألم لمسى وكذلك تحدث فيها (كما فى المطبوعة بمصر) . ومخطوطاتنا موافقة للمتن أى يحدث فى كل واحد منهما ...

٢- بتوسط . كما فى عدة نسخ .

٣- ليس لجميع أجزائه نسخة . قال الهروى فى بحر الجواهر : ليف بالكسر : پوست درخت خرما . و در طب عبارتست از ريشه‌ای پی و رباط . وفيه ايضاً : البردية هى الرطوبة الجليدية .

٤- الذى يحس اللمس . كما فى عدة نسخ .

قابلة، إنما القابل ما إليه تؤدى وهو البردية أو ما هو مستول^١ عليه وهو الروح.

فبين إذن أن من طباع اللحم أن يقبل الحس، فإن كان يحتاج أن يقبله من مكان آخر ومن قوة عضو آخر توسط بينهما العصب. وأما إن كان المبدأ موجودا فيه فهو حساس بنفسه وإن كان لحما، وذلك كالقلب. وإن انتشر فى جوهر القلب ليف عصبى^٢، فلا يبعد أن يكون ليلتقط عنه الحس ويؤديه إلى أصل واحد يتأدى عنه إلى الدماغ، وعن الدماغ إلى أعضاء أخرى، كما سيتضح بعد. وكالحال فى الكبد من جهة انبثاث عروق ليفية فيه لتقبل عنه وتؤدى إلى غيره، ويجوز أن يكون انبثاث الليف فيه ليقوى قوامه ويشتد لحمه، وسنشرح هذه الأحوال فى مواضع آخر مستقبله.

ومن خواص اللمس أن جميع الجلد الذى يطيف بالبدن حساس باللمس ولم يفرده جزء منه. وذلك لأن هذا الحس لما كان طليعة تراعى الواردات على البدن التى تعظم مفسدتها إن تمكنت من أى عضو وردت عليه، وجب أن يجعل جميع البدن حساسا باللمس؛ ولأن الحواس الأخرى قد تتأدى إليها الأشياء من غير مماسة ومن بعيد، فيكفى أن تكون

١- مشتمل، نسخة.

٢- قال فى الفصل الاول من التعليم الحساس من كليات القانون ص ٤٦ و ٤٧ من الطبع الناصرى وص ١٦ من الطبع الرحلى: قال كبير الفلاسفة: العضو المعطى الغير القابل هو القلب وهو الاصل الاول لكل قوة وهو يعطى لسائر الاعضاء القوى التى بها تغذى والتى بها تحس والتى بها تدرك وتحرك. قال الأملى فى شرحه: وإنما قيد الاصل بالاول لان الدماغ اصل ثان وكذا الكبد فى اعطائهما قوة الحس والحركة والتغذية بعد قبولهما من القلب.

آلتها عضوا واحدا إذا أورد عليه المحسوس^١ الذى يتصل به ضرر عرفت النفس ذلك فاتقته وتحت بالبدن عن جهته . فلو كانت الآلة اللامسة بعض الأعضاء ، لما شعرت النفس إلا بما يماسها وحدها^٢ من المفسدات . ويشبه أن تكون قوى اللمس قوى كثيرة^٣ كل واحد واحد منها تختص بمضادة ، فيكون ماتدرك به المضادة التى بين الحار والبارد غير الذى تدرك به المضادة التى بين الثقيل والخفيف . فإن هذه أفعال أولية لللمس يجب أن تكون لكل جنس منها قوة خاصة ، إلا أن هذه القوى لما انتشرت فى جميع الآلات بالسوية ظنت قوة واحدة ، كما لو كان اللمس والذوق منتشرين فى البدن كله انتشارهما فى اللسان لظن مبداهما^٤ قوة واحدة ، فلما تميزا فى غير اللسان عرف اختلافهما .

وليس يجب ضرورة أن تكون لكل واحدة من هذه القوى آلة تخصها ،

١- فى تعليقة نسخة : اما كون اللمس بهذه الحالة اى بان لا يحس الا باللماسة والقوى الاخرى لا تحتاج اليها لشدة تادية هذه القوة دون ساير القوى .

٢- فى تعليقة نسخة : دون باقى الاعضاء .

٣- فى تعليقة نسخة : اللموسات لما كانت حقايق مختلفة محسوسة من حيث حقايقها المختلفة فان الثقل من حيث هو ثقل والبرودة من حيث هى برودة ملموسان لامن حيث انه امر مشترك بينهما يكون هو ملموس بذاته ويكون الثقل والبرودة وصفين لاحقين به فلامحالة يجب ان تكون القوة اللامسة متعددة بخلاف المبصرات فانها ليست محسوسة من حيث خصوصياتها المتميزة التى هى السوادية والبياضية وغيرهما بل من حيث الاشتراك بينهما وهو كونها لونا فقط بحيث لو وجد اللون لما هولون فقط مجرداً عن جميع الخصوصيات لكان مبصراً لامحالة فلذلك لم يجعل محلها الاقوة واحدة وفى آخر الفصل الخامس الاثنى قال الشيخ ما مفاده هذا .

٤- المبدأ ان على التثنية اضعيف إلى الضمير . واعلم ان صدر المتألهين ذكر فى ص ٨ ج ٤ ط ١ = ص ٢٠٠ ج ٨ ط ٢ من نفس الاسفار إنحصار الحواس فى هذه الخمس فراجع .

بل يجوز أن تكون آلة واحدة مشتركة لها ، ويجوز أن يكون هناك انقسام في الآلات غير محسوس ، وقد اتفق في اللمس أن كانت الآلة الطبيعية^١ بعينها هي الواسطة . ولما كان كل واسطة يجب أن يكون عادما في ذاته لكيفية ما يؤديه ، حتى إذا قبلها وأداها أدى شيئا جديدا ، فيقع الانفعال عنه فيقع^٢ الإحساس به . والانفعال لا يقع إلا عن جديد كان كذلك أيضا آلة اللمس .

لكن المتوسط الذى ليس هو مثلا بحار ولا بارد يكون على وجهين : أحدهما على أنه لاحظ له من هاتين الكيفيتين أصلا ؛ والثانى ما له حظ منهما ولكن صار فيه إلى الاعتدال ، فليس بحار ولا بارد ، بل معتدل متوسط .

ثم لم يمكن أن تكون آلة اللمس خالية أصلا عن هذه الكيفيات ، لأنها مركبة منها ، فوجب أن يكون خلوها عن هذه الأطراف بسبب المزاج والاعتدال لتُحس ما يخرج عن القدر الذى لها . وما كان من أمزجة اللامسات أقرب إلى الاعتدال ، كان الطف إحساسا . ولما كان الإنسان أقرب الحيوانات كلها من الاعتدال كان ألطفها لمسا . ولما كان اللمس أول الحواس ، وكان الحيوان الأرضى لا يجوز أن يفارقه ، وكان لا يكون إلا بتركيب معتدل ليحكم به بين الأضداد ؛ فبين^٣ من هذا أنه ليس للبسائط

١- يعنى العصب هو الواسطة فى تأدية الحس اللمسى إلى عضو آخر هو اللحم .

٢- يقع الإحساس به ، نسخة .

٣- جواب «لما كان» . وفى تعليقه نسخة : قوله «فبين من هذا» : أى من أن اعتدالاً ماموجب للحكم بين الأضداد فالبسائط التى لا تركيب فيها أصلاً فضلاً عن الاعتدال تكون خالية عن القوة وكذلك ما يشبه البسائط كالجماد والنبات من المركبات خالية عن القوة لعدم الاعتدال فيهما .

وما يقرب منها^١ حس البتة ولا حياة إلا النمو في بعض ما يقرب من
البسائط . فليكن هذا مبلغ ما نقوله في اللمس .



الفصل الرابع

فى الذوق والشم

واما الذوق فإنه تال للشم ، ومنفعته أيضا فى الفعل الذى به يتقوم البدن وهو تشهية الغذاء واختياره ، ويجانس اللمس فى شىء وهو فى أن المذوق يدرك فى أكثر الأمر^١ بالملامسة ، ويفارقه فى أن نفس الملامسة لا تؤدى الطعم ، كما أن نفس ملامسة الحار مثلا تؤدى الحرارة ، بل كانه محتاج إلى متوسط يقبل الطعم ويكون فى نفسه لا طعم له وهو الرطوبة اللعابية المنبعثة من الآلة المسماة بالملعبة^٢ . فإن كانت هذه الرطوبة عديمة الطعم أدت الطعوم بصحة وإن خالطها طعم ، كما يكون للممرورين من المرارة ، ولمن فى معدته خلط حامض من الحموضة شابت ما تؤديه بالطعم الذى فيه فتحيله مرأ أو حامضا .

١- فى تعلية نسخة : قوله «فى أكثر الامر» لعل مراده ان الذائق قد يمكن ان يلمس بعض المذوقات ولا يحس منه طعم .

٢- قوله - قدس سره - «من الآلة المسماة بالملعبة» اللعبة بتقديم الميم وكسرهما من : ل- ع- ب اسم آلة كالمكنسة أى آلة تورث الرطوبة اللعابية . والقراءة بتقديم الباء على اللام من : ب- ل- ع ملحونة .

ومما فيه موضع نظر هل هذه الرطوبة إنما تتوسط بأن تخالطها أجزاء ذى الطعم مخالطة تنتشر فيها ثم تنفذ فتغوص فى اللسان حتى تخالط اللسان فيحسه ، أو تكون نفس الرطوبة تستحيل إلى قبول الطعم من غير مخالطة ، فإن هذا موضع نظر . فإن كان المحسوس هو المخالط فليست الرطوبة بواسطة مطلقة ، بل واسطة تسهل وصول الجوهر المحسوس الحامل للكيفية نفسها إلى الحاس وأما الحس نفسه فإنما هو بلامسة الحاس للمحسوس بلا واسطة . وإن كانت الرطوبة تقبل الطعم وتتكيف به فيكون المحسوس بالحقيقة أيضاً هو الرطوبة ويكون أيضاً بلا واسطة^١ ، ويكون الطعم إذا لاقى آلة الذوق أحسته ، فيكون لو كان للمحسوس الوارد من خارج سبيل إلى الماسة الفائضة من غير هذه الواسطة لكان ذوق ، لا كالمبصر الذى لا يمكن أن يلقى آلة الإبصار بلا واسطة . وإذا مست الآلة المبصر لم يدرك البتة^٢ ، لكنه بالحرى أن تكون هذه الرطوبة للتسهيل وأنها تتكيف وتختلط معاً ، ولو كان سبيل إلى الملامسة المستقصاة من غير هذه الرطوبة لكان يكون ذوق .

فإن قيل : ما بال العفوصة تذاق وهى تورث السُّدَدَ وتمنع النفوذ؟ فنقول : إنها أولاً تخالط بوساطة هذه الرطوبة ثم تؤثر أثرها من التكثيف وقد خالطت . والطعوم التى يدركها الذوق هى الخلاوة^٣ والمرارة^٤

١- فى تعليقه نسخة : أى كما فى الأول أو كما يكون محسوساً بالذات .

٢- وإذا مست الآلة المدركة لم تدرك البتة . (كما فى نسختين من الشفاء ونسخة أخرى كما فى المتن) .

٣- شيرينى .

٤- تلخى .

والحموضة^١ والقبض^٢ والعفوصة^٣ والحرافة^٤ والدسومة^٥ والبشاعة^٦ والتفه^٧. والتفه يشبه أن يكون كأنه عدم الطعم، وهو كما يذاق من الماء ومن بياض البيض. وأما هذه الأخرى فقد تكثرت بسبب أنها متوسطات^٨ وأنها أيضا مع ما تحدث ذوقا يحدث بعضها لمسا، فيتركب من الكيفية الطعمية ومن التأثير اللمسى شىء واحد لا يتميز فى الحس، فيصير ذلك الواحد كطعم محض متميز، فإنه يشبه أن يكون طعم من الطعوم المتوسط بين الأطراف يصحبه طعم وتفریق وإسخان وتسمى جملة ذلك حرافة، وآخر يصحبه طعم وتفریق من غير إسخان وهو الحموضة، وآخر يصحبه مع الطعم تجفيف وتكثيف وهو العفوصة. وعلى هذا القياس ما قد شُرح فى الكتب الطبية.

وأما الشم فإنه وإن كان الإنسان أبلغ حيلة فى التشمم من سائر

١- ترشى.

٢- خشكى.

٣- دبش، غلوگیر. وفى تعلیقة نسخة العفص والقابض متقاربان فى الطعم لكن القابض يقبض ظاهر اللسان والعفص باطنه ایضاً.

٤- تندى، تیزی.

٥- جربى.

٦- بدمزه. قال السید فى شرح المواقف ص ٢٨٤ ج ٥: فمن الطعوم المركبة ما له اسم على حدة نحو البشاعة المركبة من مرارة وقبض كما فى الحوض. قال الجوهرى: شىء بشع ای کرهه الطعم یاخذ بالخلق (بحر الجواهر). وقال صدر المثالین فى الاسفار: قد تتركب طعمان فى جرم واحد مثل اجتماع المرارة والقبض ویسمى بشاعة. (الاسفار ج ٢ ص ٣٣ ط ١ = ج ٤ ص ١٠٣ ط ٢).

٧- بى مزه.

٨- ای بین الاطراف یعنى المتوسط بین عديم الطعم وشديد الطعم الذى اذا ورد على القوة یبطلها.

الحيوانات ' فإنه يُشير الروائح الكامنة بالدلك ، وهذا ليس لغيره ، ويتقصى فى تحسسها بالاستنشاق ، وهذا لا يشاركه فيه غيره . فإنه لا يقبل الروائح قبولا قويا حتى يحدث فى خياله منها مثل ثابتة كما تحصل للملموسات والمطعمات . بل تكاد أن تكون رسوم الروائح فى نفسه رسوما ضعيفة . ولذلك لا تكون للروائح عنده أسماء إلا من جهتين :

إحدهما من جهة الموافقة والمخالفة بأن يقال طيبة ومنتنة ، كما لو قيل للطعم إنه طيب وغير طيب من غير تصور فصل أو تسمية .

والجهة الأخرى أن يشتق لها من مشاكلتها للطعم اسم فيقال رائحة حلوة ورائحة حامضة ، كأن الروائح التى اعتيد مقارنتها لطعوم ما تنسب إليها وتعرف بها .

ويشبه أن يكون حال إدراك الروائح من الناس كحال إدراك أشباح الأشياء والوانها من الحيوانات الصلبة العين ، فإنها تكاد أن تكون إنما تدركها كالتخيل غير المحقق وكما يدرك ضعيف البصر شبحا من بعيد . وأما كثير من الحيوانات الصلبة العين فإنها قوية جدا فى إدراك الروائح مثل النمل ، ويشبه أن لا تحتاج أمثالها إلى التشمم والتنشق ، بل تتأدى إليها الروائح فى الهواء .

وواسطة الشم أيضا جسم لا رائحة له كالهواء والماء وهى التى تحمل رائحة المشمومات^٢ .

١- قال الرازى : الانسان يكاد ان يكون ابلغ الحيوانات فى الشم إلا انه اضعفها فى بقاء متمثلة فى خياله فان رسوم الروائح فى نفس الانسان ضعيفة جداً ولذلك لا يكون للروائح عنده أسماء إلا من وجهين .

٢- أى الواسطة هى التى تحمل رائحة المشمومات ، نسخة .

وقد اختلف الناس فى الرائحة : فمنهم من زعم أنها تتأدى بمخالطة شىء من جرم ذى الرائحة متحلل متبخر فيخالط المتوسط . ومنهم من زعم أنها تتأدى باستحالة من المتوسط من غير أن يخالطه شىء من جرم ذى الرائحة متحلل عنه . ومنهم من قال إنها تتأدى من غير مخالطة شىء آخر من جرمه ومن غير استحالة من المتوسط . ومعنى هذا أن الجسم ذا الرائحة يفعل فى الجسم عديم الرائحة وبينهما جسم لارائحة له من غير أن يفعل فى المتوسط ، بل يكون المتوسط مُمكنًا من فعل ذلك فى هذا ، على مايقال فى تأدى الأصوات والألوان .

فحرى بنا أن نحقق هذا ونتأمله .

ولكن لكل واحد من المدعين^١ بشىء من هذه المذاهب حجة .

فالقائل بالبخار والدخان يحتج ويقول : إنه لو لم تكن الرائحة تسطع بسبب تحلل شىء ، ما كانت الحرارة وما يهيئ الحرارة من الدلك والتبخير ومايجرى مجرى ذلك مما يذكى الروائح ولما كان البرد مما يحتبسها^٢ . فبين أن الروائح إنما تصل إلى الشم ببخار يتبخر من ذى الرائحة ، يخالطه الهواء وينفذ فيه ، ولهذا إذا استقصيت تشمّ التفاحة ذُبُلْتُ لكثرة مايتحلل منها .

والقائلون بالاستحالة احتجوا وقالوا : إنه لو كانت الروائح التى تملأ المحافل إنما تكون بتحلل شىء لوجب أن يكون الشىء ذو الرائحة ينقص وزنه ويقلّ حجمه مع تحلل مايتحلل منه .

وقال أصحاب التأدية : خصوصاً إنه لايمكننا أن نقول إن البخار

١- المدعين ، نسخة .

٢- لاكان البرد يخفيها ، نسخة .

يتحلل من ذى الرائحة فيسافر مائة فرسخ فما فوقه، ولا أيضا يمكننا أن نحكم أن ذا الرائحة أشد إحالة للأجسام من النار فى تسخينها، والنار القوية إنما تسخن ما حولها إلى حد، وإذا بلغ ذلك غلوة^١ فهو أمر عظيم، وقد نجد من وصول الروائح إلى بلاد بعيدة مايزيل الشك فى أن وصولها لم يكن بسبب بخار انتشر أو استحالة^٢ فشت. فقد علم أن بلاد اليونانيين والمغاربة لا ترى فيها رَخْمَة^٣ البتة ولا تاوى إليها وبينها وبين البلاد المُرْخمة مسافة كثيرة تقارب ماذكرناه^٤. وقد اتفق فى بعض السنين أن وقعت ملحمة^٥ بتلك البلاد فسافرت الرَخَم إلى الجيْف ولا دليل لها إلا الرائحة، فتكون الرائحة قد دلت من مسافة بعدها بُعدًا لايجوز معه أن يقال إن الأبخرة أو الاستحالات من الهواء وصلت إليه.

فنقول نحن: إنه يجوز أن يكون المشموم هو البخار، ويجوز أن يكون الهواء نفسه يستحيل عن ذى الرائحة فيصير له رائحة فيكون حكمه أيضا حكم البخار فيكون كل شىء لطيف الأجزاء من شأنه أن ينفذ إذا بلغ آلة الشم ولا قاماها كان بخارا أو هواء مستحيلا إلى الرائحة أحس به^٥. وقد علمت أن كل متوسط يوصل إليه بالاستحالة، فإن المحسوس أيضا لو تمكّن من ملاقة الحاس لأحس به بلا واسطة.

١- غلوة: مقدار يك تير انداختن راه.

٢- كركس، لاشخوار.

٣- أى تقارب مائة فرسخ.

٤- الملحة: الواقعة العظيمة القتل.

٥- بالرائحة: نسخة.

وبما يدل على أن الاستحالة لها مدخل في هذا الباب، أنا مثلاً نبخر الكافور تبخيراً يأتي على جوهره كله^١، فتكون منه رائحة منتشرة انتشاراً إلى حد وقديمكن أن تنتشر منه تلك الرائحة في أضعاف ذلك الموضع بالنقل، والوضع جزءاً جزءاً من ذلك المكان كله حتى يتشمم منه في بقعة ضيقة صغيرة من تلك الأضعاف مثل تلك الرائحة. فإذا كان في كل واحدة من تلك البقاع الصغيرة يتبخّر منه شيء فيكون مجموع الأنجرة التي تتحل منه في جميع تلك البقاع التي تزيد على البقعة المذكورة أضعافاً مضاعفة للبخار كله الذي يكون بالتبخير أو مناسبا له، فيجب أن يكون النقصان الوارد عليه في ذلك^٢ قريباً من ذلك^٣ أو مناسبا له ولا يكون. فبين أن هاهنا للاستحالة مدخلاً.

وأما حديث التادية^٤ المذكورة فأمر بعيد، وذلك لأن التادية لا تكون إلا بنسبة مّا ونسبة^٥ للمؤدى عنه إلى المؤدى إليه. وأما الجسم ذو الرائحة فليس يحتاج إلى شيء من ذلك، فإنك لو توهمت الكافور قد نُقل إلى حيث لا تتأدى إليك رائحته، بل قد عُدّ دفعةً، لم يمنع أن تكون رائحته بعده^٦ باقية في الهواء، فذلك لامحالة لاستحالة أو مخالطة.

١- في تعليقة نسخة: أي بحيث يفنى كله.

٢- أي النقل.

٣- في تعليقة نسخة: أي التبخير الذي وقع على جوهره.

٤- وهو المذهب الثالث.

٥- كما في جميع النسخ التي عندنا وهذا هو الصواب. فمعنى العبارة على قراءة الصاد في النسبة الثانية ظاهر. وعلى قراءة السين بيان للنسبة الأولى والتأسيس أولى من التاكيد.

٦- أي بعد النقل والعدم.

وأما حديث الرَّحْمَ فَإِنَّه قد يجوز أن تكون رياح قوية تنقل الروائح والأنجرة المتحللة عن الجَيْفِ إلى المسافة المذكورة فى أعلى الجو فيُحَسَّ بها ما هو أقوى حساً من الناس وأعلى مكاناً مثل الرخم وغيره . وأنت تعلم أن الروائح وإن كانت قد تصل إلى كثير من الحيوانات فوق ما تصل إلى الناس بكثير، فقد تتأدى إليها المبصرات من مسافة بعيدة وهى تحلّق فى الجو حتى يبلغ إبصارها فى البعد مبلغاً بعيداً جداً، وحتى يكون ارتفاعها أضعاف ارتفاع قُلل الجبال الشاهقة . وقد رأينا قُلل جبال شاهقة جداً وقد جاوزتها النسور^١ محلقة، حتى يكاد أن يكون ارتفاعها ضعف ارتفاع تلك الجبال . وقُلل تلك الجبال قد ترى من ست أو سبع مراحل، وليس نسبة الارتفاع إلى الارتفاع كنسبة بُعد المرئى إلى بُعد المرئى^٢، فإنك ستعلم فى الهندسة أن النسب فى الأبعاد التى منها يرى أعظم وأكبر . فلا يبعد أن تكون الرَّحْمَ قد علّت فى الجو بحيث ينكشف لها بُعد هذه المسافة فرأت الجيف، فإن كان يستنكر تأدى أشباح هذه الجيف إليها

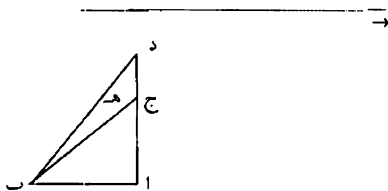
١- تحليق الطائر: ارتفاعه فى طيرانه . ص

٢- نسر: كركس، ج: نسور .

٣- الرائى، نسخة . وفى تعليقه نسخة: «قوله: وليس نسبة الارتفاع الى الارتفاع كنسبة بُعد المرئى الى بُعد المرئى، لأنه يمكن أن يكون الارتفاع مثلاً عشرة أذرع ويرى بُعد المرئى من العمود الخارج عن البصر الى السطح بهذا الارتفاع خمسين ذراعاً مثلاً . فإذا صار الارتفاع خمسة عشر ذراعاً مثلاً يرى هذا المرئى بعيداً عن العمود المذكور عشرة أذرع مثلاً . فلا تكون نسبة الارتفاع الى الارتفاع كنسبة بُعد المرئى من العمود الى بُعد المرئى من العمود .

وبيان ما ذكره: أن الأبعاد ترى من المواضع البعيدة أقصر فإن كل مرئى واقع فى سطح يرتفع عنه البصر فانه يرى اقرب اذا صار البصر ارفع . فليكن السطح «ا- ب»، والمرئى «ب»، والبصر هو «هـ» مرتفع عنه بقدر «ا- ج» .

فتادى روائحها التى هى أضعف تأديا أولى بالاستنكار . وكما أنه ليس يحتاج كل حيوان فى تحريك الجفن والمقلة إلى أن يبصر كذلك ليس يحتاج كل حيوان إلى استنشاق حتى يشم ، فإن كثيرا منها يأتيها الشم من غير تشم .



فنقول : ان «ب» يرى اقرب من «الف» موقع العمود الخارج من البصر الى السطح اذا صار «ج» «د» بقدر «ا-ج» . لان زاوية «ا-ب-د» اعظم من زاوية «ا-ب-ج» وزاوية «الف» بحاله . فتكون زاوية «ا-ج-ب» اعظم من زاوية «ا-د-ب» . وايضاً زاوية «ا-ج-ب» خارجة عن مثلث «د-ج-ب» . وله وجوه اخرى .

ثم ان فى تعليقة اخرى توضيح على هذه التعليقة السابقة ذكرها وهو : «قوله فان كل مرئى واقع فى سطح يرتفع عنه البصر فانه يرى اقرب اذا صار البصر ارفع» : اى اقرب من موقع العمود الخارج من البصر الى السطح كما يظهر من عبارته فيما بعد .

الفصل الخامس

فى حاسة السمع

وإذ قد تكلمنا فى أمر اللمس والذوق والشم، فبالحرى أن نتكلم فى أمر السمع. فنقول: إن الكلام فى أمر السمع يقتضى الكلام فى أمر الصوت وماهيته، وقد يليق بذلك الكلام فى الصدى. فنقول:

إن الصوت ليس أمرا قائم الذات موجودا ثابت الوجود يجوز فيه مايجوز فى البياض والسواد والشكل من أحكام الثبات على أن يصح فرضه ممتد الوجود وأنه مثلا لم يكن له مبدأ وجود زمانى كما يصح هذا الفرض فى غيره، بل الصوت بين واضح من أمره أنه أمر يحدث وأنه ليس يحدث إلا عن قلع أو قرع. أما القرع فمثل ما تقرع صخرة أو خشبة فيحدث صوت. وأما القلع فمثل ما يقلع أحد شقى مشقوق عن الآخر كخشبة تنحى عليها بأن يبين أحد شقيها عن الآخر طولا. ولا تجد أيضا مع كل قرع صوتا، فإن قرعتَ جسما كالصوف بقرع لين جدا لم تحس صوتا، بل يجب أن تكون للجسم الذى تقرعه مقاومة ما، وأن يكون للحركة التى للمقروع به إلى المقروع عنف صادم^١، فهناك تحس. وكذلك أيضا إذا

١- وان يكون للحركة التى للمقروع به إلى المقروع عنف صادم. (كما فى النسخ التى

شقت شيئا يسيراً وكان الشيء لاصلا به لم يكن للقلع صوت البتة. والقرع بما هو قرع لا يختلف، والقلع أيضا بما هو قلع لا يختلف. لأن أحدهما إمساس والآخر تفريق، لكن الإمساس يخالف الإمساس بالقوة والسرعة، والتفريق أيضا يخالف التفريق بمثل ذلك. ولأن كل صائر إلى مماسة شيء فيجب أن يفرغ لنفسه مكان جسم آخر كان مماسا له ليتقل إليه، وكل مقلوع عن شيء فقد يفرغ مكانه حتى يصار إليه.

وهذا الشيء الذي فيه هذه الحركات شيء رطب سيال لا محالة إما ماء وإما هواء، فتكون مع كل قرع وقلع حركة للهواء وما يجري مجراه إما قليلا قليلا وبرفق، وإما دفعة على سبيل تموج أو انجذاب بقوة. وقد وجب هاهنا شيء لا بد أن يكون موجودا عند حدوث الصوت وهو حركة قوية من الهواء أو ما يجري مجراه.

فيجب أن يتعسف هل الصوت هو نفس القرع أو القلع، أو هو حركة موجية تعرض للهواء من ذلك، أو شيء ثالث يتولد من ذلك أو يقارنه. أما القلع والقرع فإنهما يحسان بالبصر بتوسط اللون ولا شيء من الأصوات يحس بتوسط اللون، فليس القلع والقرع بصوت، بل إن كان

→

عندنا ولكن الأصح بل الصواب هو ما في المتن) أي تكون الحركة التي للمقروع به إلى المقروع عنيف صادم.

١- في تعليقه نسخة: مدت حركت صوت در هوای معتدل در هر ثانیه سیصد و چهل متر است. یعنی مسافتی را که طی می کند در مدت يك ثانیه مساوی است با ۳۴۰ متر. وانتشار صوت در اجسام جامده اسرع از اجسام هوائی و موایع است از فراری که تجربه شده و ضبط کرده اند در يك ثانیه صوت در آب هزار و چهارصد و سی و پنج متر مسافت را طی می کند و بتوسط آهن هزار و پانصد و هفتاد متر مسافت را در مدت يك ثانیه طی می کند. از ترجمه کتب فرنگی نوشته شد.

ولا بد فسيبا الصوت^١.

وأما الحركة فقد يتشكك فى أمرها، فيظن أن الصوت نفس تموج الهواء. وليس كذلك أيضا، فإن جنس الحركة يحس أيضا بسائر الحواس، وإن كان بتوسط محسوسات آخر. والتموج الفاعل للصوت قد يحس حتى يؤلم، فإن صوت الرعد يعرض منه أن تدك الجبال^٢، وربما ضرب حيواناً فأفسده. وكثيراً ما يستظهر على هدم الحصون العالية بأصوات البوقات؛ بل حس اللمس، كما أشرنا إليه قبل أيضاً قد يتفعل من تلك الحركة من حيث هى حركة ولا يحس الصوت، ولا أيضاً من فهم أن شيئاً حركة فهم أنه صوت. ولو كانت حقيقة الصوت حقيقة الحركة، لا أنه أمر يتبعها ويلزم عنها، لكان من عرف أن صوتاً عرف أن حركة.

وهذا ليس بوجود، فإن الشيء الواحد النوعى لا يعرف ويجهل معا إلا من جهتين وحالين، فجبهة كونه صوتاً فى ماهيته ونوعيته، ليس جبهة كونه حركة فى ماهيته ونوعيته. فالصوت إذن عارض يعرض من هذه الحركة الموصوفة يتبعها، ويكون معها، فإذا انتهى التموج من الهواء أو الماء إلى الصماخ - وهناك تجويف فيه هواء راكد يتموج بتموج ما ينتهى إليه ووراءه كالجدار مفروش عليه العصب الحاس للصوت - أحس بالصوت.

١- قال الرازى: ويدل على بطلان المذهبين وجهان: الأول أن التموج محسوس باللمس لأن الصوت الشديد ربما ضرب الصماخ فأفسده والقلع والقرع يحسان بالبصر بتوسط اللون ولا شيء من الأصوات يحس باللمس والبصر فليس التموج والقلع والقرع بصوت. الثانى: أن الشيء قد يعلم منه أنه تموج أو قرع أو قلع ويجهل كونه صوتاً وقد يعلم الصوت عندما يكون الأمور الثلاثة مجهولة فتلك الأمور الثلاثة مغايرة للصوت.

٢- ذلك: كوفتن وهموار كردن. راجع الفصل ١٤ من المسألة ٤ من الفن الأول من طبيعيات الشفاء - ط ١ - ص ١٥٤.

ومما يشكل من امر الصوت هل هو شىء موجود من خارج تابع من خارج لوجود الحركة أو مقارن أو إنما يحدث من حيث هو صوت إذا تأثر السمع به ، فإنه لمعتقد أن يعتقد أن الصوت لا وجود له من خارج ، وأنه يحدث فى الحس من ملامسة الهواء المتموج ، بل كل الأشياء التى تلامس ذلك الموضع بالمس أيضا تحدث صوتا فيه ، فهل ذلك الصوت حادث بتموج الهواء الذى فى الصماخ أو لنفس المماسه .

وهذا أمر يصعب الحكم عليه ، وذلك لأن نافي وجود الصوت من خارج لا يلزمه ما يلزم نافي باقى الكيفيات الأخرى المحسوسة ، لأن هذا له أن يثبت للمحسوس الصوتى خاصية معلومة هى تفعل الصوت ، وتلك الخاصية هى التموج ، فتكون نسبة التموج من الصوت نسبة الكيفية التى فى العسل إلى ما يتأثر منه فى الحس . لكنه يختلف الأمر هاهنا ، وذلك لأن الأثر الذى يحصل من العسل فى الحاسة ومن النار فى الحاسة هو من جنس مافيهما . ولذلك فإن الذى يمس الحرارة قد يسخن أيضا غيره إذا ثبت فيه الأثر . وليس الصوت والتموج حالهما كذا ، فإن التموج شىء والصوت شىء ، والتموج يحس بألة أخرى وتلك الكيفية لا تحس بألة أخرى . وليس يجب أيضا أن يكون كل ما يؤثر أثرا فى نفسه مثل ذلك الأثر .

فيجب أن نتعرف حقيقة الحال فى هذا فنقول :

مما يُعين على معرفة أن العارض المسموع له وجود من خارج^١ أيضا أنه لو كان إنما يحدث فى الصماخ نفسه لم يخل إما أن يكون التموج

١- فى تعليقة نسخة : اى خارج الصماخ .

الهوائى يحس بالسمع من حيث هو تموج أو لا يحس . فإن كان التموج الهوائى يحس بالسمع - لست أقول يحس بلمس آلة السمع - حساً من حيث هو تموج ، فإما أن يحس به أولاً أو بتوسط الصوت .

فلو كان يحس به أولاً ، والمحسوس الأول بالسمع هو الصوت وهذا بما لاشك فيه ، كان التموج من حيث هو تموج صوتاً ، وقد أبطلنا هذا . ولو كان يحس به بتوسط الصوت ، لكان كل من سمع الصوت علم أن تموجاً ، كما أن كل من أحس لون المربع والمربع بتوسطه علم أن هناك مربعا وليس كذلك .

وإن كان إنما يحس باللمس أيضاً عرض منه ما قلنا^١ . فإذن ليس بواجب أن يحس التموج عند سماع الصوت . فلننظر ما يلزم بعد هذا . فنقول : إن الصوت كما يُسمع تُسمع له جهته ، فلا يخلو إما أن تكون الجهة تسمع لأن الصوت مبدأ تولده ووجوده فى تلك الجهة ومن هنالك ينتهى ، وإما لأن المتقل المتأدى^٢ إلى الأذن الذى لاصوت فيه بعد أن يفعل الصوت^٣ إذا اتصل بالأذن ينتقل من تلك الجهة ويصدم من تلك الجهة فيخيل أن الصوت ورد من تلك الجهة ، وإما للأميرين جميعاً .

فإن كان لأجل المتقل وحده ، فمعنى هذا هو أن المتقل نفسه محسوس ، فإنه إذا لم يشعر به^٤ كيف يشعر بجهة مبدئه . فيلزم أن يحس

١- فى تعليقة نسخة : من أن كل من أحس الصوت علم أن تموجاً

٢- أى التموج الفاعل للصوت .

٣- لاصوت فيه بعد بل يفعل الصوت الخ ، كما فى نسخة مصححة .

٤- أى بالصوت . هذا أيضاً مقدمة لاثبات أن للصوت وجوداً فى الخارج .

بالسمع عند إدراك جهة الصوت تموج^١ الهواء . وقد قلنا : إن ذلك ليس بواجب .

وإن كان لأجلهما جميعا ، عرض من ذلك هذا^١ المحال أيضا ، وصح أن الصوت كان يصحب التموج^٢ .

فبقي أن يكون ذلك لأن الصوت نفسه تولد هناك ومن هناك انتهى . ولو كان الصوت إنما يحدث في الأذن فقط ، لكان سواء أتى سببه من اليمين أو اليسار ، وخصوصا وسببه^٣ لا يحس به . وهاهنا^٤ مؤثر فيه مثل نفسه فلا تدرك جهته^٥ لأنه إنما يدرك^٦ عند وصوله فكيف ما لاحداث له إلا عند وصول سببه . فقد بان أن للصوت وجودا ما من خارج لا من حيث هو مسموع بالفعل ، بل من حيث هو مسموع بالقوة ، وأمر كهيئة ما من الهيئات للتموج غير نفس التموج .

ويجب أن نحقق الكلام في القارع والمقروع فنقول :

إنه لا بد في القرع من حركة قبل القرع وحركة تتبع القرع ، فأما الحركة قبل القرع فقد تكون من أحد الجسمين وهو الصائر إلى الثاني ، وقد تكون من كليهما ، ولا بد من قيام كل واحد منهما أو أحدهما في وجه الآخر

١- في تعلية نسخة : أى ان يحس بالسمع عند ادراك جهة الصوت تموج الهواء .

٢- في تعلية نسخة : أى ادراك الصوت مستلزم لادراك التموج .

٣- وهو التموج .

٤- أى في الأذن .

٥- وهي هنا مؤثر مثل نفسه وقد لا تدرك جهته . كما في ثلاث نسخ . وهي هنا مؤثر فيه مثل نفسه فلا تدرك الخ كما في نسخة أخرى .

٦- أى السبب عند وصوله الى الصماخ فكيف ما لا حدوث له الا عند وصول سببه وهو الصوت مع الجهة .

قياماً محسوساً . فإنه إن اندفع أحدهما كما يمس^١، بل فى زمان^٢ لا يحس، لم يكن صوت . والقارع والمقروع كلاهما فاعلان للصوت، لكن أوليهما به ما كان أصليهما وأشدّهما مقاومة، فإن حظه فى ذلك أشد، وأما الحركة الثانية فهو انفلات الهواء وانضغاطه بينهما بعنف، والصلابة تعين على شدة ضغط الهواء والملاسة أيضاً لثلا ينتشر الهواء فى فرج الخشونة . والتكاثف أولى بذلك لثلا ينفذ الهواء فى فرج التخلخل .

وربما كان الجسم المقروع فى غاية الرطوبة واللين، لكنه إذا حمل عليه بالقوة وكلف الهواء المتوسط أن ينفذ فيه أو ينضغط فيما بينهما لم يكن ذلك الجسم أيضاً بحيث يمكن الهواء المتوسط أن ينفذ فيه ويشقه فى زمان قصير، بل قاوم ذلك فلم يندفع فى وجه ذلك الهواء المتوسط، بل وقاوم أيضاً القارع، لأن القارع كان يسومه^٣ انخراقاً كثيراً فى زمان قصير جداً . وليس ذلك^٤ فى قوة القابل ولا فى قوة الفاعل القارع، فامتنع من الانخراق، فقام فى وجه القارع وضغط عن المتوسط^٥ فكانت المقاومة فيه مكان الصلابة . وأنت تعلم هذا إذا اعتبرت إمرارك السوط فى الماء برفق، فإنه يمكنك أن تشقه شقا من حيث لا تلزمك فيه مؤونة، فإن استعجلت استعصى عليك وقاوم . فالهواء أيضاً كذلك، بل قد يجوز أن يكون الهواء نفسه يصير جزء منه مقاوماً وجزء بينه وبين المزاحم القارع

١- أى فى أول وقت اللمس .

٢- أى زمان قليل .

٣- يسوقه، نسخة . سام فلان الامر: كلّفه إياه . (القاموس) .

٤- فى تعليقه نسخة : أى انخراق الكثير فى الزمان القليل .

٥- فى نسخة : وضغط معه المتوسط . وفى أخرى: وضغط هواء المتوسط .

منضغطاً، بل يجوز أن يصير الهواء أجزاء ثلاثة: جزء منه قارع كالريح، وجزء مقاوم، وجزء منضغط فيما بينهما على هيئة من التموج. وليست الصلابة والتكاثف علة أولية لإحداث هذا التموج، بل ذلك من حيث يعينان على المقاومة. والعلة الأولية هي المقاومة.

فالصوت يحدث من تموج الجسم الرطب السيل منضغطاً بين جسمين متصاكتين متقاومين من حيث هو كذلك. وكما أن الماء والهواء والفلك تشترك في طبيعة هي أداء الألوان، وتلك الطبيعة لها اسم وهو الشفيف، فكذلك الماء والهواء لهما معنى يشتركان فيه من حيث يحدث فيهما الصوت، وليكن اسمه قبول التموج، وليس ذلك من حيث المتوسط ماء أو هواء كما أن الإشفاف لم يكن من حيث المتوسط فلماً أو هواء. ويشبه أن يكون الماء والهواء لهما أيضاً من حيث يؤديان الرائحة أو الطعم معنى كذلك لا اسم له. فلتكن للرطوبة المؤدية للطعم العذوبة، وأما ما يشترك فيه نقل الرائحة فلا اسم له.

وأما الصدى فإنه يحدث من تموج يوجهه هذا التموج، فإن هذا التموج إذا قارنه^١ شيء من الأشياء كجبل أو جدار حتى وقفه، لزم أن ينضغط أيضاً بين هذا التموج المتوجه إلى قرع الحائط أو الجبل، وبين ما يقعره هواء آخر يردّ ذلك^٢ ويصرفه إلى خلف بانضغاطه فيكون شكله الشكل

١- قاومه، نسخة.

٢- من الجبل أو الحائط.

٣- في تعليقه نسخة: قوله يردّ ذلك أي هذا الهواء الآخر ذلك أي المتموج المتوجه إلى حريم الحائط ويصرفه إلى خلف بانضغاطه أي بانضغاط ذلك الهواء الآخر الذي يكون بين هذا المتموج المتوجه إلى القرع وبين ما يقعره وهذا المنضغط ينسبط فيردّ الهواء القارع.

الاول وعلى هيئته، كما يلزم الكرة المرمى بها الحائط أن تضطر الهواء إلى التموج فيما بينهما وأن ترجع القهقرى. وقد بينا فيما سلف^١ ما العلة فى رجوع تلك الكرة قهقرى، فلتكن هى العلة فى رجوع الهواء.

وقد بقى علينا أن ننظر^٢ هل الصدى هو صوت يحدث بتموج الهواء الذى هو التموج الثانى^٣، أو هو لازم لتموج الهواء الاول المنعطف النابى نبواً^٤ فيشبه أن يكون هو تموج الهواء المنعطف النابى، ولذلك يكون على صفته وهيئته، وأن لا يكون القرع الكائن من هذا الهواء يولد صوتاً من تموج هواء ثان يعتد به. فإن قرع مثل هذا الهواء قرع ليس بالشديد، ولو كان شديداً بحيث يحدث صوتاً لأضر بالسمع. ويشبه أن يكون لكل صوت صدى ولكن لا يسمع، كما أن لكل ضوء عكسا، ويشبه أن يكون السبب فى أن لا يسمع الصدى فى البيوت والمنازل فى أكثر الأمر أن المسافة إذا كانت قريبة بين المصوت وبين عاكس الصوت لم يُسمعاً فى زمانين متباينين، بل يُسمعان معا كما يُسمع صوت القرع

١- فى الفصل الرابع عشر من المقالة الرابعة من طبيعيات الشفاء ص ١٥٤ الطبع الرحلى.

٢- قوله بقى علينا أن ننظر. قال صاحب المواقف: «الظاهر أن الصدى - أى سبب الصدى - تموج هواء جديد لارجوع الهواء الاول. وذلك لان الهواء اذا تموج على الوجه الذى عرفته حتى صادم التموج جساماً يقاومه ويردّه الى خلف لم يبق فى الهواء المصادم ذلك التموج الذى كان حاصلًا له بل يحصل فيه بسبب مصادمته ورجوعه تموج شبيهة بالتموج الاول. فهذا التموج الجديد الحاصل بالمصادمة والرجوع هو سبب للصدى الشبيه بالصوت الاول وقد يظن أن الهواء المصادم يرجع متصفاً بتموجه الاول بعينه فيحمل ذلك الصوت الاول الى السامع الا ترى أن الصدى يكون على صفته وهيئته وهذا وإن كان محتملاً إلا أن الاول هو الظاهر».

٣- فى تعليقه نسخة: وهو الهواء المنضغط بين التموج الاول وبين الجدار بعد الرجوع.

٤- نبوه ونباهه: برآمدن وبلند شدن.

معه وإن كان بعده بالحقيقة . وأما إذا كان العاكس بعيدا فُرقَ الزمان بين الصوتين تفريقا محسوسا ، وإن كان صلبا أملس فهو لتواتر الانعكاس منه بسبب قوة النبوي يبقى زمانا كثيرا كما فى الحمامات . ويشبه أن يكون هذا هو السبب فى أن يكون صوت المغنى فى الصحراء أضعف وصوت المغنى تحت السقوف أقوى لتضاعفه بالصدى المحسوس معه فى زمان كالواحد .

ويجب أن يعلم أن التموج ليس هو حركة انتقال من هواء واحد بعينه ، بل كالحال فى تموج الماء يحدث بالتداول^١ بصدمة بعد صدم مع سكون قبل سكون ، وهذا التموج الفاعل للصوت سريع لكنه ليس بقوى الصك . ولنتشكك أن يتشكك فيقول : إنه كما قد تشككتم فى اللمس فجعلتموه قوى كثيرة لأنه يدرك متضادات كثيرة ، فكذلك السمع أيضا يدرك المضادة التى بين الصوت الثقيل والخفيف ، ويدرك المضادة التى بين الصوت الخافت والجهير والصلب والأملس والمتخلل والمتكاثف ، وغير ذلك . فلم لاتجعلونه قوى ؟

فالجواب عن ذلك أن محسوسه الأول هو الصوت ، وهذه أعراض تعرض لمحسوسه الأول بعد أن يكون صوتا . وأما هناك فكل واحدة من المتضادات تحس لذاتها ، لا بسبب الآخر . فليكن هذا المبلغ فى تعريف الصوت والإحساس به كافيا .

١- تداولته الأيدي : أى اخذته هذه مرة وهذه مرة .

المقالة الثالثة

فى الإبصار

ثمانية فصول

الفصل الاول: فى الضوء والشفيف واللون .

الفصل الثانى: فى مذاهب وشكوك فى امر النور والشعاع وان النور ليس بجسم بل هو كيفية يحدث فيه .

الفصل الثالث: فى تمام مناقضة المذاهب المبطله لان يكون النور شيئاً غير اللون الظاهر وكلام فى الشفاف واللامع .

الفصل الرابع: فى تأمل مذاهب قيلت فى الالوان وحدوثها .

الفصل الخامس: فى اختلاف المذاهب فى الرؤية^١ وابطال المذاهب الفاسدة بحسب الامور نفسها .

١- راجع لتوضيح كلام القوم فى الرؤية كشكول الشيخ البهائى ص ٢٦٢ طبع نجم الدولة . وايضاً الجمع بين رأيين للفارابى .

الفصل السادس : فى ابطال مذاهبهم من الاشياء والمقولة فى مذاهبهم .

الفصل السابع : فى حلّ الشُّبُه التى اوردوها ، وفى اتمام القول فى المبصرات
التي لها اوضاع مختلفة من مُشَقَّات ومن صقيلات .

الفصل الثامن : فى سبب رؤية الشئ الواحد كشيئين .



الفصل الاول

فى الضوء والشفيف واللون

وحرى بنا الآن أن نتكلم فى الإبصار ، والكلام فيه يقتضى الكلام فى الضوء وفى المشف وفى اللون وفى كيفية الاتصال الواقع بين الحاس والمحسوس البصرى ، فلتكلم أولا على الضوء فنقول :

إنه يقال ضوء ويقال نور ويقال شعاع ، وبشبه أن لا يكون بينها فى وضع اللغة كثير تفاوت ، لكننا نحتاج فى استعمالنا إياها أن نفرق بينها لأن هاهنا معانى ثلاثة متقاربة :

أحدها الكيفية التى يدركها البصر فى الشمس والنار من غير أن يقال إنه سواد أو بياض أو حمرة أو شىء من هذه الألوان .

والثانى الأمر الذى يسطع من هذا الشىء فيتخيل أنه يقع على الأجسام فيظهر بياض وسواد وخضرة ، والآخر الذى يتخيل على الأجسام كانه يترقرق^١ وكأنه يستر لونها وكأنه شىء يفيض^٢ منها ، فإن كان فى جسم قد استفاد ذلك من جسم آخر سمى بريقا كما يحس فى

١- كانه يترفف وكانه يستر ، كما فى غير واحدة من النسخ . (ترقرق : درخشیدن).

٢- يفيض أى يسيل .

المرآة وغيرها، وإن كان فى الجسم الذى له بذاته سعى شعاعا. ولسنا نحتاج الآن إلى الشعاع والبريق، بل نحتاج إلى القسمين الأولين.

فليكن أحدهما - وهو الذى للشئ من ذاته - ضوءا وليكن المستفاد نورا. وهذا الذى نسميه ضوءا مثل الذى للشمس والنار، فهو المعنى الذى يرى لذاته. فإن الجرم الحامل لهذه الكيفية إذا وجد بين البصر وبينه شئ كالهواء والماء رؤى ضرورة من غير حاجة إلى وجود ما يحتاج إليه الجدار الذى لا يكفى فى أن يرى على ما هو عليه وجود الهواء والماء وما يشبههما بينه وبين البصر، بل يحتاج إلى أن يكون الشئ الذى سميناه نورا قد غشيه حتى يرى حينئذ، ويكون ذلك النور تأثيرا من جسم ذى ضوء فيه إذا قابله وكان بينهما جسم ليس من شأنه أن يحجب تأثير المضىء فى قابل النور كالهواء والماء فإنه يُعين^١ ولا يمنع

فالأجسام بالقسمة الأولى على قسمين:

جسم ليس من شأنه هذا الحجب المذكور ويُسم الشاف.

وجسم من شأنه هذا الحجب كالجدار والجبل.

والذى من شأنه هذا الحجب:

فمنه ما من شأنه أن يرى من غير حاجة إلى حضور شئ آخر بعد وجود المتوسط الشاف، وهذا هو المضىء كالشمس والنار ومثله فإنه غير شفاف، بل هو حاجب عن إدراك ما وراءه. فتأمل إظلال^٢ المصباح عن

١- قوله: يُعين، أى يعين على رؤية قابل النور.

٢- قوله: فتأمل إظلال، الإظلال على المصدرية من اظل، لو فرضنا المصباحين فيما بين جدارين متقابلين فإن كل واحد منهما يمنع الآخر عن أن يفعل فى الجدار أى أن يضيئه لانهما مضيئان غير شفافين ولذلك يظل كل واحد منهما عن الثانى أى عن الآخر. ثم

المصباح، فإن أحدهما يمنع عن أن يفعل الثانى فيما هو بينهما، وكذلك يحجب البصر عن رؤية ما وراءه.

ومنه ما يحتاج إلى حضور شىء آخر يجعله بصفة وهذا هو الملون. فالضوء^١ كيفية القسم الأول من حيث هو كذلك، واللون كيفية القسم الثانى من حيث هو كذلك. فإن الجدار لا يمكن المضى أن ينير شىء خلفه، ولا هو بنفسه منير، فهو الجسم الملون بالقوة، واللون بالفعل^٢

لو فرضنا جداراً واحداً ايضاً كان المصباح الاقرب يمنع الابدع عن ان يفعل فى الجدار. فالعبارة معناها هكذا: فان احد المصباحين وهو الاقرب الى الجدار يمنع الثانى اى المصباح الاخر وهو الابدع منه ان يفعل ذلك الابدع فى الجدار. فالمصباح الاقرب المانع واقع بين احد المصباحين وبين الجدار. فضمير «هو» راجع الى احدهما. وقوله: «ومثله فانه غير شفاف» يعنى ان مثل هذا الجسم الحاجب المضى فانه غير شفاف الخ فكل واحد من المصباحين من افراد هذا المثل.

١- قال الرازى فى الضوء: حده انه كيفية هي كمال بذاتها للشفاف من حيث هو شفاف المباحث المشرقية ج ١ ص ١٤. وفى تعليقه نسخة: الاولى ان يقال: انها كيفية التي لا يتوقف الابصار بها على الابصار بشىء آخر. وقال حكماء الافرنج النور جسم محسوس غير ملموس تمتع الاخذ اراءة الاشياء مختصة به.

٢- قوله قدس سره: واللون بالفعل انما يحدث بسبب النور. اقول ذهب الفارابى والشيخ الى ان الضوء شرط وجود اللون وهذا هو المراد من قوله: «واللون بالفعل». وذهب المحقق الطومس الى ان الضوء شرط ادراك اللون لاشروط الوجود. فراجع المسألة السادسة من الفصل الخامس من المقصد الثانى من التجريد فى الاعراض.

والشيخ ناظر فى اللون كلام الفارابى كما هو دابه فى كتبه وآرائه، وقد كان يعتقد فيه اعتقاداً راسخاً ونقل الشهزورى فى نزعة الارواح فى شرح الاسكندر الافروديسى (ص ٣٠٨ ج ١): وابو على سينا يفخمه - يعنى الاسكندر - ويشنى عليه. وكذلك ثامسطيوس يمدحه الشيخ ويبالغ فى شكره - الى ان قال: ثم يقول بعده - يعنى يقول الشيخ - واما ابونصر الفارابى فيجب ان يعظم فيه الاعتقاد ولايجرى مع القوم فى ميدان فيكاد ان يكون الفضل من سلف من سلف. انتهى.

و غرضنا فی المقام ان الفارابی - رضوان الله تعالى علیه - قال فی التعليقات (ص ۷ من طبع حیدرآباد): «الالوان انما تحدث فی السطوح من حصول المضىء و لیست فی ذاتها موجودة، وهی اعراض تحصل بواسطة المضىء، و سبب كونها مختلفة و ان بعضها ابيض و بعضها اسود اختلاف الاستعدادات فی المواد». انتهى كلامه.

وقوله: «فی السطوح» ردّ علی انبأ ذقلس حیث ذهب الی انّ الالوان تحدث فی الحدقة من قوة نارية فی البدن ثم إذا صارت الحدقة محاذیة لجسم یرج اللون منها الی الجسم و یحیط به فیرى اللون علی الجسم. وقوله: «اختلاف الاستعدادات» خبر لقوله: «سبب كونها».

وقال المعلم الثانی الفارابی فی تعليقاته ص ۷: الالوان انما تحدث فی السطوح من حصول المضىء و لیست فی ذاتها موجودة وهی اعراض تحصل بواسطة المضىء و سبب كونها مختلفة و ان بعضها ابيض و بعضها اسود اختلاف الاستعدادات فی المواد.

وفی تعلیقة نسخة: «پروان فیثاغورث را عقیده بر این است که الوان موجود هستند در سطح خارجی اجسام بحیثی که از محل خود امتداد یافته و به مردمک چشم فرو روند و در آنجا تحریک حسّی نمایند که بر وجود الوان شهادت دهد.

آمپدوکسل که یکی از معروفترین فلاسفه قدیم است و در چهار صد و چهل و چهار قبل از مسیح - علیه السلام - متولد شده بر این رفته که کلیه الوان در خود چشم است که از قوه ناریه بدن موجود شده اند و چون حدقه یا جسمی محاذی شود بمناسبت آن جسم لونی از حدقه بیرون آمده آن جسم را احاطه کند و رنگ پدید آید.

افلاطون چنین فرموده که الوان جوهر سیالی چند است در کمال رقت و لطافت که از سطح خارجی اجسام فوران کنند و نسبتی با عضو باصره دارند که بنابر آن نسبت احساس بعمل آید که درک الوان کنند.

ایکور که فیلسوف معروف است از فلاسفه قدیم یونان و در سیصد و چهل و یک قبل از حضرت عیسی - علیه السلام - متولد شده معتقد است که الوان وجود خارجی ندارند و محض از هیئت خاص عضو باصره و کیفیة ابصار و رؤیت اجسام متخیل می شوند. و این رأی از این حکیم نتیجه تفصیلاتی است که در تشریح عضو باصره و کیفیت ترکیب اجسام نوشته است.

ارسطو فرموده است که الوان در نفس اجسام موجود نیستند و عمل روشنائی را در آنها

إنما يحدث بسبب النور، فإن النور إذا وقع على جرم ما حدث فيه بياض بالفعل أو سواد أو خضرة أو غير ذلك. فإن لم يكن كان أسود فقط مظلما، لكنه بالقوة ملون إن عينا باللون بالفعل هذا الشيء الذى هو بياض وسواد وحمرة وصفرة وما أشبه ذلك. ولا يكون البياض بياضا والحمرة حمرة إلا أن تكون على الجهة التى نراها ولا تكون على هذه الصفة^١ إلا أن تكون منيرة.

ولا تظن أن البياض على الجهة التى نراها والحمرة وغير ذلك يكون موجودا بالفعل فى الأجسام، لكن الهواء المظلم يعوق من إبصاره، فإن الهواء نفسه لا يكون مظلما إنما المظلم هو الذى هو المستنير. والهواء نفسه وإن كان ليس فيه شيء مضيء فإنه لا يمنع إدراك المستنير ولا يستر اللون إذا كان موجودا فى الشيء. تأمل كونك فى غار وفيه هواء كله على الصفة التى تظنه أنت مظلما، فإذا وقع النور فى جسم خارج موضوع فى الهواء الذى تحسبه نيرا فإنك تراه، ولا يضر كالهواء المظلم الواقف بينك وبينه، بل الهواء عندك فى الحالين كأنه ليس بشيء.

با اعمالى كه در ساير اجسام دارد فرقى نيست باين معنى كه روشنائى را در آنها مدخلى نيست بغير از اراته آنها چنانكه ساير اجسام را. مشائين را در اين باب آراء مختلف شد: بعضى معتقد شدند كه الوان خاصه اصليه اجسام است. گروهى قائل شدند كه در اجسام ظاهر مى شوند بواسطه اختلاط و تركيب نور و ظلمت.

و جمعى ديگر بر اين شدند كه الوان در اجسام از تركيب املاح و فلزات حاصل مى شود. از ترجمه كتب فرنگيان نوشته شده.

١- قوله: على هذه الصفة، فى عدة نسخ جائت العبارة: على هذه الجهة.

وأما الظلمة فهي حال أن لا ترى شيئا وهو أن لا تكون الكيفيات^١ التي إذا كانت موجودة في الأجرام التي لا تشف صارت مستنيرة فهي مظلمة^٢، وبالقوة فلا تراها، ولا ترى الهواء فيتخيل لك ما يتخيل لك إذا غمضت عينيك وسترتهما فتتخيل لك ظلمة مبسوثة تراها، كما يكون من حالك وأنت محدق^٣ في هواء مظلم وليس كذلك، ولا أنت ترى وأنت مغمض هواء مظلم أو ترى ما ترى من الظلمة شيئا في جفونك إنما ذلك أنك لا ترى.

وبالجملة فإن الظلمة عدم الضوء فيما من شأنه أن يستنير، وهو الشيء الذي قد يرى، لأن النور مرئي وما يكون فيه النور مرئي، والشاف لا يرى البتة، فالظلمة هي في محل الاستتارة وكلاهما أعنى المحلين جسم لا يشف. فالجسم الذي من شأنه أن يرى لونه إذا كان غير مستنير كان مظلمًا، ولم يكن فيه بالحقيقة لون بالفعل، ولم يكن ما يظن أن هناك ألوانا ولكنها مستورة بشيء، فإن الهواء لا يستر وإن كان على الصفة التي يرى مظلمًا إذا كانت الألوان بالفعل.

ولكنه إن سمى إنسان الاستعدادات المختلفة التي تكون في الأجسام التي إذا استنارت صار واحد منها الشيء الذي تراه بياضا والآخر حمرة ألوانا، فله ذلك، إلا أنه يكون باشتراك الاسم. فإن البياض بالحقيقة

١- لا تكون الكيفيات أي لا توجد، فتكون تامة لا ناقصة.

٢- أي عند عدم الرؤية.

٣- تحديق: تيز نكريستن.

٤- قيد لقوله: «لا يستر».

٥- مفعول ثان لقوله: «سمي».

هو هذا الذى يكون على الصفة التى ترى ، وهذا لا يكون موجودا وبينك وبينه شفاف لا يشف ، لأن الشفاف قد يكون شفافا بالفعل وقد يكون شفافا بالقوة ، وليس يحتاج فى أن يكون بالفعل إلى استحالة فى نفسه ، بل إلى استحالة^١ فى غيره أو إلى حركة فى غيره . وهذا مثل المسلك والمنفذ فإنه لا يحتاج فى أن يكون بالفعل إلى أمر فى نفسه ، بل إلى وجود السالك والنافذ بالفعل . وأما^٢ الاستحالة التى يحتاج إليها الشفاف بالقوة إلى أن يصير شفافا بالفعل ، فهى استحالة الجسم الملون إلى الاستنارة وحصول لونه بالفعل .

وأما الحركة فإن يتحرك الجسم المضىء إليه من غير استحالة فيه ، فقد عرفت كنهه فيما سلف . فإذا حصل أحد هذين تأدى المرنى أيضاً فصار هذا شفافا بالفعل لوجود غيره .

فحرى بنا أن نحقق أمر هذا المتأدى ، إلا أن الواجب علينا أن نؤخر الأمر فيه إلى أن نذكر شكوكا تعرض فيما قلناه يسهل من حلها تصحيح ما قلناه .

ر

١- أى بل يحتاج إلى استحالة ...

٢- فاما الاستحالة ، نسخة .

الفصل الثانى

فى مذاهب وشكوك فى امر النور والشعاع .
وفى ان النور ليس بجسم بل هو كيفية تحدث فيه

ومن الناس من ظن ان النور الذى يشرق من المضىء على الأجسام ليس كيفية تحدث فيها بل هو أجسام صغار تكون منفصلة من المضىء فى الجهات ملازمة لأبعاد مفروضة عنه تنتقل بانتقاله فتقع على الأجسام فتستضىء بها .

ومن الناس من ظن ان هذا النور لا معنى له البتة وإنما هو ظهور من الملون .

بل من الناس من ظن ان الضوء فى الشمس ليس إلا شدة ظهور لونه ، لكنه يغلب البصر .

فيجب علينا أولاً ان نتأمل الحال فى هذه المذاهب . فنقول :

إنه لا يجوز أن يكون هذا النور والشعاع الواقع على الأجسام من الشمس والنار أجساماً^١ حاملة لهذه الكيفية المحسوسة ، لأنها إما أن تكون

١- قال الرازى : كونها انواراً اما ان يكون عين كونها اجساماً واما ان يكون مغايراً لها،
←

شفافة فلا يخلو إما أن يزول شفيفها بتراكمها كما تكون الاجزاء الصغار من البلور شفافة ويكون الركام منها غير شفاف ، وإما أن لا يزول شفيفها . فإن كانت شفافة لا يزول شفيفها لم تكن مضيئة ، إذ قد فرغنا من الفرق بين الشفاف وبين المضىء ؛ وإن كانت تعود بالارتكام غير شفافة كان ارتكامها يستر ما تحتها ، وكلما ازدادت ارتكاماً ازدادت سترأ ، والضوء كلما ازداد ارتكاماً - لو كان له ارتكام - ازداد إظهاراً للضوء^١ . وكذلك إذا كانت هذه المضيئات فى الأصل مضيئات غير شفافة ، كالنار وما أشبهها . فبين إن الشعاع المظهر للالوان ليس بجسم .

ثم لا يجوز أن يكون جسماً ويتحرك بالطبع إلى جهات مختلفة . ثم إن كانت هى أجساماً تنفصل من المضىء وتلقى المستنير ، فإذا غُمت^٢ الكوة لم يخل إما أن يتفق لها أن تعدم أو تستحيل أو تسبق الغام^٣ . والقول بسبق الغام^٤ اعتساف^٥ ، فإن ذلك أمر يكون دفعة . والعدم

والاول باطل لان المفهوم من النورية مغاير للمفهوم من الجسمية ولذلك يعقل جسم مظلم ولا يعقل نور مظلم . واما ان يقال بانها اجسام حاملة لتلك الكيفية ينفصل عن المضىء ، وتتصل بالمستضىء فهذا ايضاً باطل لان تلك الاجسام الموصوفة بتلك الكيفيات اما ان تكون محسوسة واما ان لا تكون محسوسة فان لم تكن محسوسة لم يكن الضوء محسوساً ، وان كانت محسوسة سائرة لما تحتها يجب أنها كلما ازدادت اجتماعاً ازدادت سترأ لكن الامر بالعكس فان الضوء كلما ازداد قوة ازداد اظهاراً (المباحث المشرقية ج ١ ص ٤١٠) .

١- اظهاراً للون - خ .

٢- الغمة : السترة .

٣- اى الى الخروج .

٤- فى تعليقه نسخة : اى سبق النور الى الخروج من الكوة على الغام .

٥- الاعتساف : الاخذ على غير الطريق وبفارسى : بهراة رفقت .

أيضا بالستر من ذلك الجنس^١، فإنه كيف يحكم أن جسما إذا تخلل بين جسمين عدم أحدهما.

وأما الاستحالة فتوجب ما قلناه وهى أنها تستنير بمقابلة النير، فإذا غم استحالت. فما الحاجة إن كان الأمر على هذا^٢ إلى مسافرة أجسام من جهة النير، ولم لا تكون هذه الأجسام^٣ تستحيل بنفسها بالمقابلة تلك الاستحالة.

وأما الحجة التى يتعلق بها أصحاب الشعاع فمن ذلك قولهم: إن الشعاع لامحالة ينحدر من عند الشمس ويتجه من عند النار، وهذه حركة، ولا حركة إلا للجسم. وأيضا فإن الشعاع ينتقل بانتقال المضى والانتقال للجسم. وأيضا فإن الشعاع يلقي شيئا فينعكس عنه إلى غيره والانعكاس حركة جسمانية لامحالة.

وهذه القياسات كلها فاسدة، ومقدماتها غير صحيحة، فإن قولنا: الشعاع ينحدر أو يخرج أو يدخل، ألفاظ مجازية ليس من ذلك شيء، بل الشعاع يحدث فى المقابل دفعة. ولما كان يحدث من شيء عال توهم كأنه ينزل، وأن يكون على سبيل الحدوث فى ظاهر الحال أولى من النزول، إذ لا يرى البتة فى الطريق ولا يحتاج إلى زمان محسوس. فلا يخلو: إما أن يكون البرهان دل على انحداره، وإنى لهم بذلك. وإما أن يكون الحس هو الدال عليه، وعليه معولهم. وكيف يدل الحس على حركة متحرك لا يحس بزمانه ولا يحس فى

١- فى تعلية نسخة: أى من جنس الاعتساف.

٢- فى تعلية نسخة: أى حدوث الكيفية بمقابلة المستنير.

٣- أى الأجسام المستنيرة.

وسط المسافة .

وأما حديث انتقال الشعاع ، فليس هو بأكثر من انتقال الظل . فيجب أن يكون الظل أيضا جسما ينتقل ، وليس ولا واحد منهما بانتقال ، بل بطلان وتجدد . فإنه إذا تجددت الموازاة تجدد ذلك ، فإن ارتكب مرتكب أن الظل أيضا ينتقل فليس يخلو إما أن ينتقل على النور وإما أن يكون النور ينتقل أمامه وخلفه ، فإن كان ينتقل على النور ويغشى النور ، فلنفرض النور المغشى لجميع الأرض لا انتقال له وإنما يغطيه الظل ، فيكون دعوى انتقال النور قد فسد . وإن كان النور ينتقل أمام الظلمة حتى تنتقل الظلمة فلنفرض المضيء واقفا ، ومعلوم أنه إذا كان واقفاً وقف معه النور ، وهذا يدعو إلى ^١ أن تكون حركة ذى الظل سببا لطرده النور ، ويمكن عدة منهم أن يطردوا النور أيضا من الجهات المختلفة والمضيء واقف فيظلم الموضع حيثئذ ، أو يكون النور إذا هرب من الظل ظفّر ^٢ من خلف ^٣ فعاد إلى حيث فارقه الظل ، وهذه كلها خرافات ، بل لا الظل يفسخ النور ولا هو ولا النور بجسم ، وإن كان لهما انتقال فذلك بالتجدد لا أن شيئا واحدا بعينه ينتقل .

وانعكاس الشعاع أيضا لفظ مجازي ، فإن من شأن الجسم إذا استنار وكان صقيلا أن يستنير عنه أيضا جسم يحاذيه من غير انتقال البتة .
وأما المذهب الآخر وهو المذهب الذي لا يرى لهذا النور معنى ، بل

١- يتسدى له ، نسخة .

٢- أى وَّكَبَ .

٣- أو يكون للنور إذا هرب من الظل ظفّر من خلف ، نسخة .

يجعله اللون نفسه^١ إذا ظهر ظهوراً بيناً، فإن لأصحابه أن يقولوا: إن الذى يَغُرُّ^٢ فى هذا الباب^٣ ما يتخيل مع اللون من بريق الملونات وليس ذلك البريق شيئاً فى المرئى نفسه، بل أمر يعرض للبصر بالمقايضة بين ما هو أقل ضوءاً وما هو أشد ضوءاً. وشدة ظهور اللون لشدة تأثير الشيء المضىء، فإن الإنارة التى من السراج أقل قليلاً من الإنارة التى من القمر، والإنارة التى من القمر الذى هو^٤ الفخت أقل قليلاً من الإنارة التى فى البيوت المستورة نهاراً عن الشمس، بل عن المواضع ذوات الظل التى ليس فيها شعاع الشمس. وذلك لأن الفخت يبطل فى ظل البيوت إذا طلعت الشمس فيتلاشى، ويكون ما يبصر فيها أقوى مما يبصر فى الفخت، والناس لا يرون ما كان فى الظل وإن كان منيراً براقية وشعاعية البتة، ويرون أن نور السراج يفعل فى الأجسام بريقاً، ونور القمر فى الليل يفعل ذلك، وذلك بالقياس إلى الظلمة الليلية. فإن الظلمة الليلية تخيل ذلك القدر أنه شعاع برّاق، وليس ذلك إلا ظهوراً ما من اللون. والذى للشمس أقوى وأشد تأثيراً. فليُرنا مَرٌّ من مثبتي النور شيئاً سوى اللون أن على الحائط الأبيض شيئاً غير البياض وغير ظهوره يسمى ذلك الشيء شعاعاً. فإن قايِسَ مقايِسَ ذلك بالظل على الحائط، فذلك الظل بسبب ظلمة ما يخفى بها من البياض ما^٥ كان يجب أن يظهر. وكأنه خلط من

١- فى تعليقة نسخة: فصاحب هذا المذهب ينكر الضوء، بل اللون هو الضوء عنده ولا يكون غير اللون شيء يسمى بالضوء.

٢- فريب مى دهد.

٣- من أن اللون غير الضوء.

٤- التى هى، نسخة. والفخت هو ضوء القمر.

٥- فاعل يخفى.

الظلمة التى لا معنى لها إلا خفاء أو زيادة خفاء . كما أن النور لا معنى له إلا ظهور أو زيادة ظهور .

ومن هؤلاء قوم^١ يرون أن الشمس ليس ضوءها إلا شدة ظهور لونها، ويرون أن اللون إذا بهر البصر لشدة ظهوره رؤى بريق وشعاع يخفى اللون لعجز البصر لالخفائه فى نفسه، وكأنه يفتر البصر عن إدراك الجلى، فإذا انكسر ذلك رؤى لون .

قالوا : والحیوانات التى تلمع فى الليل إذا لمعت لم يحس لونها البتة وإذا كان نهارا كان لها لون ظاهر ولم يكن فيها لمعان، فذلك اللمعان هو بسبب شدة ظهور ألوانها لا غير حتى رؤى^٢ فى الظلمة، ويكون فى غاية القوة حين^٣ يظهر فى الظلمة فيبهر البصر إذا كانت الظلمة أضعفته، فإذا أشرقت الشمس غلب ظهورها ظهوراً ذلك فعاد لونها . والبصر لم يتحير له^٤، لأن البصر قد اعتاد لقاء الظاهرات واشتد بطلوع الشمس .

ومنهم من قال : ليس الأمر على هذه الصفة، بل الضوء شىء واللون شىء . لكنه من شأن الضوء إذا غلب على البصر أن يستر لون ما فيه . والشمس أيضاً لها لون، ومع اللون ضوء فيستر الضوء اللون باللمعان كما

١- قال الرازى : ثم من هؤلاء من بالغ حتى قال ضوء الشمس ليس الا ظهور التام للونها ولذلك يبهر البصر فحينئذ يخفى اللون لعجز البصر لالخفائه فى نفسه كما انا نحس بلمعان اللوامع ولانحس بالوانها لان الحس ضعيف فى الليل يبهر ظهور تلك الالوان فلا جرم لا يحس بها ثم اذا قوى فى النهار بنور الشمس لم يصير مغلوباً لظهور تلك الالوان فلا جرم تحس بهما (المباحث المشرقية ج ١ ص ٤١٢) .

٢- اى اللمعان .

٣- حتى، نسخة .

٤- بل ادرك لونه . وفى نسخة : لم ينجر له .

للقمر، وكما للسنجة^١ السوداء الصقيلة إذا لمعت رؤيت مضيئة ولم يُرسوادها.

قالوا: وهذا غير النور، فإن النور هو ظهور اللون لا غير، والضوء ليس ظهور اللون بل شيء آخر وقد يخفى اللون. وإن هذه اللوامع فى الليل يظهر نورها فى الظلمة فيخفى لونها، وإذا ظهرت الشمس غلب نورها^٢ وخفى وظهر لونها. فبالحرى أن نتأمل هذا المذهب مع فروعه المذكورة.

١- السنج بالسين المهملة فالنون وفى آخره جيم معرّب سنج والمراد به حجر الميزان.

٢- فى تعليقة نسخة: أى غلب نور الشمس نور اللوامع وخفى نور اللوامع وظهر لون اللوامع.

الفصل الثالث

فى تمام مناقضة المذاهب المبطللة لأن يكون النور شيئاً غير اللون الظاهر^١ وكلام فى الشفاف واللامع

فنعول : إن ظهور اللون يفهم منه فى هذا الموضع معنيان :
أحدهما صيرورة اللون بالفعل .
والآخر ظهور لون موجود بنفسه بالفعل^٢ للعين .

١- قال صدر المتألهين فى الاسفار ص ٣٠ ج ٢ ط ١ = ص ٩٣ ج ٤ ط ٢ : وقع الاستدلال على مغايرة النور واللون بوجوه : الاول ان ظهور اللون اشارة الى تجدد امور فهو اما اللون او صفة نسبية او صفة غير نسبية . والاول باطل لان النور اما ان يجعل عبارة عن تجدد اللون او اللون المتجدد والاول يقتضى ان يكون مستنبطاً^٣ لا فى آن تجدده . والثانى يوجب ان يكون الضوء نفس اللون ولا يبقى لقولهم الضوء هو ظهور اللون معنى وان جعلوا الضوء كيفية ثبوتية زائدة على ذات الملون وسموه بالظهور فذلك نزاع لفظى . وان زعموا ان ذلك الظهور تجدد حال نسيته فهذا باطل لان الضوء امر غير نسبي فلا يمكن تفسيره بالحالة النسبية^٤ . انتهى وهذه بعينه عبارة الرازى فى المباحث المشرقية ص ٤١٢ ج ١ .

«الثانى : ان البياض قد يكون مضيئاً ومشرقاً وكذلك السواد فان الضوء ثابت لهما جميعاً فلو كان كل واحد منهما مضيئاً نفس ذاته لزم ان يكون الضوء بعضه مضاداً للبعض وذلك محال فان الضوء لا يقابله الا الظلمة .»

٢- متعلق بظهور .

والمعنى الأول يدل على حدوث اللون أو وجوده^١ لونا .

والمعنى الثانى يدل على حدوث نسبة اللون^٢ أو وجود تلك النسبة . وهذا الوجه الثانى ظاهر الفساد . فإن ظُنَّ أن النور نفس نسبة اللون إلى البصر ، فيجب أن يكون النور نسبة أو حدوث نسبة ولا قوام ولا وجود له^٣ فى نفسه^٤ . وإن عنى به أنه مصير اللون بحيث لو كان بصرا لراه أو كونه كذلك ، فإما أن يكون هذا نفس اللون أو معنى يحدث إذا زال معنى من خارج كزوال ستر أو غيره . فإن كان نفس اللون كان هذا هو الوجه الأول ، وإن كان حالا تعرض له به يظهر فيكون الضوء غير اللون^٥ .

وأما المعنى الأول فلا يخلو أيضا ، إما أن يعنى بالظهور خروج من القوة إلى الفعل فلا يكون الشيء مستتباً بعد ذلك الآن الواحد^٦ ، وإما أن يعنى به نفس اللون ، فيكون قوله انظهور لامعنى له أيضا ، بل يجب أن يقال : إن الاستنارة هو اللون ، أو يعنى به حال تقارن اللون إما دائما وإما وقتاً ما ، حتى يكون اللون شيئاً يعرض له النور تارة وتعرض له الظلمة أخرى . واللون فى الحالين موجود بالفعل ، فإن كان نفس نسبته إلى ما يظهر له عاد إلى المذهب الآخر ، وإن كان شيئاً آخر عاد إلى

١- يعنى الجعل المركب بان يكون قبل الظهور موجوداً لكنه غير اللون .

٢- أى إلى البصر .

٣- ولاقرار وجود له ، نسخة .

٤- فى الشوازيق : لانه يوجب ان يكون النور نسبة او حدوث نسبة ولاقوام وجود له فى نفسه .

٥- فى تعليقه نسخة : والحال انهم قالوا ان الضوء ليس شيئاً عليحدة بل الضوء نفس اللون الظاهر .

٦- فى تعليقه نسخة : لانه صار بالفعل فلا يصير ثانياً بالفعل .

ذلك أيضاً^١.

فإن قررنا الأمر على أن الضوء وإن كان نفس اللون فيكون كان الضوء هو اللون نفسه إذا كان بالفعل^٢، فلا يخلو إما أن يكون الضوء مقولاً على كل لون بالفعل، أو يكون البياض وحده ضوءاً. فيكون السواد ظلمة. فيستحيل أن يكون الجسم الأسود مشرقاً بالضوء، لكن هذا ليس بمستحيل، فإن الأسود يشرق وينور غيره فليس الضوء هو البياض وحده، وإن لم يكن الضوء هو البياض وحده، بل كل لون كان بعض ما هو ضوء يضاد بعض ما هو ضوء، ولكن الضوء لا يقابله إلا الظلمة، هذا خلف.

وأيضاً فإن المعنى الذى به الأسود مضيء غير سواده لامحالة، وكذلك هو غير البياض، واللون أعنى طبيعة جنسه الذى فى السواد هو نفس السواد، واللون الذى فى البياض هو نفس البياض لا عارضا له، فليس اللون المطلق الجنس هو الضوء.

وأيضاً فإن الضوء قد يستتير به الشفاف، كالماء والبلور إذا كان فى ظلمة فوق عليه الضوء وحده^٣ دل عليه وأشف، فبهذا هو ضوء وليس بلون.

وأيضاً فإن الشيء يكون مضيئاً وملوناً، فتارة يشرق منه على شيء آخر الضوء وحده كما يشرق على ماء أو حائط، وتارة يشرق منه إذا كان قوياً الضوء مع اللون جميعاً حتى يحمرّ الماء أو الحائط الذى يشرق عليه أو يصفّره. فلو كان الضوء ظهور اللون وكانت الظلمة خفاء اللون، لكان

١- فى تعليقة نسخة : وهو كون الضوء غير اللون وهو أحد شقوق المذهب الآخر.

٢- فى تعليقة نسخة : أى اللون نفس الضوء لأخروج اللون من القوة إلى الفعل.

٣- بلالون.

تأثير اللون الاحمر فيما يقابله حمرةً لابريقاً ساذجاً، فإن كان هذا ظهور لون آخر^١، فلم إذا اشتد فعل فيما يقابله إخفاء لونه بأن ينتقل لون هذا القوى اللون إليه^٢.

وعلى أن مذهب هذا الإنسان يوجب أن الخضرة أو الحمرة وغير ذلك مختلطة من ظهورات بياضية وخفاءات سوادية. فيلزم من ذلك أنه إذا كان جسم ظاهر اللون بشعاع وقع عليه ثم انعكس على المعنى الذى تفهمه ضوء جسم آخر ذى لون أن لا يقع لونه عليه، لأنه لا يخلو إما أن يكون هذا المستنير المنير لغيره الاجزاء الظاهرة اللون وحدها أو مع غيرها، فإن كانت وحدها فهى إنما توجب ظهور اللون فى تلك بأن تبيض لإخفاء اللون بأن تحمر أو تخضر. وإن كانت مع غيرها حتى كانت الظاهرة اللون والخفية اللون تفعلان جميعاً هذا خفاء وذلك ظهوراً. فيكون إخفاء اللون تأثير فى المقابل، لكن خفاء اللون ليس له هذا التأثير، ألا ترى أنه إذا كان خفاء لون مجرد لم يؤثر فيما يقابله كما يؤثر ظهور اللون الذى يقولون به لو كان مفرداً.

فإن قالوا: إن اللون ظهور الحمرة أيضاً والخضرة وغير ذلك من حيث

١- قوله: «فإن كان هذا ظهور لون آخر» كلمة هذا اشارة الى قوله: «وتارة يشرق منه اذا كان قوياً الضوء مع اللون جميعاً» فلا تغفل.

٢- اى الى المقابل. قال الرازى: الثالث ان اللون يوجد من غير الضوء فإن السواد قد لا يكون مضيئاً وكذلك ساير الالوان. وكذلك الضوء قد يوجد بدون اللون مثل الماء والبلور اذا كثنا فى ظلمة ووقع الضوء عليه وحده فانه حينئذ يرى ضوءه فذلك ضوء وليس بلون واذا وجد كل منهما دون الآخر فلا بد من التباين. قال شارح النواقف الضوء الذى فى البياض يعاثر فى الماهية الضوء الذى فى السواد كما يشهد به الحس. وهما لا يتماثلان فى الحقيقة قطعاً فلا يكون ضوء كل منهما عينه بل امر زايد عليه.

هو حمرة وخضرة وإن الخضرة إذا اشتد ظهورها فعلت مثل نفسها ففعلت خضرة وحمرة . فيقال : ما باله إذا كان قليل الظهور أظهر اللون^١ فى الذى يقابله على ما هو عليه على المعنى الذى هو ضوء مجرد فقط ، وفعل مثل ما يفعله مضيء لو لم يكن له لون ، فإذا اشتد ظهوره أبطله أو أخفاه بلون نفسه ، فكان يجب أول الأمر أن يكون إنما يفعل فيه لونا من لونه قليلا ، ثم إذا اشتد فعل فيه كثيرا ، فكان كل فعل يفعله إنما هو إخفاء لون ذلك^٢ بمزجه بلونه وليس كذلك ، بل يُظهر أول شيء لونه^٣ إظهارا شديدا . وإنما يُظهر فيه اللون الذى فى استعدادده مالمو حضر مضيء لالخضرة ولا حمرة فى فعله ، ثم يعود بعد ذلك إذا صار أقوى ظهورا آخذا فى إبطال لونه وإخفائه وإلباسه لونا آخر ليس فى جبلته ولا طبيعته . فيكون إذن أحد الفعلين عن شيء غير الآخر ، فيكون مصدر أحد الفعلين^٤ عن الضوء الذى لو كان الجسم لا لون له وله ضوء لكان يفعل ذلك مثل بلورة مضيئة ، والفعل الآخر يكون من لونه إذا اشتد ظهوره بسبب هذا الضوء حتى صار متعديا .

فإننا وإن كنا نقول : إن الضوء ليس هو ظهور اللون ، فلا نمنع أن يكون الضوء سببا لظهور اللون وسببا لنقله . ونقول : إن الضوء جزء من جملة هذا المرئى الذى نسميه لونا وهو شيء إذا خالط اللون بالقوة^٥ حدث

١- أى أظهر لون مقابله .

٢ و٣- أى المقابل .

٤- فى تعليقه نسخة : أحدهما اظهار اللون الذى فى استعدادده والاخر ابطال لونه واخفائه

والباسه لونا آخر ليس فى جبلته ولا فى طبيعته اذا صار أقوى .

٥- أى الاستعداد المخصوص .

منهما الشيء الذى هو اللون بالفعل بالامتزاج، فإن لم يكن ذلك الاستعداد كان إنارة وبريقا مجردا^٢. فالضوء كجزء من الشيء الذى هو اللون ومزاج فيه، كما أن البياض والسواد لهما اختلاط ما يحدث منه تلك الألوان المتوسطة.

وأما قول القائل: إن الضوء واللمعان أيضا ليس إلا ظهور اللون، ثم قوله فى الأشياء اللامعة فى الليل ما قاله، فيُطَلَّ بأن السراج والقمر كثيرا ما يبطلان لمعان ذلك ويظهران ألوانها^٣. فيجب أن يكون نور السراج أشدَّ ظهور لون^٤، فيجب أن يكون أيضا ما يصير بالسراج ظاهر اللون لا يرى له فى الظلمة لونه. وليس الأمر كذلك، فإن اللامعات يرى لونها أيضا^٥ بالليل كما يرى بريقها. فليس ما قالوه بحق.

وأما القائل بأن للشمس والكواكب ألوانا وأن الضوء يخفى لونها، فيشبهه أن يكون الحق أن بعض الأشياء يكون له فى ذاته لون فإذا أضاء اشتدت إضاءته حتى يبهر البصر فلم يميز اللون، ومنه ما يكون له مكان

١- تامة أى لم يوجد.

٢- بلا لون.

٣- أى ألوان الأشياء اللامعة.

٤- فى تعلية نسخة: من لمعان الحيوانات اللامعة بالليل.

٥- فى تعلية نسخة: قوله: «فإن اللامعات يرى أيضا لونها» أى يرى بنور السراج معنى الأشياء المستضيئة بضوء السراج يرى لونها أيضا كما يرى بريقها بالليل حين كون الرائي فى الموضع المظلم بظلمة الليل فلو كان شدة الضوء تمنع البصر فى الظلمة لضعاف الظلمة إياه عن ادراك اللون لوجب أن لا يرى لتلك الأشياء المستضيئة بضوء السراج حين كون الرائي فى الظلمة لون لأن الضوء الواقع من السراج على تلك الأشياء أشد ظهورا للون من لمعان الحيوانات اللامعة بالليل فكما يمنع ذلك اللامعات لشدة ظهوره البصر عن ادراك لون الحيوانات اللامعة يجب أن يمنع ما هو أشد منه اعنى ضوء السراج.

اللون الضوء وهو الشئ الذى يكون الضوء له طبيعيا لازما غير مستفاد، وبعض الاشياء مختلط الجوهر من ذلك الأمر، إما اختلاط تركيب أجزاء مضيئة وأجزاء ذوات ألوان كالنار، وإما اختلاط امتزاج الكيفيات كما للمريخ ولزحل . وليس يمكننى أن أحكم فى أمر الشمس الآن بشئ .

فقد عرفنا حال الضوء وحال النور وحال اللون وحال الإشفاف . فالضوء هو كيفية هى كمال بذاتها للشفاف من حيث هو شفاف، وهو أيضا كيفية مالمبصر بذاته لا لعلّة غيره . ولا شك أن المبصر بذاته أيضا يحجب عن إبصار ما وراءه . والنور كيفية يستفيد بها الجسم الغير الشفاف من المضيء فيكمل بها الشفاف شفافا بالفعل . واللون كيفية تكمل بالضوء من شأنها أن تصير الجسم مانعا لفعل المضيء فيما يتوسط ذلك الجسم بينه وبين المضيء . فالأجسام مضيئة وملونة وشفافة .

ومن الناس من قال : إن من الأجسام ما يرى بكيفية فى ذاتها . ومنها ما يرى بكيفية فى غيرها، وجعل القسم الأخير هو الشفاف . وأما القسم الأول فقد جعله أولا قسمين : أحدهما ما يرى فى الشفاف لذاته

١- قوله : «لذاته» متعلق بقوله : «يرى» . وضمير «لذاته» راجع الى «ما» . و«الحضور» عطف على لذاته وهو ايضا متعلق بفعل «يرى» . وضميره راجع الى «ما» . و«المشف» فى الموضوعين هو الشفاف القسم الأخير ، وهو واسطة عامة لكى تصير الاجسام ملونة . ثم مايشترط فى مقابل لذاته وهو قسمان : احدهما مايشترط فى رؤيته الضوء . وثانيهما مايشترط فى رؤيته الظلمة . وقوله فى الموضوعين «مع شرط المشف» يعنى مع وجود الشفاف الذى هو واسطة عامة لرؤية الاجسام المرئية سواء كان فى الموضوعين او غيرهما ، كما قال فى القسم الاول احدهما مايرى فى الشفاف يعنى فى الهوى مثلاً وهكذا المراد من قوله مع شرط المشف فى الموضوعين .

ولحضوره وهو المضيء، وثانيهما مالميس كذلك. ثم قسم هذا بقسمين : أحدهما ما يشترط في رؤيته الضوء مع شرط المشف وهو الملون، والثاني ما يشترط في رؤيته الظلمة مع شرط المشف كالحيوانات التي تلمع في الليل من حيث تلمع كاليراعة^١، وبعض الخشب المتعين^٢ وبعض الدود. وقد رأيت أنا بيضة دجاجة بهذه الصفة، وجرادة ميتة بهذه الصفة، وصرارة^٣ ميتة بهذه الصفة.

وليست هذه القسم^٤ بمرضية ولا صحيحة، فإن المضيء يرى لذاته في الظلمة وفي الضوء جميعا. فإن اتفق أن كان الرائي في الضوء الذي يفعله^٥ رؤى، وإن اتفق أن لم يكن فيه رؤى أيضا، كالنار يراها الإنسان في الضوء سواء كان ضوءها أو ضوء غيرها ويراه في الظلمة.

وأما الشمس فإنما ليس يمكننا أن نراها في الظلمة بسبب أنها حيث تكون مقابلة لبصر الرائي تكون قد ملأت العالم ضوءاً ولم تترك مكاناً مظلماً. وأما الكواكب فإنها إنما ترى في الظلمة، لأن ضوءها يقصر عن ضوء الشمس فلا تنضيء الأشياء ولا تنورها، بل لا يمتنع أن توجد فقد يمكن أن تكون ومعها ظلمة فترى في الظلمة لا لأن الظلمة سبب أن ترى

١- اليراعة ذباب يطير بالليل كأنه نار (كرمك شبتاب).

٢- المتعفن، نسخة.

٣- الصرّ عصفور أو طائر في قده اصفر اللون، سمى به لصوته من صرر إذا صاح. مجمع البحرين ج ٣ ص ٣٦٥.

٤- في تعليقة نسخة: أي المضيئات طبقة والملونات طبقة واللوامع التي تلمع في الليل طبقة. بل القسم المرضية هي أن اللوامع داخلية في المضيئات.

٥- أي يفعل المضيء الضوء رؤى المضيء وإن اتفق أن لم يكن الرائي في المضيء رؤى المضيء أيضا.

هى بالذات ، بل يجب أن يعلم أن بعض الانوار يغلب بعضها حتى لا يرى ، كما أن ضوء الشمس يغلب ضوء النار الضعيفة وضوء الكواكب ولا ترى مضيئة عند ضوء الشمس فلا ترى ، لا لاجل الحاجة فى رؤيتها إلى الظلمة ، بل للحاجة إلى أن تكون فى أنفسها مضيئة غير مظلمة بالقياس إلى أبصارنا . فإذا كانت الشمس غائبة ظهرت ورؤيت ، لأنها صارت مضيئة بالقياس إلى أبصارنا وبحال فى أبصارنا .

وربما كان حكم النار والقمر عند ضوء ما هو أضعف منهما هذا الحكم بعينه . ويجب فى ذلك الضوء^١ أن لا يكون موجودا بالقياس إلينا عند ظهور نار أو قمر ، فيلزم أن تكون ظلمة حتى يظهر ، ويلزم أن لا يكون باهر^٢ حتى يرى^٣ ويتمكن البصر من إدراكه . فانت تعلم^٤ أن الهباء الذى فى الجو ليس من جنس ما لا يرى المستنير منه إلا فى الظلمة ، لكن إن كان الإنسان فى الظلمة وقد وقع على هذه الهباءات شعاع الشمس أمكن أن ترى تلك الهباءات^٥ ، فإن كان الإنسان فى شعاع لم يمكن ، وذلك

١- أى الضوء الضعيف .

٢- أى ما كان ضوءه ضعيفاً .

٣- بيان لقوله أو يلزم .

٤- فى تعليقه نسخة : قالوا البياض انما يتخيل من مخالطة الهواء المضىء للأجسام الشفافة المتصغرة جداً كما فى الثلج وزبد الماء فانهما مركبان من اجزاء مائة متصغرة جداً وليس بينها تفاعل يؤدى الى مزاج يترتب عليه لون بل تداخل تلك الاجزاء هواء واسعة فائضة من اجرام العلوية وتتعاكس تلك الاشعة من سطوح بعضها الى بعض ويتراكم الاشعة بعضها على بعض والشعاع المنعكس يشبه البياض فان الشمس اذا اشرفت على حوض من الماء وانعكس شعاعها الى جدار غير مستنير يرى ذلك اللون كانه لون بياض فاذا راي الحس الشعاع التراكم على تلك الاجزاء يغلط لعدم الفرق بين الشئ وشبهه فيحكم بانه بياض .

لأمر فى بصر الإنسان لا لأمر فى ضوء الهباءات، فإن بصر الإنسان إذا كان مغلوبا بضوء كثير لم يرها، وإن لم يكن مغلوبا رآها. وكذلك هذه اللوامع فى الليل ليست جنسا آخر، بل هى المضيئات ويخالفها لافى جملة الطبع، بل فى الضعف^١، ولو كانت هذه مخالفة للمضيئات فى جملة الطبع، فالكواكب كذلك.

ولا يتحصل لهذه القسمة محصول صادق، إلا أن يقال: إن بعض المضيئات باهرة لبعض وبعضها مبهورة لبعض. ومعنى ذلك البهر ليس تأثيرا منها فيها، بل فى إبصارنا، كما أن بعض الصلابات أصلب وبعضها أضعف فلا يجب إذن أن يقال: إن اللواتى تلمع فى الليل نوع أو جنس مفرد خارج عن الملونات والمضيئات، بل هى من جملة المضيئات التى يبهرها ما فوقها فى الإضاءة فلا ترى معها لعجز أبصارنا حينئذ، بل إنما تقوى عليها أبصارنا عند فقدان سلطان الباهرة لأبصارنا من المضيئات.

فإن ذهبوا إلى هذا فالقسمة جيدة، إلا أنهم ليسوا يذهبون إلى هذا بل يوهمون أن المضيئات طبقة، والملونات طبقة، وهذه^٢ طبقة.

١- فى تعلية نسخة: بحيث لا يرى فى الضوء القوى.

٢- أى اللوامع فى الليل.

الفصل الرابع

فى تأمل مذاهب قيلت فى الألوان وحدوثها^١

وما يجب أن نفرغ عنه تأمل مذاهب آخر فى أمر الألوان والضوء، ما لم نفرغ عنه لم يكن سبيل إلى أن ندل على صحة ما ذهبنا إليه بطريق القسمة .

ف نقول : إن من المذاهب فى أمر الألوان مذهب من يرى أن اللون الأبيض^٢ إنما هو تكونه من الهواء والضوء، وأن الأسود تكونه من ضد

١- راجع ص ٢٨ ج ٢ ط ١ - ص ٨٥ ج ٤ ط ٢ من الاسفار . وفى شرح المواقف : قال بعض من القدماء لا وجود للون أصلاً بل كلها متخيلة .

٢- قوله : «مذهب من يرى أن اللون الأبيض» هذا المذهب يرى أن اللون لاهقيقة له أصلاً والألوان كلها متخيلة، وذكر امثلة مما ليس بينها تفاعل أصلاً كزبد الماء والثلج سيما المسحوقات من البلور والزجاج رداً لقول من يقول كالشيخ والفارابى ومن يحدو حدوهما : أن الألوان بالفعل إنما يحدث بسبب النور والاستعدادات الحاصلة فى الاجسام من تفاعلها وبالجملة أن الألوان موجودات لا أن كلها خيالات . ثم أن الشيخ ومن سلك سبيله لا ينكرون حدوث الألوان الدفعية المتخيلة كالمسحوقات المشقة وكقوس قزح . قال صدر المثلهين فى الفصل الاول من الباب الثالث من الجواهر والاعراض من الاسفار (٢٨ ج ٢ ط ١ = ص ٨٥ ج ٤ ط ٢) : ذهب بعض الناس الى أن لاهقيقة للون أصلاً بل جميع الألوان من باب الخيالات كما فى قوس قزح والهالة

ذلك، وأن حدوث اللون الأبيض هو من الشفاف إذا انقسم إلى أجزاء صغار ثم ارتكمت فإنه يعرض هناك أن تقبل سطوحها النور فتضيء، ولأنها شفافة يؤدي بعضها إضاءة بعض. ولأنها صغار يكون ذلك فيها كالمتمصل، ولأن المشف لا يرى إلا بلون غيره، فإن شفيفها لا يرى، لكن العكس عن السطوح المتراكمة منها ترى متمصلة ويرى الجميع أبيض.

قالوا: ولهذا ما كان زبد الماء أبيض بمخالطة الهواء، والثلج أيضا أبيض لأنه أجزاء صغار جامدة شفافة خالطها الهواء ونفذ فيها الضوء، والبلور المسحوق والزجاج المسحوق لا يشف، وأى هذه اتصلت سطوحها اتصالا لا يبطل به انفراد كل شخص منها بنفسه عادت شفافة، والشفاف الكبير الحجم إذا عرض فيه شق أدى ذلك الموضع منه إلى البياض. قالوا: فأما السواد فيتشخيل لعدم غور الجسم وعمقه الضوء والإشفاق معا.

ومنهم من جعل الماء سببا للسواد. قال: ولذلك إذا بليت هذه الأشياء مالت إلى السواد. قال: وذلك لأن الماء يخرج الهواء ولا يشف إشفاقه

→ وغيرهما فإن البياض إنما يتخيل من مخالطة الهواء للأجسام الشفافة المتصغرة جداً لكثرة السطوح المتعاكسة عنها النور بعضها من بعض كما في الثلج. إلى أن قال: والمحققون على أنها كيفيات متحققة لا متخيلة وإن كانت متخيلة في بعض المواضع أيضاً وظهورها في الصور المذكورة بتلك الأسباب لا ينافي تحققها وحدوثها بأسباب أخرى التي هي باستحالات المواد.

١- «والبلور المسحوق والزجاج المسحوق لا يشفان بل يريان على لون مع أن سطوحهما عند الاجتماع لم يتفاعل بعضهما عن بعض حتى يقال حصل هناك لون» (المباحث المشرقة).

٢- رؤى، نسخة.

ولا ينفذ فيه الضوء إلى السطح فتبقى مظلمة. ومنهم من جعل السواد لونا بالحقيقة وأصل اللون. قال: ولذلك لا ينسلخ، وأما البياض فعارض للمشف بتراكمه ولذلك يمكن أن يصيغ. ولا يبعد أن يكون المذهب الأول في السواد يؤدي إلى هذا المذهب أيضا، إذ جعل السواد حقيقة ما لا يشف من جهة ما لا يشف وهو حقيقة اللون المنعكس عنه.

وقال قوم: إن الأسطوانات كلها مشفة، وإنها إذا تركبت حدث منها البياض على الصفة المذكورة، وبأن يكون ما يلي البصر سطوحا مسطحة من المشف فينفذ فيها البصر، وأن السواد يعرض إذا كان ما يلي البصر من الجسم زوايا تمنع الإشفاف للأطراف التي تقع فيها فهي وإن أضاءت^١ فما لا ينفذ فيها الضوء نفوذا جيدا فتظلم.

والذي يصعب من هذه الجملة فصل القول فيه تولد البياض من الضوء، وكون السواد لونا حقيقيا. فإنا نعرف أن المشفات تبيض^٢ عند السحق والخلط بالهواء، وكذلك اللخالخ^٣، والناطف^٤ يبيض لاجتماع احتقان الهواء فيه مع الإشفاف الذي في طبعه، ونعلم أن السواد لا يقبل لونا البتة كما يقبل البياض، فكان البياض لإشفافه موضوع ومعرى مستعد، والمعرى عن الكيفيات قابل لها من غير حاجة إلى إزالة شيء،

١- أضائه: روشن شدن و روشن کردن. لازم متعدد. (متهى الارب) فما لا ينفذ فيها الضوء نفوذاً جيداً يظلم - نسخة.

٢- لخلخه: كف صابون وجوبه كه از دست زدن بهم رسد. وفي بحرالاجواهر للهروى: اللخلخة بالفتح هي اشياء مركبة يشم بها. وقيل ظرف يصب فيه من مياه الخلاف والوردة والكزبرة وامثال ذلك.

٣- الناطف هو الذى يقال له بالفارسية «قُبَيْدَه» حلوائى است معروف.

والمشغول بواحدة لا يقبل غيرها إلا بزوالها . فهؤلاء قوم يجعلون مخرج الألوان من الإشفاف وغير الإشفاف .

وبإزاء هؤلاء قوم آخرون لا يقولون بالإشفاف البتة ، ويرون أن الأجسام كلها ملوثة ، وأنه لا يجوز أن يوجد جسم إلا وله لون . ولكن الثقب والمنفذ الخالية إذا كثرت في الأجسام نفذ فيها الشعاع الخارج من المضىء إلى الجهة الأخرى ، ونفذ أيضاً شعاع البصر فرؤى ما وراءها .

فأما المذهب الأول فإذا نقول : لعمري إنه قد يظهر من دق المشف وخلطه بالهواء لون أبيض^١ ، ولكن إنما يكون ذلك لافى جسم متصل

١- قال صاحب الشوارق : قال الشيخ ما حاصله انه لاشك في ان اختلاط الهواء بالمشف سبب لظهور البياض ولكننا ندعى ان البياض قد يحدث من غير هذا الوجه كما في الجص فإنه يبيض بالطبخ في النار وقد يبيض بالسحق والدق مع ان تفرق الاجزاء و مداخلة الهواء فيه اكثر وكما في البيض المسلوق فإنه يصير اشد بياضاً مع ان النار لم تحدث فيه تخلخلًا وهوائية بل اخرجت الهوائية عنه و لو فرض ان هوائية داخلت رطوبته فيبيضته لكان خثورة لانعقاد وكما في الدواء الذي يتخذه اهل الحيلة ويسمونه لبن العذراء فإنه يكون من خل طبخ فيه المرّداسنج حتى انحل فيه ثم صفى حتى بقى الخل في غاية الاشفاف والبياض و خلط بماء طبخ فيه القليا وصفى غاية التصفية وبيالغ فيها ثم تخلط الماء ان فينعقد المنحل الشفاف من المرّداسنج ويصير في غاية البياض كاللبن الرائب ثم يجف وما ذلك لحدوث وتفرق في شفاف ونفذ هواء فيه فإنه كان متفرقاً منحلًا في الخل ولالتقارب اجزاء متفرقة وانعكاس ضوء البعض الى البعض لان حدة ماء القليا بالتفريق اولى . واعلم ان كون الالوان ذوات حقائق في الخارج امر ضرورى وليس الغرض من هذه الوجوه الا التنبيه عليه وازالة وهم من توهم غيره فلا يرد عليها ما اورده الامام في المباحث المشرقية من ان لقائل ان يقول على هذه الوجوه جاز ان يكون لتخيل البياض سبب آخر لانعلمه اذ المفروض انه لا اعتماد على الحسن والا لوجب الحكم بكون الثلج ابيض حقيقة هذا . شوارق الالهام ج ٢ ص ٤٠٣ .

وقال الرازى في المباحث ص ٤٠٧ ج ١ : واعلم ان الشيخ ذكر في فصل توابع المزاج من

ومجتمع ، بل إنما يظهر ذلك اللون فى الرُّكَّام منه ، وأنه إذا جمع وبلَّ زال عنه البياض عند الاجتماع والجفوف . وليس الجص على ما اظنه ويوجبه غالب ظنى أن مايبيض بياضه لذلك فقط ، بل لأن الطبخ يجعله بحيث إذا بُلَّ ثم جُفَّ ابيض بياضا شديداً لمزاج يحدث فيه .

والدليل على ذلك أنه لو كان فعل النار فى الجص ليس إلا تسهيل التفريق ، وأن تسهيل التفريق قد يوصل إلى الهيئة التى ذكر أنها سبب لكون البياض ، لكان السحق الكثير المؤدى إلى غاية تصغير الأجزاء يفعل ذلك الفعل فى الجص وفى النورة وفى غيره ، ولكان المهيمى بالسحق والتصويل إذا اجتمع بالماء فعل فعل الجص من البياض ، وليس كذلك .

ثم لنفرض أن الجص يتكوّن فيه ذلك البياض على الصورة المذكورة ، فليس كل بياض يحدث على هذه الصفة ، فإن البيض إذا سُلِّق^١ يصير بياضه الشفاف^٢ أبيض وليس يمكن أن يقال إن النار زادته تخلخلا وتفرقا فإنها قد زادته تكاثفا على حال ، ولا أنه قد حدث فيه هوائية وخلطته .

فأول ذلك أن بياض البيض يصير عند الطبخ أثقل وذلك لما يفارقه من الهوائية .

→ ثانية الفن الرابع من الطبيعيات انه لم يعلم انه هل يصح البياض بغير هذا الطريق ام لا .
واما فى ثانى المقالة الثانية من علم النفس فقد قطع بوجود ذلك فقال لاشك ان اختلاط الهواء بالمشف سبب لظهور اللون الابيض ولكننا ندعى ان البياض يحدث من غير هذا الوجه ويدل عليه اسور اربعة

١- بل ، نسخة .

٢- أى طبخ .

٣- سفیده تخم .

وثانياً أنه لو كانت هوائية داخلت رطوبته فيبيضته لكانت خشورة^١ لا انمقاداً، وقد علمت هذا قبل .

وأيضاً فإن الدواء الذى يتخذه أهل الحيلة ويسمونه لبن العذراء يكون من خلٍ طَبَخ فيه المرداسنج حتى انحل فيه، ثم صُفِّى حتى بقى الخل فى غاية الإشفاف والبياض، وخلط بماء طَبَخ فيه القلى، وصفى غاية التصفية حتى صار كأنه دمعَة . فإنه إن قصر فى هذا لم يلتئم منهما المزاج الذى يطلبونه . فكما يخلط هذان الماءان ينعقد فيه المنحل الشفاف من المَرَّتْكَ^٢ أبيض فى غاية البياض كاللبن الرائب، ثم يجف، فليس ذلك لأن هناك شفافاً عرض له التفرق، فإن ذلك كان متفرقاً منحللاً فى الخل ولا أجزاء مشقة صغاراً جداً تدانت وتقاربت، بل إن كان ولا بد فقد ازدادت فى ماء القلى تفرقاً^٣ ولا أيضاً خالطها هواء من خارج بوجه من الوجوه، بل ذلك على سبيل الاستحالة، فليس كل تولد بياض فيما أحسب على الصفة المذكورة .

ولو لم يكن البياض إلا ضوءاً والسواد إلا ما قيل، لم يكن تركيب السواد والبياض إلا آخذاً مسلماً واحداً .

بيان هذا: أن البياض يتجه^٤ إلى السواد قليلاً قليلاً من طرق ثلاثة:

١- غلظت .

٢- فى تعليقه نسخة: المرتك كمقعد المرداسنج (القاموس) .

٣- فى تعليقه نسخة: قال الامام ولان تلك الاجزاء تقاربت حتى ينعكس ضوء بعضها الى بعض فان حدة ماء القلى اولى بالتفريق .

٤- قوله: «بيان هذا ان البياض يتجه ...» ، الشيخ - قدس سره - ابطال المذهب الاول بطريقتين: طريق الاتجاه وطريق الانعكاس . اما طريق الاتجاه فتنتهى العبارة فى بيانه الى قوله: «ولو كانت هذه لاتكون الا باختلاط الاجسام» . واما طريق الانعكاس فيبدأ من قوله
←

أحدها طريق الغبرة وهو الطريق الساذج، فإنه إذا كان السلوك ساذجا يتوجه إلى الغبرة ثم منها إلى العوديّة^١، وكذلك حتى يسودّ. فيكون سالكا طريقا لا يزال يشتد فيه السواد وحده يسيرا يسيرا حتى يمحض. والثانى الطريق الآخذ إلى الحمرة، ثم إلى القُتْمَة، ثم إلى السواد.

والثالث الطريق الآخذ إلى الخضرة، ثم إلى النيلية، ثم إلى السواد. وهذه الطرق إنما يجوز اختلافها، لجواز اختلاف ما تتركب عنها الالوان المتوسطة. فإن لم يكن إلا بياض وسواد، ولم يكن أصل البياض إلا الضوء وقد استحال ببعض هذه الوجوه، لم يمكن فى تركيب البياض والسواد إلا الآخذ فى طريق واحد لا يقع الاختلاف فيه إلا وقوعا بحسب النقص والاشتداد فيه فقط، ولم تكن طرق مختلفة. فإن كانت طرق

→

هذا : «ولو كانت هذه لا تكون الا باختلاط الاجسام» الى قوله : «واما المذهب الثانى .»

ثم الاتجاه من البياض الى السواد انما هو على سبيل الحركة واللون الحاصل منه لون طبيعى باستحالة المادة وليس من قبيل الالوان الدفعية الحاصلة من المسحوقات المشقة وغيرها ما ذكرها القائل بتخيل الالوان كلها فلا يخفى عليك ما فى التمسك بالاتجاه من ارغام الخصم وابطال مذهبه وذلك لانه لا يتمشى القول بتخيل الالوان فى الالوان الطبيعية الحاصلة من الاتجاه، على ان الاتجاه يلزم الخصم بوجوه مذكورة ذكرها الشيخ ايضا فتبصر.

قال صدر المتألهين فى آخر الفصل الاول من الباب الثالث من الجواهر والاعراض من الاسفار (ص ٢٩ ج ٢ ط ١ = ص ٨٨ ج ٤ ط ٢) : اعلم ان كل ما يحدث من الالوان بسبب طبع صناعى او نضج طبيعى وبالجعملة باستحالة للمادة فهو لون طبيعى، وكل ما يحدث دفعة فى محل وان كان بعد حركة مكانية فهو لون غير طبيعى كالالوان القزحية والزجاجية والوان المسحوقات المشقة وكالجمد المكسور باجزاء صغيرة وكلا القسمين موجودان لكن احدهما مادى حاصلى بانفعال المادة، والآخر من تعينات النور الحاصل واختلاف ظهوره على الابصار حسب اختلاف المظاهر.

مختلفة، فيجب أن يكون شوب من غير البياض والسواد مع أن يكون شوبا من مرثى وليس فى الأشياء شىء يظن أنه مرثى، وليس سوادا ولا بياضا ولا مركبا منهما إلا الضوء عند من يجعل الضوء شيئا غيرهما. فإن بطل مذهبه امتنع استحالة الألوان فى طرق شتى، وإن أمكنه هذه الاستحالة وجب أن يكون مرثى ثالث خارج عن أحكام البياض والسواد، ولا وجه أن يكون هذا المرثى الثالث موجودا إلا أن يجعل الضوء غير اللون.

فمن هاهنا يمكن أن تركيب الألوان فيكون البياض والسواد اذا اختلطا وحدهما كانت الطريقة هى طريقة الاغبرار لاغير، فإن خالط السواد ضوء فكان مثل الغمامة التى تشرق عليها الشمس ومثل الدخان الأسود تخالطه النار، فكان حمرة إن كان السواد غالبا، أو صفرة إن كان السواد مغلوبا وكان هناك غلبة بياض مشرق. ثم إن كان هناك صفرة خلطت بسواد ليس فى أجزائه إشراق حدثت الخضرة. وبالجمله إذا كان الأسود أبطن والمضىء أظهر والحمرة بالعكس^١. ثم إن كان السواد غالبا فى الاول كانت قتمة، وإن كان السواد غالبا فى الثانى كانت كُرائية تلك الشديدة التى لا اسم لها، وإن خلط ذلك ببياض كانت كهوبة^٢ زنجارية، وإن خلط بالكُرائية سواد وقليل حمرة كانت نيلية، وإن خلطت بالحمرة نيلية كانت أرجوانية. فبهذا يمكن تأليف الألوان سواء كان بامتزاج الأجرام أو بامتزاج الكيفيات.

١- أى إذا كان الاسود اظهر والمضىء ابطن.

٢- كُهبة بالضم مثل قهبة سفيد تيره رنگ.

ولو كانت هذه لاتكون إلا باختلاط الأجسام^١ وقد علم أن السواد لا يُصنع منه الضوء بالعكس جسماً البشة أسود لكان^٢ يجب أن تكون الألوان الخضر والحممر إنما ينعكس منها البياض ولا ينعكس من الأجزاء السود شىء، وخصوصاً وهى ضعيفة منكسرة.

فإن قيل : فقد نراها تنعكس عن المخلوط . فالجواب أن ذلك لأن الخلط يوجب الفعل والانفعال ، ويجب بسبب ذلك امتزاج الكيفية سواء فعلته الصناعة أو الطبيعة . على أن الطبيعة تقدر على الامتزاج الذى على سبيل الاستحالة ، والصناعة لاتقدر عليه ، بل تقدر على الجمع ، فربما أوجبت الطبيعة بعد ذلك استحالة ، والطبيعة تقدر على تلطيف المزج الذى على سبيل الخلط وتصغير الأجزاء ، والصناعة تعجز عن ذلك الاستقصاء . والطبيعة لاتتناهى مذاهبها فى القسمة والنسبة قوة وفعلاً ، والصناعة لايمكن أن تخرج جميع ما فى الضمير منها إلى الفعل .

فقد بان من هذا أن البياض بالحقيقة فى الأشياء ليس بضوء .

ثم لسنا نمنع أن يكون للهواء تأثير فى أمر التبييض ، ولكن ليس على الوجه الذى يقولون^٣ ، بل بإحداث المزاج المبيض^٤ . ولذلك ليس لنا

١- أى اختلاط الأجسام الشفافة بالضوء .

٢- الضوء فاعل يصنع ، وجسماً مفعوله ، وكان جواب لو كانت .

٣- قوله : « ليس على الوجه الذى يقولون » يعنى الوجه الذى هو بحسب المحالطة فقط كما سيصرح به بعد سطر .

وقوله : « أو على سبيل الصبغ » لايبعد أن يكون الصبغ فى الموضعين بالنون والعين المهملة بمعنى الصناعة .

وقوله : « ما يكذبهم الشباب والشيب » كما قيل بالفارسية :

گویند پس از سیاه رنگی نبود پس ریش سیاه من چرا گشته سفید ←

أن نقول : إن بياض الناطف كله من الجهة التى يقولون ، بل من المزاج ، فإن الهواء يوجب لونا أبيض لا بحسب المخالطة فقط ، بل بحسب الإحالة أيضا .

ولو كان مذهبهم صحيحا لكان يمكن أن يبلغ بالشئ الأبيض والملون بشدة الترقيق حتى يذهب تراكمه إلى أن يشف أو إلى قريب منه ، وهذا ما لا يكون .

وأما قولهم : إن الأسود غير قابل للون آخر ، فإما أن يعنوه على سبيل الاستحالة أو على سبيل الصبغ . فإن عنوا على سبيل الاستحالة ، فقد كذبوا ، وما يكذبهم الشباب والشيب . وإن عنوا على سبيل الصبغ ،

وقوله : «فذلك حال مجاوره» الضمير راجع الى الأسود . وكذا الضمير فى «كيفيته» راجع الى الأسود .

وقوله : «فلا يبعد أن يكون الشئ الأسود لا يكون مسوداً» تعليل لقوله : «فذلك حال مجاوره لاحال كيفيته» . وكل واحد من المسودين على هيئة اسم الفاعل من التسويد . يعنى أن قولهم أن الأسود غير قابل للبياض أو اللون الآخر غير صحيح لأن المجاور أى البياض وغيره من الألوان غير نافذ فى الأسود ، لأن الأسود غير قابل لغيره من الألوان .

ثم قال : «على أن ذلك ليس ايضاً مما لا يمكن» يعنى أن ارباب الحيل واصحاب الاكسير يعملون حيلة فى تبييض الأسود فعملهم بالحيلة يكذب القول بأن الأسود غير قابل للون آخر .

قال شارح المواقف : وما استدلل فى الشفاء على حصول البياض من غير اختلاط الهواء بالمشف امران : احدهما اختلاط طرق الاتجاه من البياض الى السواد . وثانيهما انعكاس الحمرة والخضرة ونحو ذلك من الألوان فانه لو كان اختلاف الألوان لاختلاف الشفاف بغيره لوجب أن لا ينعكس من الاحمر و الاخضر الا البياض لان السواد لا ينعكس بحكم التجربة (شرح المواقف ج ٥ ص ٢٣٩ والمباحث المشرقية ج ١ ص ٤٠٩) .

٤- التبييض - خ .

فذلك حال مجاوره لا حال كلفيته . فلا يبعد أن يكون الشئ المسود لا يكون مسودا إلا وفيه قوة نافذ متعلقة قباضة ، فيخالط ، وينفذ ويلزم ، وأن يكون ما هو موجود فى الأشياء البيض بخلاف ذلك فى طبعه ، فلا يمكنه أن يغشى الأسود ويدخله ويلزمه . على أن ذلك ليس أيضا مما لا يمكن ، فإنه إذا احتيل بمثل الاسفيداج^١ وغيره حيلة ما حتى يغوص ويتخلل السواد صبغه أبيض .

وأما المذهب الثانى^٢ فإن ذلك المذهب لا يستقيم القول به إلا إذا فرض الخلاء موجودا ، وذلك لأن المسام التى يذكرونها لا يخلو إما أن تكون مملوءة من جسم أو تكون خالية . فإن كانت مملوءة من جسم ، فإما أن يكون ذلك الجسم يشف من غير مسام ، أو تكون له أيضا مسام ، وينتهى لامحالة : إما إلى مشف لا مسام له ، وهذا خلاف قولهم . وإما إلى خلاء ، فيكون مذهبهم يقتضى وجود الخلاء ، والخلاء غير موجود .

ثم بعد ذلك فإنهم يقولون : إنه ليس كل مسام تصلح لتخييل الإشفاف ، بل يجب أن تكون المسام مستقيمة الأوضاع من غير تعرج^٣ حتى تنفذ فيه الشعاعات على الاستقامة . فلنخرط كرة من جمد ، بل من بلور ، بل من ياقوت أبيض شفاف ، فهذه المسام التى تكون فيها شفافة مستقيمة هبها^٤ تكون كذلك طولا ، فهل تكون كذلك أيضا عرضا ،

١- سفيد آب .

٢- فى تعليقة نسخة : أى الذين لا يقولون بالاشفاف والقائلون بالشقب والمنافذ فى الأجسام .

٣- أى من غير ميل وانعطاف .

٤- فى تعليقة نسخة : هب لفظ يونانى بمعنى نعم ثم استعمل بمعنى سلم . أى سلمناها .

وهل تكون كذلك قطرا ومن أى جهة أثبتّ، فكيف تكون مستقيّمات
تداخل مستقيّمات فتكون من أى جهة تأملتّها لاتنزعج . فمن الضرورة ان
يعرض من بعض الجهات خلاف الاستقامة ووقوف الأجزاء التى لامسام
لها فى سمت الخطوط التى تتوهم خارجة على الاستقامة من العين أو
يكون الجسم خلا كله، وهذا محال . فيجب أن تكون الكرة إذا اختلف
منك المقامات فى استشفافها يختلف عليك شفيفها ضرورة .

ثم كيف يكون حال جسم فيه من المسام والمنافذ ما يخفى لونه حتى
تراه كأنه لالون له، وله فى نفسه لون، ولا يستر لونه شيئا ملصقا بما
وراءه، بل يؤدى ما وراءه بالحقيقة . فإن أحدث سترا فإنما يحدث شيئا،
كانه ليس، فتكون لامحالة الثقب التى فيه أكثر كثيرا من الملا الذى فيه،
فكيف يجوز أن يكون لها استمسالك الياقوت وهو كله فرج . ولو أن إنسانا
أحدث فى الياقوت منافذ ثلاثة أو أربعة، ثم حمل عليه بأضعف قوة
لانرضّ ولانكسر؛ فهذا المذهب أيضا محال .

فالألوان إذن موجودات، وليس وجودها أنها أضواء، ولا الأضواء
ظهورات لها، ومع ذلك فليست هى مما هى بالفعل بغير الأضواء .
والمشف أيضا موجود، وهذا ما أردنا بيانه إلى هذه الغاية . وقد بقى علينا
أن نخبر عن حال الإبصار أنه كيف يكون، ويتعلق بذلك تحقيق كيفية تأدى
الأضواء فى المشف .

الفصل الخامس

فى اختلاف المذاهب فى الرؤية وإبطال المذاهب الفاسدة بحسب الأمور أنفسها

فتقول : إن المذاهب المشهورة فى هذا الباب مذاهب ثلاثة ، وإن كان

١- فى تعليقة نسخة : اعلم ان الابصار بخروج الشعاع لكن لاعن الرائى بل عن المرئى .
وظنى ان اعتقاد المتقدمين كان كذلك ولكن لما اطلقوا القول وقالوا ان الابصار بخروج
الشعاع ولم يتقيدوا بخروجه عن المرئى توهم ان مرادهم خروج الشعاع عن الرائى . ولما
كان كذلك فالاعتراضات التى اوردت على خروج الشعاع كلها مندفة . واعلم ايضا
ان القائلين بالانطباع ايضا مذهبهم عين هذا المذهب لان الضوء الخارج عن المرئى
الحامل لصورة المرئى اذا انطبع فى البصر يتحقق الابصار فالمذهبان يرجعان الى امر
واحد . قال ابن هيثم فى المناظر والمرايا فى الفصل السادس من المقالة الاولى : قد تبين
ما تقدم ان اضواء الاجسام المضيئة تصدر الى كل جهة يقابلها فاذا قابلت البصر وردت
الاضواء الى سطح البصر وقد علم من خاصية الضوء تأثيره فى البصر فاخلق ان يكون
ادراكه للاضواء بما يرد منها اليه . وتبين ان صورة لون الاجسام يصحب الضوء دائماً
بمازجة له انتهى . واعلم ان لابن هيثم فى تلك الرسالة عبارات كثيرة صريحة دالة على
ان الابصار بخروج الشعاع والضوء عن المرئى واصلاً الى الرائى ومن اراد الاطلاع
عليه فليراجع تلك الرسالة .

وقال الرازى فى المباحث ص ٢٩٩ ج ٢ : المذاهب المشهورة بين الحكماء فى الابصار
ثلاثة : الاول قول من يقول انه يخرج من العين جسم شعاعى على هيئة مخروط رأسه
←

كل مذهب منها يتفرع :

أحدها مذهب من يرى أن شعاعات خطية تخرج من البصر على هيئة مخروط يلى رأسه العين وقاعدته المبصر ، وأن أصحابها إدراكا هو السهم منها ، وأن تبصر الشيء هو فعل السهم فيه .

ومنها مذهب من يرى أن الشعاع قد يخرج من البصر على هيئة ، إلا أنه لا يبلغ كثرته^٢ أن يلاقى نصف كرة السماء إلا بانتشار يوجب انتشار الرؤية . لكنه إذا خرج واتصل بالهواء المضىء ، صار ذلك آلة له وأدرك بها .

ومنها مذهب من يرى أنه كما أن سائر المحسوسات ليس يكون إدراكها بأن يرد عليها شيء من الحواس بادراً إليها متصلاً بها أو مرسلًا رسولاً إليها ، كذلك الإبصار ليس يكون بأن يخرج شعاع البتة فيلقى المبصر ، بل بأن تنتهى صورة المبصر إلى البصر بتأدية الشفاف إياها .

وقد استدلل الفريقان الأولان وقالوا : إنما جاز فى سائر الحواس أن تأتيتها المحسوسات ، لأنها يصح إدراكها باللامسة كاللمس ، وكالذوق ،

→ فى العين وقاعدته يلى المبصر والإدراك التام إنما يحصل من المواضع الذى هو موضع سهم هذا المخروط . المذهب الثانى من يقول الشعاع الذى فى العين يتكيف الهواء بكيفيته ويصير الكل آلة فى الإدراك . المذهب الثالث أن الإبصار إنما يحصل بانطباع اشباح المراتب بتوسط الهواء المشف فى الرطوبة الجليدية انتهى . وقال صدر المتألهين فى شرحه للمهتدى ص ١٨٨ : والأشراقون قالوا لا شعاع ولا انطباع وإنما الإبصار بمقابلة المستنير للضوء الباصر الذى فيه رطوبة صقيلة فاذا وجدت هذه الشروط مع زوال المانع يقع للنفس علم حضورى أشراقى على المبصر فتدركه النفس مشاهدة ظاهرة جليلة .

١- نقل ، نسخة .

٢- إلا أنه لا يبلغ من كثرته ، نسخة .

وكالشم الذى يستقرب الروائح بالتنشق ليلاقيه وينفعل به ، وكالصوت الذى ينتهى به التموج إلى السمع . ثم أن البصر ليس يمكن فيه ذلك لأن المرئى منفصل ، ولذلك لا يرى المقرّب منه^١ ولا أيضا من الجائز أن يتنقل إليه عرض موجود فى جسم مرئى أعنى لونه وشكله ، فإن الاعراض لا تنتقل . فإذا كانت الصورة على هذا ، فبالحرى أن تكون القوة الحاسة ترحل إلى موضع المحسوس لتلاقيه . ومحال أن تنتقل القوة إلا بتوسط جسم يحملها فلا يكون هذا الجسم إلا لطيفا من جنس الشعاع والروح ، فلذلك سميناه شعاعا .

ولوجود جسم مثل هذا فى العين ما يرى الإنسان فى حال الظلمة أن نورا قد انفصل من عينيه وأشرق على أنفه أو على شىء قريب يقابله . وأيضا فإن الإنسان إذا صيح ودعاه دهش الانتباه إلى حرك عينيه فإنه يترأى له شعاعات قدام عينيه .

وأيضا فإن الثقبية العنبيّة تمتلئ من إحدى العينين إذا غمضت الأخرى ، وفى التحديق المفرط أيضا فلامحالة أن جسما بهذه الصفة ينصب إليها^٢ .

١- قال الرازى : وأما البصر فليس كذلك لأنه لا يرى ما يكون فى غاية القرب منه فضلاً عما يكون مماساً له ولا بد من الملاقاة فهى إما أن يكون لأنه يتنقل من المحسوس عرض والانتقال عليه محال فتعين الثانى . المباحث المشرقية ج ٢ ص ٣٠٢ .

٢- قال بهمنيار فى التحصيل : الأبهصار إما بأن ينفذ من البصر شىء إلى المبصر أو بأن ينفعل عنه البصر وهذا الشىء الذى يجوز أن يخرج عن البصر لا يصح إلا أن يكون جسماً إذا الاعراض لا يصح عليها الانتقال و محال أن يخرج عن البصر شىء شعاعى يقع على المبصر لأنه إما أن يكون الخارج يصل إلى المبصر فيدركه وإما أن يكون الشفاف آلة فى أن يستحيل إلى جنسه أو فى أن يكون مؤديا . أما القسم الاول فاستحالة ظاهرة
←

ثم أن الفرقة الثانية^١ استنكرت أن يكون جسم مثل العين يسع من الشعاع ما يتصل خطأ واحداً بين البصر والكواكب الثابتة فضلاً عن خطوط تنتهى إلى ما يرى من العالم، وخصوصاً ولا يرى ما يرى منها إلا متصلاً مستوى الاتصال، فيجب أن يكون ما يرى به متصلاً.

واستنكرت أيضاً أن يتحرك هذا الشعاع الخارج فى زمان غير محسوس حركة من العين إلى الثوابت، وقالت يجب أن تكون نسبة زمان حركتك نحو شيء بينه وبينك ذراعان إلى زمان الحركة إلى الكواكب الثابتة نسبة المسافتين، فيجب أن يظهر بين الزمانين اختلاف.

وربما احتج بهذا أصحاب المذهب الثالث^٢ أيضاً على أصحاب الشعاع الخطى.

ولم يعلموا أن هذا فاسد، وذلك لأنه يمكن أن يفرض زمان غير محسوس قصراً أو أكثر زمان غير محسوس قصراً، فتجعل^٣ فيه الحركة

→ وذلك لانه من المحال ان يخرج من البصر جسم متصل يملأ نصف العالم وينتهى الى كرة الكواكب الثابتة ثم كما ينطبق الجفن يعود اليه ثم اذا فتح مرة اخرى خرج مثله كانه واقف على نية الغمض. وان كان هذا الجسم الخارج متشراً لم يدرك المبصر بكليته بل انما يدرك مايقع منه عليه وايضاً فلو كان ادراك الشيء على الصفة المذكورة اعنى بشيء يخرج من البصر لكان وجب ان يرى الشيء البعيد فى غاية البعد بشكله وعظمه والرؤية تتم بوصوله اليه. وايضاً فانه لو كان هذا الشعاع كخط جسمانى لكان وجب عند هبوب الرياح ان يصرفه عن المحاذات الى غير المحاذات ثم كيف يتفذ هذا الجسم فى الافلاك وهى لا تقبل الحرق. وايضاً فان حركة هذا الجسم يكون طبيعية لا محالة فيجب ان تكون الى جهة واحدة وليس كذلك عندهم.

١- فى تعليقة نسخة: اى القائلون بتكيف الهواء بكيفية الشعاع.

٢- اى الانطباع.

٣- فتحصل، نسخة.

التي للشعاع إلى الثوابت ، ثم يمكن أن ينقسم هذا الزمان إلى غير النهاية فيمكن أن يوجد فيه جزء أو بعض نسبته إليه نسبة المسافة المستقصرة إلى المسافة المستبعدة ، فيكون الزمانان اللذان بينهما البعد كلاهما غير محسوسين قصرا .

لكن لأصحاب الشعاعات حجة فى حلها أدنى صعوبة وهو قولهم : إن المرايا تشهد بوجود هذه الشعاعات وانعكاسها ، وذلك أنه لا يخلو : إما أن يكون البصر تتأدى إليه صورة المرآة وقد تتأدى إليها صورة المرئى متمثلة متشبهة فيها ، وإما أن يكون ما نقوله من أن الشعاع يخرج فيلقى المرآة ويصير منها إلى أن يلقى ما ينعكس عليه على زاوية مخصوصة^١ . وإذا بطل القول الأول ، بقى القول الثانى .

وما يتضح به بطلان القول الأول أنه لو كانت هذه الصورة متشبهة فى المرآة لكانت لامحالة تشبيح فى شىء بعينه من سطحها ، كما إذا انعكس الضوء واللون معا فتأديا فى المشف إلى غير الحامل الأول لهما فإنما يتمثل المتأدى من ذلك فى بقعة واحدة بعينها يرى فيها على اختلاف مقامات الناظرين . وليس الشبح الذى فى المرآة بهذه الصفة ، بل ينتقل فيها بانتقال الناظر ، ولو كان إنما ينتقل بانتقال المرئى فقط لم يكن فى ذلك إشكال . وأما انتقاله بانتقال الناظر فدليل على أنه ليس هناك بالحقيقة موضع تشبيح فيه الصورة . ولكن الناظر إذا انتقل انتقل مسقط الخط الذى إذا انعكس إلى المرئى فعل الزاوية المخصوصة فرأى بذلك الخط بعينه المرئى ورأى جزءا من المرآة آخر ، فتخيل أنه فى ذلك الجزء الآخر من المرآة ، وكذلك

١- فى تعليقه نسخة : من ذلك الشىء الذى وقع عليه خط الانعكاس .

لا يزال ينتقل^١.

وقالوا: وما يدل على صحة هذا أن الناظر^٢ الذى للإنسان قد ينطبع فيه شبح مرئى ينعكس عنه إلى بصر ناظر حتى يراه هذا الناظر الثانى، ولا يراه صاحب الحدقة التى تمثل فيها الشبح بحسب التخيل، ولو كان لذلك حقيقة انطباع فى ناظره لوجب على مذهب اصحاب الاشباح أن يتساوى كل منهما فى إدراكه، فإن عندهم أن حقيقة الإدراك تمثل شبح فى الناظر فيكون كل من تمثل فى ناظره شبح رآه.

قالوا: فمن هذا نحكم ونقول إن الناظر فى المرأة يتخيل له فى المرأة أنه يرى صورته وليس كذلك، بل الشعاع إذا لاقى المرأة فادركها كر منعكسا فلاقى صورة الناظر فادركها، فإذا رأى المرأة ونفسه فى سميت واحد من مخرج الخط الشعاعى يتخيل أن أحدهما فى الآخر.

قالوا: والدليل على أن ذلك ليس منطبعاً فى المرأة أنه يرى المرئى فى المرأة بحيث لا يشك أنه ليس فى سطح المرأة، وإنما هو كالغائر فيه والبعيد عنه. وهذا البعد لا يخلو إما أن يكون بُعداً فى غور المرأة، وليس للمرأة ذلك البعد، ولايضاً إن كان لها ذلك الغور كانت المرأة مما يرى مايتشبح فى باطنها، فبقى أن يكون ذلك البعد بُعداً فى خلاف جهة غوره فيكون بالحقيقة إنما أدرك الشيء بذلك البعد من المرأة، فلا يكون قد انطبع شبحه فى المرأة.

فيلزمنا أول شيء أن نبطل المذهبين الأولين، فنثبت صحة مذهبنا وهو الثالث، ثم نكرّر على هذه الشبهة فنحلها.

١- أى الشبح بانتقال الناظر. (ولذلك لا يزال ينتقل، خ ل).

٢- مردمك چشم.

فنقول : إن الشيء الخارج من البصر^١ لا يخلو إما أن يكون شيئاً مائ قائم الذات ذا وضع ، فيكون جوهرًا جسمانيًا ؛ وإما أن يكون شيئاً لا قوام له بذاته وإنما يقوم بالشيء المشف الذى بين البصر والمبصر . ومثل هذا الشيء فلا يجوز أن يقال له بالحقيقة : إنه خارج من البصر ، ولكن يجب أن يقال : إنه انفعال للهواء من البصر ، ويكون الهواء بذلك الانفعال مُعينا فى الإبصار . وذلك على وجهين : إما على سبيل إعانة الواسطة ، وإما على سبيل إعانة الآلة .

وقبل الشروع فى التفصيل ، فإننى أحكم حكماً كلياً أن الإبصار ليس يكون باستحالة فى الهواء إلى حالة تعين البصر البتة ، وذلك لأن تلك الحالة لا محالة تكون هيئة فى الهواء ليست معنى إضافياً بحسب ناظر دون ناظر . فإننا لا نمنع وجود هذا القسم ، بل نقول لا بد منه ، ولا بد من إضافة تحدث للهواء مع الناظر عند نظره بتلك الإضافة يكون الإبصار فائاً إنما نمنع^٢ وجود حالة وهيئة قارة فى نفس الهواء وذاته يصير بها الهواء

١- قال صدر المثاليين فى تعليقه على شرح حكمة الاشراق : ولقائل ان يقول اذا حصلت المقابلة بين البصر الصحيح والمبصر يحدث بينهما جسم شعاعى دفعة ويكون به الرؤية وهذا الجسم الشعاعى مجرد عن المادة فيداخل وينفذ فى الاجسام اللطيفة ولا تفاوت فى مداخلته اياها بين ان يكون ليّنة او صلبة بعد ان كانت صافية غير مكدره لان مداخلته اياها ليست بالحركة والزمان ولا تفاوت ايضا بين القريب والبعيد فى اصل مواصلته لها لان فيضانه دفعى بلامادة وحركة وزمان ولفظ الخروج والنفوذ والمداخلة والانبساط كلها مجازات اطلقها هذا القائل تسامحاً وإنما الفرض اصل حدوث الشعاع على شكل المخروط الذى راسه عند البصر وقاعدته عند سطح المرئى . (شرح حكمة الاشراق ص ٢٦٨).

٢- وإنما نمنع ، نسخة .

ذاكيفية^١ أو صفة في نفسه وإن كانت لاتدوم له ولاتوجد عند مفارقة الفاعل أو توجد لأن مثل هذه الهيئة لا يكون له بالقياس إلى بصر دون بصر، بل يكون موجودا له عند كل شيء، كما أن الأبيض ليس أبيض بالقياس إلى شيء دون شيء، بل هو أبيض بذاته وأبيض عند كل شيء وإن كان لا يبقى أبيض مع زوال السبب المبيض.

ثم لا يخلو إما أن تكون تلك الهيئة تقبل الشدة والضعف فتكون أضعف وأقوى، أو تكون على قدر واحد. فإن كان على قدر واحد فلا يخلو: إما أن تكون العلة الموجبة تقبل الأشد والانقص أو لاتقبل، فإن كانت طبيعة العلة تقبل الأشد والانقص وتلك الطبيعة لذاتها تكون علة، فيجب أن يتبعها المعلول في قبول الأشد والانقص. فإنه من المحال أن يفعل الضعيف الفعل الذي يفعل القوي نفسه إذا كانت قوته وضعفه امرا في طبيعة الشيء بما هي علة. فيجب من ذلك أن القوى المبصرة الفاعلة في الهواء إذا كثرت وازدحمت، كان حدوث هذه الحالة والهيئة في الهواء أقوى وأن يكون قوى البصر أشد في إحالة الهواء إلى هذه الهيئة من ضعيف البصر، وخصوصا وليس هذا من باب ما لا يقبل الأشد والأضعف لانه من باب القوى والحالات في القوى. ولاتكون قوتها كما ذكرنا بقياس بصر دون بصر، بل بنفسها كما قلنا، فيجب أن يكون ضعفاء الإبصار إذا اجتمعوا رأوا أقوى وإذا تفرقوا رأوا أضعف، وأن ضعيف البصر إذا قعد بجانب قوى البصر رأى أشد، وذلك لأن الهواء يستحيل إلى تلك الهيئة كيف كانت^٢ باجتماع العلل الكثيرة والقوية استحالة

١- في تعليقة نسخة: مراده انه ليس الابصار لاجل حدوث كيفية في الهواء.

٢- أي واسطة كانت أو آلة.

أشد، فيكون أداؤه لصورة ومعونته فى الإبصار أقوى، وإن كان ضُعب نفس البصر يزيد خللا فى ذلك فاجتماع الضُعفين معا ليس كحصول ضُعب واحد، كما أن ضعيف البصر لا يستوى حال إبصاره فى الهواء الكدر والهواء الصافى، لأن الضعيف إذا وجد معونة من خارج كان لامحالة أقوى فعلا. ثم نحن نشاهد ضعيف البصر لا يزيده اقتران أقوى البصر به، أو اجتماع كثرة ضعفاء البصر معه شيئا فى إبصاره. فبيّن أن المقدم باطل.

ولنعد إلى التفصيل الذى فارقناه فنقول: إنه لا يخلو الهواء حيثشذ إما أن يكون آلة، وإما أن يكون واسطة. فإن كان آلة فإما أن تكون حساسة، وإما أن تكون مؤدية. ومحال أن يقول قائل: إن الهواء قد استحال حساسا حتى أنه يحس الكواكب ويؤدى ما أحسّه إلى البصر. ثم ليس كل ما نُبصره يلامسه الهواء، فإنا قد نرى الكواكب الثابتة والهواء لا يلامسها. وما أقبح بنا أن نقول: إن الأفلاك التى فى الوسط أيضا تفعل عن بصرنا وتصير آلة له كما يصير الهواء آلة، فإن هذا مما لا يقبله عاقل محصّل.

أو نقول: إن الضوء جسم مبثوث فى الهواء، والفلك يتحد بأبصارنا ويصير آلة لها، فإن ساعدنا على هذا القبيح فيجب أن لانرى كلية جسم الكواكب بعد تسليمنا باطلا آخر وهو أن فى الفلك مساماً^١، وذلك لانه لا تبلغ مسامهما^٢ أن تكون أكثر من نصف جرمهما، فيجب أن تكون الكواكب المنظور إليها إنما ترى منها أجزاء ولا ترى أجزاء. ثم ما أشد قوة

١- مسام الجسد نقيب.

٢- أى الهواء والفلك.

إبصارنا حتى تحيل الهواء كله والضياء المبثوث فى أجسام الافلاك بزعمهم إلى قوة حساسة أو أية قوة شئت .

ثم الهواء والضوء ليسا متصلين ببصر دون بصر ، فلم يؤديان ما يحسّانه إلى بصر دون بصر . فإن كان من شرط البصر الذى يرى أن يقع فى مسامته المرئى حتى يؤدى حينئذ الهواء إليه ما احس ، فليس إحساس الهواء بعلة لوصول المحسوسات إلى النفس ، ولكن وقوع البصر من المبصر على نسبة وتوسط الهواء بينهما . فإن كان الهواء يحس بنفسه ويؤدى أيضا فما علينا من إحساسه فى نفسه ، بل إنما المنتفع به فى أن نحس نحن تأديته المرئى إلينا . ولانبالى أنه يحس فى نفسه أو لا يحس فى نفسه ، اللهم إلا أن يجعل إحساسه لإحساسنا ، فيكون الهواء والفلك كله يحس لأجلنا .

وأما إذا لم يجعل ذلك آلة ، بل واسطة تفعل أولا من البصر ثم يستتم كونها واسطة ، فبالحرى أن نتأمل أنه أى انفعال ينفع حتى يؤدى ؟ أبأن تقبل من البصر قوة حياة وهو أسطقس بسيط ، هذا لا يمكن . أو يصير بالبصر شافا بالفعل . فالشمس أقوى من البصر فى تصديره شافا بالفعل وأكفى ، فليت شعرى ماذا يفعل البصر بهذا الهواء . وإن كان البصر يسخنه ، فيجب إذن برّد الهواء أن يمنع الإبصار أو يبرّده ، فيجب إذا سخّن أن يمنع الإبصار ، وكذلك الحال فى باقى الأضداد . ولجميع الأضداد التى يستحيل بها الهواء أسباب غير البصر إن اتفقت كفت الحاجة إلى إحالة البصر وإن اتفق أضدادها لم تغن إحالة البصر أو عساه لا يحدث إشفاقا ولا كيفية ذات ضد من المعلومات ، بل يحدث خاصية غير منطوق بها ، فكيف عرفها أصحاب هذا المذهب ، ومن أين توصلوا إليها .

أما نحن فقد قدمنا مقدمة كلية تمنع هذه الاستحالات كلها سواء كانت

منسوبة إلى خاصية أو طبيعة، منطوق بها أو غير منطوق بها. وبعد ذلك فإننا نظن أن الهواء إذا كان شفافا بالفعل وكانت الألوان ألوانا بالفعل وكان البصر سليما، لم يحتج إلى وجود شيء آخر فى حصول الإبصار.

ولنضع الآن أن الخارج جوهر جسمانى شعاعى كما يميل إليه الأكثر منهم فنقول: حينئذ إن أحواله لا تخلو عن أربعة أقسام:

إما أن يكون متصلا بكل المبصر وغير منفصل عن المبصر.

وإما أن يكون متصلا بكل المبصر ومنفصلا عن المبصر.

وأما أن يكون متصلا ببعض المبصر دون بعض كيف كان حاله مع المبصر.

وإما أن يكون خارجا عن المبصر وغيره متصل بالمبصر.

فأما القسم الأول فإنه محال جدا، أعنى أن يخرج من البصر جسم متصل يملا نصف العالم ويلقى الأجسام السماوية، ثم كما يطبق الجفن يعود إليه، ثم يفتح فيخرج آخر مثله، أو كما يطبق تعود الجملة إليه، ثم كما يفتح مرة أخرى تخرج عنها، حتى كأنها واقفة على نية المغمض.

ثم كيف لا يرى الشيء البعيد بشكله وعظمه إن كانت الرؤية بوصوله إليه وملامسته إياه. فإن العظم أولى بأن يدرك بالملامسة بتمامه من اللون، لأن الشعاع ربما يفرق ويهلل^٢ فرؤى اللون كما يرى الخلط من اللون، وأما القدر فرآه حينئذ كما يرى الخلط من المقدار والخلط من المقدار الجسمانى، وإن كان متخلخلا كأنه مركب من مقدار جسمانى ومن

١- أى سواء كان منفصلا عنه أم لا فهذا قسما.

٢- تخرج عنه - ظ - أى تخرج الجملة عن الجفن.

٣- هلكل كجعفر جامه تنك بافته وموى تنك نرم و شعر رفيق، معرب است.

لأشياء أو لأجسام لا ينقص من عظم كليته ولا تنفعهم الزاوية التي عند البصر. إنما ينفع ذلك أصحاب الأشباح إذ يقولون: إن الشبح يقع على القطع^١ الواقع في المخروط الموهوم عند سطح الجليدية الذي رأسه في داخل. فإن كانت الزاوية أكبر لأن الشيء أقرب كان القطع أعظم والشبح الذي فيه أعظم، وإن كانت الزاوية أصغر لأن الشيء أبعد كان القطع أصغر والشبح الذي فيه أصغر. وأما على مذهب من يجعل البصر ملموساً بآلة البصر فما تغني هذه الزاوية.

وأما القسم الثاني فهو أظهر بعداً واستحالة، وهو أن يكون ذلك الخارج يفارق البصر ويمضي إلى الفرقدين ويلمسهما ولا وصلة بينه وبين البصر فيحسّ المبصر بما أحس هو^٢، ويكون كمن يقول: إنّ لأمساً يقدر أن يلمس بيد مقطوعة وأن الحية يتأدى إلى بدنّها ما يلمسه ذنبها المقطوع المفصول عنها وقد بقي فيها الحس^٣، إلا أن يقال إنه^٤ أحال المتوسط وحمله^٥ رسالة إلى البصر فيكون الهواء مؤدياً مستحيلاً معاً، وقد قلنا على هذا بما فيه كفاية. وإن كان متصلاً ببعض المبصر^٦ وجب أن لا يراه كله، بل ما يلاقيه منه فقط. فإن جعل مستحيلاً^٧ إلى

١- فإن المخروط حينئذ ناقص إذ رأسه في داخل العين كما صوّره.

٢- أي الخارج المفارق.

٣- وقد بقي فيه، نسخة. أي في الذنب. وارى أنّ الصواب «فيهما» بتثنية الضمير أي وقد بقي في اليد المقطوعة والذنب المقطوع الحس.

٤- أي ذلك الخارج المفارق للمبصر بالكسر.

٥- أي المرتئي (المتوسط).

٦- في تعلية نسخة: هذا هو القسم الثالث.

٧- فإن جعل الهواء مستحيلاً، نسخة.

طبيعته^١ وصار معه كشيء واحد فما الذى يقال فى الفلك، إذا أبصرناه، أ ترى الفلك يستحيل أيضاً إلى طبيعة ذلك الشعاع الخارج ويصير حساساً معه كشيء واحد حتى يلاقى كوكب زحل بكليته فيراه والمشتري وسائر الكواكب العظام، وهذا ظاهر الفساد بعيد جداً. ثم قد قلنا فى فساد هذه الاستحالة ما قلنا.

فإن قالوا: إن الهواء المشف ليس يتحد به كشيء واحد ولكن يستحيل إلى طبيعة مؤدية، فما يلاقيه الشعاع يدركه الشعاع، وما لا يلاقيه يؤدي إليه الهواء صورته باستحالة عرضت له.

فأول جواب ذلك أن الهواء لم لا يستحيل عن الحدقة^٢ وحدها ويؤدي إليها إن كان من شأنه الأداء فلا يحتاج إلى جسم خارج^٣. وأما ثانياً فقد فرغنا من بيان استحالة هذه الاستحالات.

وأما ثالثاً فإن الهواء المتوسط بين خطين خارجين يجب أن يؤدي إلى كل خط منهما ما يؤدي إلى الآخر فيكون آخر الأمر قد تآدى إلى جملة الشعاع من جملة الهواء المتخلل للخطوط صورة المحسوس مرتين أو مراراً، فيجب أن يرى المحسوس مرتين أو مراراً وخصوصاً^٤ إن كان على ما فى بعض مذاهب القوم من أن الخطوط لا تدرك بنفسها، بل بما يؤدي إليها الهواء.

ثم إن كان الأداء إلى الحدقة من الجميع أعنى الخطوط والهواء معا

١- أى طبيعة الشعاع.

٢- فى تعليقة نسخة: أى عن الشعاع الذى فى الحدقة من غير أن يخرج الشعاع عنها.

٣- وهو الشعاع الخارج من البصر.

٤- مراراً خصوصاً، نسخة مصححة.

فالهواء مؤد للأشباح^١ على مثل ما قال المعلم الأول . ومن عرف أن لاخلاء وأن أجرام الأفلاك مصممة لافرج فيها ولاطور عرف أن ذلك مستحيل لا يمكن وأنه لا يمكن أن ينفذ فيها هذا الخارج ، بل كيف ينفذ هذا الشعاع فى الماء إن لم يكن فيه خلاء حتى يلاقى جميع الأرض تحته ويراه وهو متصل ، والماء لا يربو حجمه لما خالط منه . وإن كان هناك خلا ، فكيف يكون مقدار تلك الفرج الخلائية التى تكون فى الماء مع ثقل الماء ونزوله فى الفرج وملئه إياها . فيرى أن الماء فُرج كله أو أكثره أو مُنَاصِفُهُ حتى يمكن الخارج أن ينفذ إلى جميع ما فى قعر الماء ويلاقيه ويماسه وهو غير منقطع عن البصر ، وإن انقطع فذلك اعجب .

فإن قال قائل : إنا نرى الشيء القليل ينفذ فى الماء الكثير حتى يستولى على كليته مثل الزعفران يصبغ قليلة كثيرا من الماء .

فنقول : إن انصبغ الماء الكثير بالزعفران القليل لا يخلو من وجهين : إما أن يكون الصبغ الحادث فى الماء غير موجود إلا فى الأجزاء الزعفرانية وأجزاء الماء بحالها ، وإما أن تكون أجزاء الماء استحالت أيضا فى نفسها إلى الصبغ كما تستحيل إلى الحر والبرد والرائحة ، لا أن جوهرها داخلها ، إما استحالة إلى صبغ حقيقى وإما استحالة إلى صبغ خيالى ، أعنى بالخيالى كما ترى على سطح الماء شبح شئ ملقى فيه غير محاذ للبصر ، وكما يتخيل من الماء أنه على لون إناثه ، وذلك مما إذا كثر وعم أرى جميع وجه الماء بذلك الصبغ وهو فيه قليل .

فإن كان هذا الانصبغ على مقتضى القسم الآخر^٢ فلا منفعة لهذا

١- فى تعليقة نسخة : فهذا فى الحقيقة قول بالشبح والانطباع لاغير .

٢- القسم الاخير ، نسخة . اى القسم الثانى .

الاعتراض في الغرض ، لأن الماء يكون قد استحال أو تشيع لا أن الصبغ القليل نفذ في كله ، وقد يستحيل كثير المقدار من كثير القوة قليل المقدار . وبالجمله إن كان حال الهواء في استحالته عن الأشعة هذه الحال ، عرض ماسلف منا منعه ، ووجب أن تكون الأشعة إذا كثرت جداً ازداد الهواء استحالة نافعة في الإبصار . وإن كان على سبيل التادية دون الاستحالة فطبيعة الهواء^١ مؤدية للأشباح إلى القوابل فليؤد أيضاً إلى الإبصار .

وإن لم يكن على مقتضى القسم الثاني ، بل على سبيل القسم الأول ، فإننا لا يمكننا أن نشك في أن الماء متجز بين أجزاء الزعفران والزعفران متجز بين أجزاء الماء ، وأن أجزاء الماء لامحالة أعظم حجماً من أجزاء الزعفران ، وأن بين كل جزئين من أجزاء الزعفران متوالين ماءً صرفاً ، وأن هذه المياه الصرفة في أكثر المواضع التي بين جزئى الزعفران أعظم كثيراً من أجزاء الزعفران ، حتى تكون نسبة الأجزاء إلى الأجزاء إذا أخذت واحداً إلى الآخر كنسبة الكل إلى الكل . فإذا كانت كذلك كانت مقادير أجزاء الزعفران صغاراً ولم يجز أن تستولى على الماء كله ، فما كان ينبغي أن ينصيف الماء بالكلية ، بل هذا الوجه باطل .
وإنما يرى الماء مصبوغاً كله لأحد الأمرين :

إما لأن كل واحد من أجزاء الماء وأجزاء الزعفران من الصغر بحيث لا يدركه الحس متميزاً ، وذلك لا يمنع أن يكون أحدهما أكثر كثيراً جداً من

١- وطبيعة الهواء ، نسخة .

٢- مياهاً صرفة ، وإن هذه المياه الصرفة ، عدة نسخ .

الآخر لأن الجسم ينقسم إلى غير النهاية فيمكن أن يكون جزء من الماء هو ألف ضعف جزء من الزعفران وهو مع ذلك فى الصغر بحيث لا يُحسّ مفردا . فإذا كان كذلك ، لم يكد البصر يفرّق بين أجزاء الزعفران وبين أجزاء الماء فيرى منهما صبغا واحدا شائعا بين الأحمر والشاف ، فهذا وجه .

و إما أن تكون الأجزاء المحسوسة من الزعفران ليست على أوضاع متسامتة متوازية^١ ، بل إذا حصل بين جزئين من ترتيب بحال جزء من الماء محسوس القدر ، فإن أجزاء أخرى من تحت تقع مواقع لورفعت لغطت سطحها مع الأوّل^٢ ، فيكون بعضها يرى لأنه فى السطح الأعلى ، وبعضها يُرسل شبحها إلى السطح الأعلى ، فتوافى الاشباح بصيغ واحد إذا الماء يؤدّى لون كل واحد منها لإشفافه ، فيرى الجميع متصلا فى سطح واحد ، ويتخيل مستوليا على الماء ولا يكون^٣ . ويصحح هذا القول قلة ما يرى من الصيغ فى الرقيق الذى لا ثحن له ، وكثرة ما يرى فى الكثيف العميق .

وإن كانت النسبة متشابهة ، وكانت^٤ نسبة الزعفران الذى فى الرقيق إلى الرقيق كنسبة الزعفران الذى فى العميق إلى العميق فعلى هذين الوجهين^٥ يمكن أن يستولى القليل على الكثير . وأما فى الحقيقة فإن

١- كما فى النسخ التى عندنا ، ولكن فى المطبوعة الحجرية : «على أوضاع متشابهة متسامتة متوازية» .

٢- مع الاولى ، ظاهراً .

٣- أى مستولياً .

٤- فى تعلية نسخة : بيان التشابه .

٥- جواب أن كانت .

القليل لا يستولى على الكثير بالكمية ، بل عسى بالكيفية المحيلة هذا .
 وأما إن جعلوا^١ الخارج ينفذ قليل نفوذ فى الهواء ولا يتصل بالمبصر ،
 ثم الهواء البعيد يؤدى إليه ويؤدى هو إلى المبصر فإما أن يؤدى إليه الهواء
 لإشفافه فقط من غير استحالة ، فلم لا يؤدى إلى الحديقة فيكفى ذلك مؤنة
 خروج الروح إلى الهواء وتعرضه للآفات ، وإن كان بالاستحالة فقد قيل
 فى ذلك ما قد قيل ثم لم لا يستحيل من الحديقة من غير حاجة إلى
 الروح^٢ .

١- هذا هو القسم الرابع .

٢- أى خروج الروح .

الفصل السادس

فى إبطال مذاهبهم من الأشياء المقولة فى مذاهبهم

ولنقبل الآن على عد بعض المحالات التى تلزمهم بحسب أوضاعهم :
فمن ذلك وضعهم أن أجزاء الخارج عن البصر تنعكس من الأجسام
إلى أجسام أخرى ، فإذا رأت جسما انعكست عنه إلى جسم آخر فرأته
ورأت ذلك الجسم الآخر المنعكس إليه ، مثلاً لما وصلت إلى المرأة رأت
المرأة ، ثم لما انعكست عن المرأة إلى جسم آخر رأته أيضاً معاً ، فيكون
شئ واحد رأى شيئين معاً ، فيتخيل أن أحد الشيتين تراه فى الآخر وتلزم
وضعهم هذا مباحثٌ عليهم .

من ذلك أن انعكاس هذا الشعاع هو عن الصلب أو عن الأملس أو عن
مجتمعهما ، لكن هذا العكس مما قد يروونه يقع عن أملس غير صلب مثل
الماء فليست الصلابة هى الشرط ، بل بقى أن يكون السبب فيه هو
الملاسة . فإذا كان السبب فيه هو الملاسة ، فلا يخلو إما أن يكفى لذلك أى
سطح أملس اتفق ، أو يحتاج إلى سطح متصل الأجزاء أملس . فإن كان
الشرط هو القسم الثانى لم يجز أن ينعكس عن الماء ، لأنه لا اتصال
لسطحه عندهم لكثرة المسام التى يضعونها فيه التى بسببها يمكن أن يرى

ماوراءه بالتمام ، وإن كان ليس من شرطه الاتصال فيجب أن يوجد هذا العكس عن جميع الأجرام وإن كانت خشنة ، لأن سبب الخشونة الزاوية^١ أو مايشبه الزاوية مما يتقعر عن الحُدبة . ولا بد فى كل ذى زاوية من سطح ليست فيه زاوية فيكون أملس ، وإلا لذهبت الزوايا إلى غير النهاية أو انتهت قسمة من السطح إلى أجزاء ليست بسطوح ، وكلاهما محال . فإذاً كل جرم فمؤلف السطح من سطوح مُلّس ، فيجب أن يكون عن كل سطح منها عكس .

أو يقال^٢ أمران : أحدهما أن السطوح الصغار لا ينعكس عنها الشعاع ، والثانى أن السطوح المختلفة الوضع ينعكس عنها الشعاع إلى جهات شىء فيتشذب^٣ المنعكس . ولا ينال شيئاً لعدم الاجتماع .

فاما القسم الاول فباطل ، فإن من المعلوم أنه إن كان يخرج من البصر جسم حتى ينتشر فى نصف كرة العالم دفعة أنه يكون عند الخروج فى غاية تصغر الأجزاء وتشتتها ، وأنه إذا انعكس فإنما يلاقى كل جزء صغير منه ، وكل طرف خط دقيق منه لامحالة جزءاً مساوياً له وينعكس عنه ولا ينفع ولا يضر فى ذلك ماوراءه ، عسى أن اتفق أن كان السطح الأملس الذى يلاقيه أصغر منه لم ينعكس عنه .

لكننا إذا تأملنا لم نجد هذا المعنى هو السبب والشرط فى منع الانعكاس

١- تحقيق ماهية الزاوية وبيان انها من اى مقولة من الاعراض ص ٨٢ من الهيأت الشفاء و

ص ٥٩ ط ٢ ص ١ من الاسفار = ج ٤ ص ١٧٦ ط ٢ .

٢- قوله : « او يقال » اى الا ان يقال فى الجواب امران .

٣- اى يتفرق .

فى الأشياء الموجودة عندنا^١ لأنه قد يتفق أن يكون شىء خشن نعلم يقينا أن لأجزائه التى لها سطوح مُلْس^٢ مقدارا مالا نشك فى أنه أعظم من مقدار أطراف الشعاعات الخارجة ومع ذلك لا تنعكس عنها. وهذا مثل الزجاج المدقوق والملح الجريش والبلور الجريش الذى نعلم أن سطوح أجزائه مُلْس وليس بغاية الصغر حتى تكون أصغر من أجزاء الشعاع الخارج، وإذا اجتمعت لم ينعكس عنها الشعاع، بل ولا من أشياء أكبر من ذلك أيضا.

ثم من البعيد أن تقبل الأجرام الكثيفة الأرضية تجزيثا إلى أجزاء أصغر من الأجزاء التى يقبل إليها الجسم الشعاعى التجزى، حتى يوجد جزء للكثيف أصغر مما ينقسم اللطيف إلى مثله.

ثم إن كان علة العكس عن الأملس عدم^٣ المنفذ وهناك حفز^٤ من

١- فى تعليقة نسخة: اعلم ان الابصار ليس بخروج الشعاع ولا بالتكيف ولا بالانطباع بل اذا اجتمع شرايط الابصار يحصل للنفس علم جزئى بالمبصر على سبيل الحضور والمشاودة من طريق البصر كما ذهب اليه جماعة من حكماء الاسلام وليس مقصد افلاطون وارسطو واشباههما ايضا من القدماء الا هذا المعنى كما قاله المعلم الثانى الا ان هذا العلم لما كان حصوله بتعلق نور النفس وشعاعها من طريق البصر لشيء خارج منه بتوسط الهواء عبّر عنه قوم بخروج الشعاع من البصر وتكيف الهواء ولما كان انما يحصل للنفس وينكشف بهذا الوجه من طريق البصر شيخ المرتضى وظاهره دون باطنه وكنهه عبّر عنه آخرون بحصول الشيع كما هو رأيهم ودأبهم فى التعبير عن اكثر مقاصدهم وتفسير معاذم مطالبهم لكنه خفى على اكثر الناس ذلك لقصور بصائرهم فضلوا انفسهم واضلوا كثيرا ونسبوا الى العلماء منكرا من القول وزورا. نقل من ازهار الحكم.

٢- مُلْس جمع املس مثل صُفْر وحُمَر جمع اصفر واحمر.

٣- عدمه المنفذ، نسخة.

٤- حفزه يحفزه دفعه من خلفه.

ورائه، فذلك موجود للخشن^١. وإن كان لاحافز من ورائه ولاعدم منفذ فليس يجب أن ينعكس عن شىء، فإن الجسم لا تكون له بالطبع حركات مختلفة، بل بالقسر. وأنت تعلم أنه إذا كان المضىء قد أماله بالطبع^٢ فلا ينعطف الا بالقسر.

ثم الملاسة ليست من الهيئات الفاعلة فى الأجسام فتغير طبيعة ما يلاقيها، ولاهى من القوى الدافعة عن أجسامها شيئا حتى تقسر الأجسام إلى التباعد عنها، ولو كانت الملاسة علة لتباعد الجسم عن الجسم لكان تبعد ما بينهما وإن تماس على أى وضع كان، ولكان يجب أن ينعكس البصر عن المرآة التى يلامسها الشعاع الخارج مخطوطا عليها لا إذا لاقاها بالطرف فقط.

وإن كان السبب فى الانعكاس هو الحفز من خلف أو التوكم كما يعرض للكرة، وجب أن ينعكس عن كل صلب لا منفذ فيه وإن لم يكن أملس. وأما على مذهب أصحاب الاشباح فلذلك^٣ وجه، وهو أنهم يجعلون الملاسة علة لتأدية الشبح، وكل ملاسة عظمت أو صغرت فهى علة لتأدية

١- فى تعليقة نسخة: يعنى ان الانعكاس عن الاملس اما ان يكون لعدم المنافذ والحفز من خلف او لابل بمجرد الملاسة. فعلى الاول يلزم ان يعم الخشن لعموم علته. والثانى باطل لان الملاسة ليست من الهيئات الفاعلة حتى يغير ما يلاقيها ولاهى من القوى الدافعة عن اجسامها حتى دفع الشعاع عن اجسامها ولا يمكن ان ينعكس الشعاع بطبعه فان الجسم بطبعه لا يقتضى الحركة الى جهات مختلفة وان فرضت الملاسة دافعة لزم ان يدفع الشعاع على أى وضع يلاقى الاملس لان الشعاع اذا وقع على المرآة يخط من السطح لا يخط على السطح لم ينعكس البتة. كذا فى التلخيص.

٢- قوله: «قد أماله» وفى نسخة مصححة قد ناله (من النيل) كباعه.

٣- أى منع الصغر.

شبح ما . لكن الاشباح التى تؤذيها السطوح الصغار تكون أصغر من أن يميزها البصر ، فلاتحس . فإن الجرم الخشن تختلط فيه الظلمة بالنور فيظلم كل غور ، ويكون كلّ نتوء أصغر من أن يؤدى شبحا يميز بالحس ولو كان متصلا لم يعرض ذلك . فاما اصحاب العكس فهذا الصغر ليس بعذر لهم فى عدم العكس عنه .

وأما إن لم يجعلوا العلة الصغر^١ ، بل التشذّب فإن هذا التشذّب موجود أيضا عن المرايا المشكّلة أشكالا ينعكس عنها الشعاع إلى نصف كرة العالم بالتمام مما يعلم فى علم المرايا . وعسى أن لا يكون العكس عن الخشن يبلغ فى تشذّبه للشعاع ما يبلغه تلك المرايا ، بل تراكمت خطوط منه على نقطة واحدة ، فهذا أحد المباحث .

والبحث الثانى أنه ينعكس عن الماء وقتا وينفذ تحته وقتا وكذلك عن البلور ، فيجب إذن أن يدخل أحد الامرين نقصان عن الآخر إما أن يكون المبصر تحت الماء لا يرى صحيحا ، بل ترى منه نقط عند الحس متفرقة لاصورة كاملة ، او المنعكس إليه لا يرى بالتمام ، بل ترى منه نقط عند الحس متفرقة لاصورة كاملة وإن روى أحدهما أتم روى الاخرى بحسبه أنقص ، وليس الأمر كذلك .

والبحث الثالث هو أن المنعكس عن الشئ الذى قد فارقه وواصل غيره ثم ترى به صورتها معا لا يخلو إما أن تكون مفارقة الشعاع المنعكس لاتوجب انسلاخ صورة المحسوس عن الشعاع أو توجب . فإن كانت لاتوجب فكيف لانرى ما اعرضنا عنه و فارقه الشعاع ، فإننا لانعرف هناك

١- فى تعليقة نسخة : اشارة الى الجواب عن الامر الثانى .

علة إلا أن الشعاع استبدل به موقعا غيره . وإن كانت المفارقة توجب انسلاخ تلك الصورة عنه ففى الوقت الواحد كيف ترى المرأة والصورة معا ، فإن كان القائم^١ على المرأة من الشعاع يرى صورة المرأة والزائل عنه إلى شىء آخر يرى صورة ذلك الشىء ، فقد اختص بكل واحد من المبصرين جزء من الشعاع فيجب أن لا يُرى معا ، كما أن الشعاع الواقع على زيد والشعاع الواقع على عمرو فى فتح واحد من العين^٢ معا لا يوجب أن يتخيل المرئى من زيد مخالطا للمرئى من عمرو .

فإن قيل : إن السبب^٣ فيه أن ذلك الشعاع يؤدى الصورة من طريق ذلك الخط إلى النفس فيكون خط واحد يؤديهما معا وما يؤدى من خط واحد يُرى واحدا فى الوضع^٤ .

قيل : أما أولا فقد أبطلت مذهبك ومنعت أن يكون الخط الخارج مبصرا من خارج ، بل مؤديا ، وأما ثانيا فلإنه ليس يمتنع أن يخرج^٥ خط ثان يلاقى الخط المنعكس ويتصل به ، فإن كان إنما يؤدى بما يتصل به من الخطوط ثم تحس القوة التى فى العين لا الخارجة ، فحينئذ كان يجب أن يُرى الشىء من الخططين معا فترى الصورة مع صورة المرأة ومع غير تلك الصورة ، وكان يجب أن يتفق مرارا أن يرى الشىء متضاعفا لاسبب فى

١- أى الشعاع القائم . وقوله : «من الشعاع» بيان للقائم .

٢- «من العينين» نسخة كما فى المباحث للفخر أيضاً ص ٣١١ ج ٢ .

٣- أى إن قيل : إن السبب فى ذلك أن الشعاع يؤدى صورتى المرأة وما يرى فيها الى النفس من طريق خط واحد هو الذى على المرأة لاتصاله بخط الانعكاس فيريان متحدين فى الوضع .

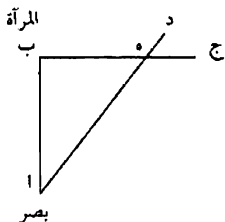
٤- وماتادى من خط واحد رؤى واحدا فى الوضع . نسخة مصححة .

٥- أى من العين .

البصر ولكن لاتصال خطوط شتى بصرية بخط واحد، وهذا مما لا يكون ولا يتفق، فإننا إنما يمكننا أن نرى الشيء فى المرآة ونراه وحده إذا كان مقابلا للبصر، وأما إذا لم يكن مقابلا فإننا نراه فى المرآة فقط .

فليكن على أصلهم «ا» نقطة البصر^١ و«ب» موضع المرآة وليكن خط «ا-ب» خرج من البصر ثم انعكس إلى جسم عند «ج» . وليخرج خط آخر وهو «ا-د» ويقطع خط «ب-ج» على «ه» ويتصل به هناك . فاقول يجب على أصولهم أن يكون شبح «د» يرى مع شبح «ج» و«ب» و يرى شبح «ج» من طرفى «ه» و«ب» من خطى «ه ا» و«ب ا» .

وذلك لأن أجزاء هذه الخطوط^٢ الخارجة من الأبصار إما أن تكون متصلة وإما أن تكون متماسة، فإن كانت متصلة وكان من شأن بعضها كما فرضناه أن يقبل الاثر مع بعض إذا اتصلت حتى يؤدى^٣ إلى الحدقة، وكان الاثر فى كلية الجرم الشعاعى نفسه لافى سطح منه مختص بجهة، وليس ذلك من التأدية اختياريا ولا صناعيا، بل طبيعيا، فإذا حصل المنفعل^٤



٢- أى الخطوط الشعاعية .

٣- حتى يؤدى كما فى ثلاث نسخ . حتى تؤدى كما فى نسخة .

٤- وهو الخط الثانى ههنا .

ملاقيا للفاعل^١ الذى يفعل بالملاقاة وجب أن يفعل عنه . فإن الحكم فى خروج التهيآت الطبيعية التى فى جواهر الأشياء إلى الفعل هو أن تكون طبيعة التهيؤ موجودة فى ذات المنفعل وإن لم تكن بسبب شئ من طبيعة الفاعل ، والأمـر الذى عنه الفعل موجودا فى ذات الفاعل ، وإن لم يُوجد مثـلا فى المنفعل . وإذا حصل ذلك لم يتوقف الخروج إلى الفعل إلا على وصول أحدهما إلى الآخر . فإذا وصل الفاعل إلى المنفعل وارتفعت الوسائط ، وهذا فيه قوة الفعل وذاك فيه الانفعال ، وجب الفعل والانفعال الكائن بينهما بالطبع على أى نحو كان الاتصال ، ولم يكن للزاوية الكائنة بحال معنى ، ولا لفقدان المنفذ وفناء المشف عند المرأة أثر . فإنه سواء فنى المنفذ واتصل به خطوط أو كان غير فـان واتصل به خطوط ، فإن الفاعل يجب أن يفعل والمنفعل يجب أن يفعل .

فإن كان الشبح والأثر^٢ مثـلا ليس فى الجرم الشعاعى الممتد

١- وهو الخط الاول ههنا .

٢- قوله : «فان كان الشبح والأثر ...» اقول : عبارة الفخر الرازى فى الباحث المشرقية هكذا : «وان كان الأثر فى طرف الجسم الشعاعى فقط فيجب ان لا يتفعل ما بين اول الخط وآخره بل يقع الشبح من الطرف الملاصق الى الطرف الآخر من غير انفعال الاجزاء فى الوسط ، وكان يجب ان يكون الاداء على الخط المستقيم ولا يؤدى على زاوية العكس وهذا مما لا يقال» انتهى (ص ٣١٢ ج ٢) . ولا يخفى عليك ان الفخر بين المراد ملخصاً ورأينا نقل كلامه مفيداً لفهم كلام الشيخ - قدس سره .

ثم ان الشيخ اكثر التدقيق فى المقام حيث قال : «وليس فى جهة» الخ . يعنى ذلك الجرم الشعاعى فى جهة ذلك الخط أى خط «ا» بحيث يتصل به أى بذلك الجرم الشعاعى . وان شئت قلت بخط «ا» والمآل واحد . ذلك الخط فى تلك الجهة أى خط «ا» ب ج فيتصل به فى «ه» . فعلى هذه الدقة يخرج هذا الجرم الشعاعى من «ا» وهى نقطة البصر وينتهى الى «ج» ويماسه بنقطة منه او بسطح منه . ثم يقال بعد هذا فيجب ان

نفسه^١ ولكن فى سطح منه أو نقطة^٢ هى فناؤه ونهايته، وليس فى جهة ذلك الخط^٣ بحيث يتصل به ذلك الخط من تلك الجهة فينفعله، بل على غير امتداد ذلك الخط، فيجب أن لا ينفعله^٤ ما بين أول الخط وآخره، بل يقع الشبح من السطح الملامس إلى السطح الثانى دفعة^٥ من غير انفعال الأجزاء فى الوسط. وذلك لأن المتصل لا مقطوع له

→ لا ينفعله الخ.

وقوله: «بل على غير امتداد ذلك الخط» يمكن أن يكون اضرباً عن لى الثانى. أى بل يكون ذلك الجرم الشعاعى على غير امتداد ذلك الخط وهو خط «ا-ه». أو يكون اضرباً عن لى الاول، أى يكون الاثر والشبح على غير امتداد ذلك الجرم الشعاعى بل فى طرف منه. فتبصر.

قال بهمنيار فى التحصيل: نقطة فان كان الشبح والاثر لى فى الجرم الشعاعى الممتد نفسه ولكن فى سطح منه أو نقطة^٢ هى فناؤه ونهايته وليست الى جهة ذلك الخط فيجب أن لا ينفصل ما بين أول الخط وآخره بل يقع الشبح من السطح الملامس الى السطح الثانى دفعة من غير انفعال لأجزاء الوسط وذلك محال لأن المتصل لا مقطوع له بالفعل أو وجب أن يكون الاداء على الخط المستقيم ولا يؤدى على زاوية البتة لأن لنقط الزاوية اعراضاً عن الاستقامة وهذا مما لا يقال. وبين أن انفعال خط «ه ا» من خط «ج ه» كأنفعال. خط «اب» من «ه ب» بل هو اقرب وأولى لانه على خط الاستقامة.

وقال الرازى: وإن كان الاثر فى طرف الجسم الشعاعى فقط فيجب أن لا ينفعله ما بين أول الخط وآخره بل يقع الشبح من الطرف الملامس الى الطرف الآخر من غير انفعال للأجزاء فى الوسط أو كان يجب أن يكون الاداء على الخط المستقيم ولا يؤدى على زاوية العكس وهذا مما لا يقال.

١- تأكيد للجرم.

٢- أى الشبح والاثر فى نهايته فقط.

٣- أى خط: «ه ه».

٤- أى على تقدير أن الاثر فى طرف الجسم الشعاعى فقط.

٥- فى تعليقه نسخة: أى على سبيل الطفرة وهى محال.

بالفعل^١، أو وجب أن يكون الأداء^٢ على الخط المستقيم ولا يؤدى على زاوية البتة ، لأن لنقطة الزاوية إعراضاً عن الاستقامة وهذا بما لا يقال .

فبين من هذا أن انفعال خط «هـ» من خط «جـ» كانفعال خط «بـ» من خط «هـ» بل هو أولى وأقرب . فيجب أن يتأدى شبح «جـ» من كلا خطى «هـ» ، بـ» فيجب أن يرى «جـ» حيثئذ لا شيئاً واحداً بل شيئين اثنين . وأيضاً يجب أن يتأدى شبح «د» مع شبح «جـ» ويضعون أن شبح «بـ» متاد مع شبح «جـ» ، فيجب أن ترى الأشباح الثلاثة معاً ، وجميع هذا غير كائن .

وعلى هذا القياس إن كانت^٣ متماسة فإنها إن كان كل جزء منها يقبل الأثر بجميع جرمه وجب بمماسسته الفعل والتأثير فى الذى يليه ، وإن كان لا إلا فى السطوح التى تقابل المبصر^٤ لم يجز فى شىء من الزوايا التى

١- فى تعليقة نسخة : قوله : «لامقطع له بالفعل» حتى يقال لايقع الشبح من السطح الملامس الى السطح الثانى لانقطاع الخط وعدم اتصال الخط بالبصر وهذا الوقوع محال لان الشبح لايجوز ان يطفى بل يجب ان يعبر عن الوسط واذ عبر عن الوسط فالوسط لامحالة ينفصل عن الشبح اذ المراد انه لما لم يكن بين السطح الملامس والسطح الثانى انقطاع وفرض ان الشبح يقع من الملامس الى الثانى فلا محالة عبر عن الوسط من غير انفعال الوسط عنه وذلك محال .

٢- فى تعليقة نسخة : هذا على تقدير فرض الشبح فى نهاية الخط الشعاعى التى يقع على سطح المرآة أى فى السطح الذى مقابل للبصر ولا يكون للشبح اثر فى الخط الانعكاسى اصلاً .

٣- أى الخطوط الشعاعية .

٤- قوله : «وان كان لا إلا فى السطوح التى تقابل المبصر» . اقول هكذا كانت العبارة فى النسخ المصححة التى عندنا . وكلمة «يؤثر» زائدة . والصواب بدونها . ومعنى العبارة هو هكذا : أى وان كان كل جزء منها لايقبل الأثر بجميع جرمه الا فى السطوح التى الخ . ثم ، السائل فى قوله : «فان سئلنا نحن» اصحاب الشعاع ، والمثول اصحاب الانطباع ، وهم يقولون ان الهواء مؤد على الاستقامة او على هيئة ما شبح المرئى الى البصر .

تقع حائدة عن ذلك السطح أن يتأدى منها المبصر إلى البصر .

فإن سئلنا نحن : أنكم ما بالكم توجبون أن تقع تادية هذا الشبح على الاستقامة أو على هيئة مآ وقوعا إلى بعض الابصار المماسة له دون بعض . فنقول : أما نحن بالحقيقة فلا نقول : إن الهواء مؤدّ على أنه قابل شيء ألّبتة من الرسوم والأشباح من شيء ليحمله إلى شيء ، بل نقول : إن من شأن النّير أن يتأدى شبحه إلى المقابل له إن لم يكن بينهما عائق هو الملون ، بل كانت الواسطة بينهما مشفة . ولو كانت الواسطة قابلة أولا ثم مؤدية لاّدت إلى الابصار كلها كيف كان وضعها^١ كما تؤدّي الحرارة إلى الملابس كلها كيف كان وضعها .

ثم من الأمور التي يجب أن يبحث عنها في هذا الموضع هو أن كثيرا ما نرى الشبح وذا الشبح معا دفعة واحدة ونراهما متميزين ، أعني أنا نرى في المرأة شبح شيء ونراه أيضا بنفسه من جانب وذلك معا ، وعسى أن ذلك إنما يقع بسبب خطي شعاع أحدهما يصير إليه بالاستقامة ، والآخر على زاوية عكس . ولأن الواقعين على الشيء اثنان^٢ ، فمن جهة ذلك

→ ثم ، اعلم ان عبارات التحصيل في المقام مطابقة للشفاء وهو نقل العبارة المذكورة أيضاً هكذا : «وان كان لا الأ في السطوح التي ...» ص ٧٧٥ - ط ١ .
١- يكون المشف مؤدياً بمعنى انه شرط لحصول الابصار (ص ٢٩٤ ج ٢ من المباحث المشرقية) .
٢- في تعليقة نسخة : ولكن ليس كذلك والواسطة لا تكون قابلة بل تكون مؤدية .
٣- قال الرازي في المباحث المشرقية ج ٢ ص ٣١٢ : «اما ان يكون ذلك بسبب انه وقع شعاعان على المرئي او لان احدهما اتصل به على الاستقامة والآخر اتصل به منعكساً عن المرأة والاول باطل لوجهين :

اما أولاً فلان وقوع الشعاعين على المرئي لا يوجب ان يرى الواحد اثنين فان الاشعة عندهم كلما تراكمت واجتمعت كان الادراك اشدّ تحميّقا وابعد عن الغلط في العدد والخصوم معترفون بذلك . واما ثانياً فلانه لا يمكن ان يلمس شعاعان شيأ واحداً لأن
←

نراه اثنين فنحصل الآن هذا هل هو ممكن أو ليس بممكن .

فنقول : إن وقوع جزئين على المبصر لا يوجب أن يرى الشيء الواحد اثنين ، فإن الشعاع عندهم كلما اجتمعت أجزائه على المبصر وتراكمت كان إدراكها إياه أشد تحقيقاً وأبعد عن الغلط فى العدد . والخصوص معترفون بهذا ولا يوجبون أن شعاعاً واحداً إذا رأى الشيء وحده كان واحداً ، فإن وقع عليه شعاع آخر واتصل به صار فى الرؤية بسببه غلط . على أنه لا يمكن أن يلمس شيئاً واحداً شعاعان معاً لا شعاعاً أصلي ولا شعاعاً أصلي وعكس . والشعاع جسم على ما يرونه ، لأن الجسم لا ينفذ فى الجسم ، بل يجوز أن يقع شعاع على شعاع .

فإن سلكنا هذه السبيل لم يكن الإبصار بكليهما على سبيل اللمس ؛ بل يكون أحدهما يلمس والآخر يقبل منه ، وسواء كان الشعاعان طرفي خطين خرجا على الاستقامة أو أحدهما والآخر من جانب العكس . فإذاً إن كان هاهنا فليس وقوع شعاعين على واحد مطلقاً ، بل بالشرط^١ وهو أن أحد الشعاعين وقع عليه وحده^٢ ، والشعاع الثانى أيضاً وقع معه على غيره .

→

الشعاع جسم والجسم لا ينفذ فى الجسم .

والقسم الثانى باطل بمزأتين توضعان متقابلتين فإن كل شعبة شعاع فهى واقعة على الاثنين جمعياً فلا يمكن أن يجعل أحد الشعاعين مؤدياً للشعاع والآخر لذى الشعاع فإن كل واحد منهما ادرك ما ادرك الآخر والمدرّك واحد فكان يجب أن يكون الإدراك منهما واحداً وليس كذلك^٣ . وراجع أيضاً ص ٧٧٦ من التحصيل لبهمنيار .

١- بل بشرط ، نسخة .

٢- فى تعليقة نسخة : وهذا هو الشق الذى أشار إليه سابقاً بقوله : «وعسى أن ذلك إنما يقع بسبب خطي شعاع أحدهما يصير إليه بالاستقامة والاخرى على زاوية عكس» .

وهذا القسم يبطل بمرأتين توضعان متقابلتين، فإن الأشعة لا تفترق فيهما^١ من هذه الجهة، بل كل شعوب شعاع فهو واقع على الاثنين جميعا. ومع ذلك فإن البصر يرى كل مرآة وشبحها دفعة. والشعاغان هاهنا لا يفترقان، ولا يجوز^٢ أن يؤدى شعاع شبحا والآخر غير ذلك الشبح، فإن كل واحد منهما أدرك ما أدرك الآخر والمدرّك واحد فيجب أن لا يكون الإدراك والاداء اثنين، بل يجب أن يأتي البصر صورة كل مرآة مرة غير مكررة. وإن تكررت بسبب العكس^٣ وكان لذلك وجه وعذر

١- أى لا تفترق فى الادراك والتادية. وفى نسخة: لا تفترق بينهما.

٢- فلا يجوز ان يؤدى، كما فى عدة نسخ.

٣- قال الرازى فى المباحث الشرقية ج ٢ ص ٣٢٤: «فان قيل اذا اتصل بالمرأتين شعاعان على الاستقامة وجب ان ترى ذات كل واحد منهما ثم انه يعكس الشعاع من كل واحدة الى الاخرى فيجب ان نرى شبح كل واحدة منهما فى الاخرى. فنقول وان سلّمنا ما ذكرتموه لكنه يبقى الاشكال من وجوه أربعة:

الاول ما السبب فى ان كل واحدة من المرأتين تتأدى عنها اشباح كثيرة حتى نرى مراراً كثيرة فانه اذا انعكس الشعاع عن مرآة «ا» الى مرآة «ب».



رأينا «ب» فى «ا». ثم اذا انعكس من «ب» الى «ا» رأينا «ا» فى «ب» ثم اذا انعكس مرة اخرى من «ا» الى «ب» رأينا «ب» فى «ا» مرة اخرى فحينئذ قد رأينا شبح «ب» مرتين وكان يجب ان يمتنع ذلك لان الشعاع اتصل به فى المرأتين على وجه واحد وهو الانعكاس. والثانى ما بال المرأتين يرى شبح كل واحدة منهما مراراً كثيرة كل مرة اصغر مما قبلها وما السبب لذلك التصغير فان قالوا الشعاع اذا تردد طال مسافته فيستدق وكلما ازداد التردد ازداد الاستدقاق فازداد صغر المرئى فنقول ذلك باطل من وجوه ثلاثة:

اما الاول فان كل ما ذكرتموه يقتضى ان تكون تلك الخطوط الشعاعية اذا تراكمت ان لا تصير

متكلف لنسامح فى تسليمه ، فلا يجب أن يقع تكرار بعد تكرار فما بال كل واحدة من المرأتين تتأدى عنها أشباح كثيرة حتى ترى المرأة الواحدة مرارا كثيرة ، مرة واحدة ترى نفسها كما هى ومرارا كثيرة جدا شبحها .

فلن قلنا : إن الشعاع لما انعكس من هذه المرأة إلى الأخرى رأى الأخرى فى هذه المرأة ، ثم لما انعكس مرة أخرى إلى الأولى رأى الأولى فى هذه الأخرى ، فإذا انعكس مرة أخرى فلم لا يرى كما رآه مرة

→ كخط واحد بل تبقى خطوطاً معطوفة موضوعة بعضها تحت بعض محفوظة التميز .
واما الثانى فلان الموجب لان يرى الكبير صغيراً تصغر زاوية الشعاع ومعلوم ان البعد المنعرج لا يؤثر فى تصغر الزاوية كما يؤثر فيه البعد المستقيم .

واما الثالث فلان ما قالوه يظل بما اذا بعدنا المرأة اضحاف ماتقتضيه الانعكاسات فانه لا يرى ذلك الشيء بذلك الصغر مثلاً اذا انعكس الشعاع من «ا» الى «ب» ثم من «ب» الى «ا» هكذا اربع مرات والبعد بينهما شبران فالذى قطعه الشعاع من مسافته المنفرجة ثمانية اشبار فلو اننا بعدنا المرأة عن مركزها عشرة اشبار لم نكن نراه بذلك الصغر فبطل ما قالوه .

والوجه الثالث فى الجواب عن السؤال الاول ان الصورة الماخوذة عن الشيء بذاته والماخوذة بعكسين كل ذلك يختلف عند البصر وذلك الاختلاف اما بالماهية او بالعوارض العارضة لها بسبب المادة . اما الاول فباطل لان الصورتين هاهنا واحدة فى الماهية . والثانى ايضا باطل لان قابلهما وهو العين واحد فاذاً يمتنع ان تكون الصورتان اثنتين فضلاً عن ان تكونا مختلفتين . واما عند اصحاب الاشباح فالشاعة غير لازمة لانه الصورتين ماخوذتان عن شيئين احدهما حاملها الاول والثانى الجسم الصقيل القابل لشبحها نوعاً من القبول والفاعل لها نوعاً من الفعل .

والرابع انه اذا اتصل بالمرئى شعاع على الاستقامة وآخر بالانعكاس فالثانى لا ينفذ فى الاول لامتناع تداخل الاجسام فاما ان يلامس شيئاً من اجزاء المرئى غير مالمس الاول فلا يكون ادراك الشعاعين بشيء واحد بل احدهما يدرك بعض اجزاء المرئى والثانى يدرك شبح الباقي واما ان يكون الثانى يلمس اللامس السابق فحيث يجب ان يرى ما يرى بحسب الانفعال منه بسبب الاتصال به وبطلت شريطة زاوية العكس .

١- جواب ان قلنا .

أولى، إلا أن يقولوا إن الأول رآه بجزء^١ والآخر رآه بجزء آخر. فإن كانت الأجزاء مؤدية لا رائية فليس تؤدي أشياء أخرى، بل ذلك الشبح بعينه واختلاف وقوعها عليه بعد كونه واحدا بعينه لا يوجب اختلافا في الرؤية. فقد بينا ذلك أيضا، فإن عندهم أن أجزاء المنعكس تحتاز على المبصر^٢ المنعكس عنه اجتيازاً، فيجب أن تتبدل صورته في تلك الأجزاء. ومع ذلك فليس يجب من تبدلها عليه أن تزيد في عدد ما يدرك أولاً وثانياً إذ كان ما يؤدى من الصورة واحدة^٣، وإن كانت الأجزاء بأنفسها رائية وجب ما قلنا في امتناع رؤية شبح المنعكس إليه^٤ في شبح المنعكس عنه. ثم لم يجب أن يرى الأشباح عن قليل^٥ وقد صغرت^٦.

فعمى أن يقولوا: إن الشعاع إذا تردد طالت مسافته فرأى كل مرة أصغر ففارق الأول الثانى بالصغر، فيجب أن يكون أولاً الخطوط الشعاعية إذا تراكت لا تكون كخط واحد أغلظ وأقوى من الأول، بل تبقى خطوطاً معطوفة موضوعة بعضها بجانب بعض محفوظة القوام لاتحد. وهذا الحكم عجيب. وبعد ذلك^٧ فإنهم لا يجدون للصغر^٨

١- من الشعاع.

٢- فى تعليقه نسخة: أى غير لاثبتين عليه.

٣- واحداً، نسخة.

٤- فى تعليقه نسخة: أى بالتمام بل يتبدل صورة المنعكس اليه كما ان اجزاء شعاع المنعكس تحتاز على المبصر المنعكس عنه ولم ير المنعكس اليه بالتمام.

٥- أى عن بعد قليل.

٦- فى تعليقه نسخة: كما يرى فى المرايا المتقابلة كذلك.

٧- أى عدم الاتحاد.

٨- أى ثانياً.

٩- للتصغر، نسخة.

بالبعد المنعرج من عند عدد الزاوية ما يوجد للبعد المستقيم .

ثم ما يقولون فى ذلك المرئى بعينه؟ ، فإنه إذا بُوعده أضعاف ما تقتضيه المساحة بين الانعكاسات لم ير بذلك الصغر . مثلاً إذا انعكس البصر^٢ من مرآة «ا» إلى مرآة «ب» فرأى صورة «ب» فى مرآة «ا» ثم انعكس البصر من مرآة «ب» إلى مرآة «ا» فرأى صورة «ا» فى مرآة «ب» ، ثم انعكس البصر من مرآة «ا» إلى مرآة «ب» فرأى صورة مرآة «ا» . ثم كذلك رأى صورة «ب» فى مرآة «ا» والبعد بينهما شبران فيجب أن يكون ما قطعه الشعاع من مسافة المنعرجة ما بين العين وإحدى المرأتين ثمانية أشبار . ولو أننا بعدنا مرآة ب من مركزها عشرة أشبار فما فوقها لم يكن نراه بذلك الصغر . على أن العجب فيما ذكرناه هو من افتراق الصورة المأخوذة عن الشيء بذاته ، والمأخوذة عنه بالعكس ، أو المأخوذة عنه بعكسين ، فإن جميع ذلك متفرق عند البصر . والصورتان المأخوذتان هما عن مادة واحدة فى قابل واحد فيماذا تفترقان . لأن افتراق الصور إما بالحدود والمعانى وإما فى القوابل ؛ والصورتان معنيهما واحد وحاملهما

١- المنعرج من تحدد الزاوية ، نسخة . وفى تعلية نسخة : ومعلوم ان البعد المنعرج لا يؤثر فى تصغر الزاوية كما يؤثر فيه البعد المستقيم .



الأول واحد^١، وقابلهما الثانى واحد، فيجب أن لاتفردا اثنين.

أما على مذهبنا، فإن هذه الشناعة غير لازمة، لأن الصورتين عندنا مأخوذتان عن قابلين: أحدهما حاملهما الأول^٢، والثانى الجسم الصقيل القابل لشبههما نوعاً من القبول والفاعل^٣ بصورهما فى العين نوعاً من الفعل.

ثم العجب^٤ فى أمر الشعاع بعد الشعاع، فإنه إن كان الأمر على ماقلنا من أن الشعاع الثانى لايجب أن ينفذ فى الأول، بل يماسه من خارج فكيف يلامس الشعاع المنعكس المرتئى^٥ فرآه^٦، وإنما يلامس ماغطاه من لامسه السابق.

فإن كان يرى ما رآه ذلك بحسب الانفعال منه وقبول ماقبله بسبب الاتصال به، بطلت شريطة الانفعال على الزاوية المعينة، وكان أيضاً إنما أدرك ما أدرك الأول لاشيئا غيره^٧ بالعدد بوجه من الوجوه، وإن كان كل يلامس شيئا من أجزاء الشيء غير مايلامسه الآخر، فليس ولا واحد منهما بمستقصى الإدراك ولا إدراكهما لشيء واحد^٨.

١- الحامل الأول هو المادة الخارجية، والحامل الثانى هو الذهن. فراجع ص ٥٧ ج ٤ ط ١ = ج ٨ ص ٢٣٤ ط ٢ من الاسفار.

٢- فى تعليقة نسخة: الحامل الأول هو الشعاع الذى يقع على المرتئى مستقيماً والحامل الثانى هو الشعاع الذى يقع على المرتئى منعكساً.

٣- أى ذلك الجسم الصقيل.

٤- فى تعليقة نسخة: هذا الايراد ايضاً على تقدير رؤية الاشباح فى المرايا المتقابلة.

٥- مقعول يلامس.

٦- فيراه، نسخة.

٧- فى تعليقة نسخة: والخال انه ليس كذلك.

٨- بل جزء من شيء واحد.

الفصل السابع

فى حلّ الشُّبه التى اوردوها وفى اتمام القول فى المبصرات
التى لها اوضاع مختلفة من مُشَفَّات ومن صقيلات

فلنحلّ الآن الشبه المذكورة^١. فاما ما تعلّقوا به من أن القرب يمنع
الإبصار وأن انتقال الألوان والأشكال عن موادها مستحيل، فهذا إنما كان
يصح لهم لو قيل: إن الإبصار أو شيئاً من الإحساسات إنما هو بنزع
الصورة عن المادة على أنه أخذَ نفس الصورة من المادة ونَقَلَهَا إلى القوة
الحاسة. وهذا شيء لم يقل به أحد، بل قالوا إن ذلك على سبيل

١- تعرض الرازى للرد على القائلين بأن الابصار لاجل خروج الشماع فى المباحث
المشرقية ج ٢ ص ٢٩٦: «انا ما نقول انه تنتقل الصورة من المحسوس الى الحس بل
نقول ان البصر يقبل فى نفسه صورة من المبصر مشاكلة للصورة التى له والمحسوسات
التى لا تحس الا مع المعاسة كاللمس والذوق فليس يَسْلُبُ احاس صورها بل يوجد فيها
مثل صورها وليس بمستبعد ان يكون من الاشياء ما لاينفعل الا عن الملاقى ومنها
ما لاينفعل الا عن المحاذى مثل الابصار فانه لاحتياجه الى توسط شفاف وهو الهواء
والى كون المرئى مضيئاً وكلاهما لا يوجدان عند ملاقة الحاس والمحسوس فلا جرم
يمتنع ان ينفعل عن الملاقى بل لاينفعل الا عن المحاذى ولما لم يكن على فساد حجة
لم يجب انكاره».

الانفعال . والانفعال ليس أن يسلب المتفاعل قوة الفاعل أو كلفيته ، بل أن يقبل منه مثلها أو جنسا غيرها .

ونحن نقول : إن البصر يقبل فى نفسه صورة من المبصر مشاكلة للصورة التى فيه لآعين صورته ، وهذا الذى يُحسّ أيضا بالتقريب كالمشموم والملموس فليس يسلب الحاسُ بذلك صورته ، بل إنما يوجد فيه مثل صورته .

لكن من الأشياء ما إلى الانفعال منه سبيل بالملاقاة ، ومنها ما إذا لوقى انقطع عنه شىء يحتاج إليه حتى يؤثر أثره ، وهو فى هذا الموضع هو الشعاع المحتاج إلى اتصاله بالصورة المرئية فى أن يلقى ذو الصورة شبها من صورته فى غيره مناسب لما نراه إلقائه شبحة المؤكد إذا اشتد عليه الضوء ، حتى أنه يصبغ ما يقابله بضبغه قاراً فيه^١ متحققاً إذا كان ما يقابله قابلاً لذلك ولو بتوسط مرآة أيضاً ، ومع الاحتياج إلى استضاءة المرئى فإنه يحتاج أيضاً إلى متوسط كالألة تُعِينه عليه وهو الإشفاف ، وأن يكون للمقدار منه حد محدود لا يقع الأصغر منه فيه .

ومن الدليل على أن المدرك يأخذ شبها من المدرك ما يبقى فى الخيال من صورة المرئى حتى يتخيله متى شاء ، أفترى أن ذلك المتخيل هو صورة الشئ فى نفسه ، وقد انتقل إلى الخيال وتجرد تجرد الشئ عن صورته ، كلاً بل هو شىء غيره مناسب له .

وأيضاً فإن بقاء صورة الشمس فى العين مدة طويله إذا نظرت إليها ثم أعرضت عنها يدلُّك على قبول العين للشبح ، وكذلك تخيل

١- كما فى نسخنا كلها . وفى المطبوعة بمصر : «فاداه» .

القطرة النازلة خطأ والنقطة المتحركة على الاستدارة بالعجلة دائرة ، ولا يمكنك أن تتخيل ذلك وتراه إلا أن ترى امتداداً ما ، ولا يمكن أن ترى امتداداً من نقطة متحركة فى غير زمان ولا من غير أن تتخيل الشيء فى مكانين .

فيجب أن يكون لكون^١ القطرة فوق ثم تحت وامتدادها ما بين ذلك ، وكون النقطة على طرف من المسافة التى تستدير فيها وعلى طرف آخر ، وامتدادها فيما بين ذلك ، متصور الشبح^٢ عندك . وليس ذلك بحسب آن واحد ، فيجب إذن أن يكون شبح ماتقدم مستحفظا بعده باقيا عقيبه ، ثم يلحقه الإحساس بما تأخر ويجتمعان امتداداً كأنه محسوس . وذلك لأن صورته راسخة وإن كانت القطرة أو النقطة قد زالت عن أى حدٍ فرضت ولم تبق فيه زمانا .

وأما ما ذكروه من أمر النور الذى يتخيل بين يدي العين ، فالسبب فى غلطهم به أن ذلك عندهم ليس يكون إلا على وجه واحد^٣ ، حتى ظنوا أنه لا يجوز أن تكون العين شيئاً له فى جوهره ضوء كالأشياء اللوامع التى ذكرناها فيما سلف . فإذا كانت ظلمة لمع وأضاء ما قدّامه بكيفية تؤثرها لالشيء يتفصل عنه وكأنه لا يجوز أيضاً أن يكون الحك واللمس قد يحدث شعاعات نارية لطيفة فى الظلمة ، كما يتفق من مس ظهر السنور

١- كما فى جميع النسخ المخطوطة التى عندنا . وفى المطبوعة بمصر : « يكون تكون القطرة » .

٢- خبر يكون .

٣- راجع ص ٢٩٠ ج ٢ من المباحث الشرقية . وفى تعليقه نسخة : وهو انفصال النور عن العين فقط .

وإمرار اليد على المخذة واللحية فى الظلمة .

وقد يظهر لك أنه لا يبعد أن تكون الحدقة نفسها مما يلمع ليلاً ويضىء ويلقى شعاعها على ما يقابلها ، فإن عيون كثير من الحيوان بهذه الصفة كعين الأسد والحية . فإذا كانت كذلك جاز أن ينير المظلم . ولهذا ما كان كثير من الحيوانات ترى الظلمة لإنارتها الشيء بنور يفيض من عينيها ولقوة عينها .

وأما حديث امتلاء الحدقة عند تغميض الأخرى فمن الذى ينكر أن يكون فى العصبية المحيطة بجسم لطيف هو مركب القوة الباصرة ، وهو الذى يسمى الروح الباصر^١ أنه يتحرك تارة مستبطناً هارباً وتارة مستظهِراً مُحَدَقاً . فإذا غمضت إحدى العينين هربت من التعطل ومن الظلمة طبعاً ، فمالت^٢ إلى العين الأخرى ، لأن المنفذ فيهما مشترك على ما يعرفه أصحاب التشريح . وليس إذا امتلأ شيء من شيء ، يجب أن يكون فى طبع المالى بروز وخروج وذهاب فى الأرض ومسافرة إلى أقطار العالم .

وأما حديث المرأة^٣ فيلزم سؤالهم جميعاً من عنده أن المرأة تنطبع فيها صورة المحسوس . لكن الأجوبة التى يمكن أن يجاب بها عن ذلك ثلاثة :

جواب^١ كأنه مبنى على مذهب مشهور ، وهو أن الصورة لا تنطبع فى

١- فى بعض النسخ : الروح الباصرة . (والروح يذكر وقنوث) .

٢- هرب - فمال . نسخة .

٣- راجع ص ٢٨٨ و ٢٩٤ من المباحث الشرقية . وفى تعليقه نسخة : وهو انكار انطباع الصورة فى المرأة .

المرآة على الهيئة التى تنطبع الصورة المادية فى موادها وبحيث لا تجتمع فيه الاضداد ، بل هذه الصورة تنطبع كليتها فى كلية المرآة ، ولا بأس أن يجتمع فيها شبح بياض وسواد معا لانهما فيها لا على سبيل التكيف بهما ، بل كما يكون فى المعقول . والعقول تعقل السواد والبياض من غير تعاند ولا انقسام . ثم إنما يتأدى إلى البصر ما يكون على نسبة ما بين الثلاث أعنى البصر والمرآة والمبصر . ولا تنفق نسبة الجميع من كل جزء من المرآة ، بل يكون جزء منها^١ يؤدى البياض بعينه وجزء آخر يؤدى السواد بعينه ويتحدد بينهما حدّ فى الرؤية ، فتكون جملة الاداء والتحدد محصلةً لصورة مثل المبصر فى البصر .

وهذا الجواب بما لا أقول به ولا أعرفه ، ولا أفهم كيف تكون الصورة تنطبع فى جسم مادى من غير أن تكون موجودة فيه ، وقد يخلو الجسم عنها وهى منطبعة فيه ، وكيف يكون غير خال عنها وهو^٢ لا يرى فيه ، بل تُرى صورته التى له ، مع أن من شأن ذلك أيضا أن يرى . أو كيف يكون خاليا بالقياس إلى واقف دون واقف وهذا اشتطاط^٣ وتكلف بعيد .

وما فيه من التكلف أنهم لا يجعلون للشكل انطبعا فيه . فإن جعلوا جعلوا الشكل غير محدود ، وما فيه من التكلف أن يجعلوا صورة السواد فى جسم من غير أن يكون ذلك سوادا للجسم ، وأن يجوزوا أيضا اجتماع البياض فيه فى وقت واحد ويجعلوا صورة السواد غير السواد وصورة

١- قوله : « بل يكون جزء منه يؤدى » هكذا كانت النسخ المخطوطة التى عندنا . وفى مطبوعة مصر : « بل يكون جزء منها يؤدى » وهو الصواب ، لارجاع الضمير الى المرآة .

٢- وهى . نسخة . وفى تعليقه نسخة : اى المرئى والبصر الذى يترأى فى المرآة .

٣- الشطط : الجور والظلم والبعد عن الحق .

البياض غير البياض .

وأما حديث العقل والمعقول فدعه إلى وقته .

وأما الجوابان الآخران اللذان يمكن أن يجيب بهما مجيب^١ : أحدهما متشدد فيه والآخر مقارب فيه^٢ .

فأما المتشدد فيه فإن يقال : أما أولاً فليس يجب إذا كان شئ يحتاج إليه أن يفعل شئ في شئ أن يكون المحتاج إليه مثل المرأة أو المشف هاهنا يتفعل من المبدأ مثل الانفعال الذى يتفعل به الثالث ، فيرى أن السيف إذا أولم به ألم^٣ ، والهدية إذا سر بها سر^٤ .

وأما ثانياً فليس بيناً بنفسه ولا ظاهراً لاشك فيه أن كل جسم فاعل يجب أن يكون ملاقياً للملموس ، فإن هذا وإن كان موجوداً بالاستقراء فى أكثر الأجسام فليس واجباً ضرورة أن يكون كل فعل وانفعال باللقاء والتماس ، بل يجوز أن تكون أفعال أشياء فى أشياء من غير ملاقة . فكما يجوز أن يفعل مالىس بجسم فى الجسم من غير ملاقة كالبارى والعقل والنفس ، فليس ببدع أن يكون جسم يفعل فى جسم بغير الملاقة ، فتكون أجسام تفعل بالملاقة وأجسام تفعل لا بالملاقة .

وليس يمكن أحداً أن يقيم برهاناً على استحالة هذا . ولا على أنه لا يمكن أن يكون بين الجسمين نصبة^٥ ووضع يجوز أن يؤثر أحدهما فى الآخر من غير ملاقة ، إنما يبقى هاهنا ضرب من التعجب كما لو كان اتفق أن كانت الأجسام كلها إنما يفعل بعضها فى بعض بمثل تلك النصبة^٦ المبينة ، فكان إذا اتفق أن شوهد فاعل يفعل بالملاقة يعجب منه كما

١- متقارب فيه . نسخة . أى مساهل فيه كما سيصرح به .

٢ و٣- علم ونشانه . نسبة ، النسبة - خ ل .

يتعجب الآن من مؤثر بغير ملاقة .

فإذا كان هذا غير مستحيل فى أول العقل وكان صحة مذهبنا المبرهن عليه يوجهه وكان لا بهرhan البتة ينقضه فنقول :

إن من شأن الجسم المضىء بذاته والمستنير الملون أن يفعل فى الجسم الذى يقابله إذا كان قابلاً للشبح قبول البصر وبينهما جسم لالون له - تأثيراً هو صورة مثل صورته من غير أن يفعل فى المتوسط شيئاً ، إذ هو غير قابل لأنه شفاف . فإذا كان غير بين بنفسه ولا قام عليه برهان الا أن يكون جسم يفعل فى مقابل له بتوسط شفاف البتة .

وكان هذا مجوزاً فى أول العقل ومتضحاً بما برهننا عليه من كيفية الإدراك ، وكان ذلك غير محال ، فكذلك غير محال أيضاً أن يكون بدل المتوسط الواحد متوسطان : المتوسط ومتوسط آخر ، وبدل النصبه والوضع نصبتان ووضعان : النصبه والوضع المذكوران ، مع وضع ونصبه أخرى . فيكون بدل هذا المتوسط الشفاف وحده متوسط ملون صقيل مع الشفاف ، وبدل نصبه المقابلة مع هذا المضىء والمستنير النصبه والمقابلة مع ذلك الصقيل الذى له النصبه والوضع المذكوران مع المضىء المستنير المرئى . فيكون من شأن هذا الجسم أن يفعل فى كل ماقابل مقابلاً له صقيلاً يكون مقابله فى شفيف ولو صقيل بعد صقيل إلى غير النهاية بعد أن يكونا على وضع محدود فعلاً هو مثل صورته من غير أن يفعل فى الصقيل البتة . فيكون المشف والصقيل شيئين يحتاج إليهما حتى يفعل شئ فى شئ آخر ولا يكون ذلك الفعل بعينه فيهما . فإذا كان كذلك واتفق أن وافى خيال الصقيل إلى البصر وخيال الشئ الآخر معا ورؤياً معا فى جزء من الناظر واحد ، ظن أن الخيال يرى فى الصقيل بعكس ما

قالوا فى الشعاعات^١.

وأما الطريق المساهل فيه فهو أنه ليس يجب أن يؤثر كل شىء فى كل شىء مثل نفسه، كما يجوز أن يؤثر أيضاً مثل نفسه. فالمضىء والمستنير يجوز أن يؤثر فى الهواء أثراً مآ، ذلك الاثر ليس أن يتشبح بشبح مثل صورة المضىء والمستنير، بل يؤثر فيه اثراً لا يدرك بالחס البصرى أو غيره من الخواس، وكذلك يجوز أن يؤثر فى الصقيل أثراً مآ إما بواسطة المشف أو بغير واسطة ثم المشف أو الصقيل يفعل فى آلة البصر أولاً، أو بتوسط فعله فى سطح الهواء الذى يليه أثراً، ذلك الاثر هو مثل صورة^٢ مآ أثر فى كل واحد منهما أولاً، فيكون كل واحد من المؤثرين يؤثر أثراً خلاف مافيه، أعنى بالمؤثرين^٣: المؤثر المرئى الذى يؤثر فى المشف أو الصقيل، والمشف أو الصقيل الذى يؤثر فى البصر. ومثل هذا كثير، أعنى أن يكون شىء يؤثر فى شىء أثراً خلاف طبيعته، ثم يؤثر هو فى شىء آخر مثل طبيعة الاول، مثل الحركة فإنها تحدث فى جرم سخونة فتسخن الشىء، ثم تلك السخونة تحدث حركة غير الحركة الاولى بالعدد ومثلها فى النوع.

وقد يمكن أن يشاهد هذا بمرآة ينعكس عنها ضوء ولون إلى حائط

١- فى تعليقة نسخة: قوله: بعكس ما قالوا فى الشعاعات، لان اصحاب الشعاعات يقولون ان الشىء الخارجى يرى فى المرآة والصقيل لا ان خيال الصقيل وخيال المرئى الخارج رؤيا معا فى جزء من الناظر واصحاب الشعاعات يقولون أنه ينبعث اسباب الرؤية من الرائى وتصل الى المرئى واصحاب الانطباع يقولون ان اسباب الرؤية تنبعث من المرئى وتصل الى الرائى.

٢- اى المضىء والمستنير.

٣- من المؤثرين مؤثراً خلاف ... نسخة.

بحيث يستقر فى الحائط ولا ينتقل بحسب مقامات الناظر ولا يكون مستقراً ألبته فى المرأة . وهذا المستقر يُعلم أنه وارد من طريق المرأة إلى الحائط ، وهو وإن كان يرى فى المرأة فلا يرى مستقراً فيها فتكون المرأة أثرت أثراً مثل كيفية ما أثرت فيها ليس مثل كيفيته فى الاستقرار ، وعلى ذلك حال البصر .

وأما حديث الانعطاف عن الماء^١ فقد قال أصحاب الشعاع إن الشعاع إذا وقع عليه انبسط وانكسر أولاً فاخذ مكاناً أكثر ثم نفذ فرآه مع أكثر مما يحاذيه .

وأما أصحاب الأشباح^٢ فقد قال بعضهم : إن السبب فيه أن بعض ما يحاذى^٣ يؤدّى على أنه منفذ فى المحاذاة ، وبعضه على أنه مرآة ، ولا يبعد أن يظن أن الجميع يؤدّى على أنه مرآة ، والمرآة من داخل خلاف المرأة من خارج .

وقال فاضل قدماء المفسرين^٤ : إن البصر يعرض له لما يفوته من استقصاء^٥ تأمل الشيء أن يراه أبعد ويتفرق البصر لتأمله فيعظم شبحه .

١- أى رؤية الشيء اعظم مما كان . قال شارح المقاصد ويرى الشيء فى الماء اعظم منه فى الهواء لان الشعاع ينفذ فى الهواء على استقامة واما فى الماء فبعضه ينفذ مستقيماً وبعضه ينعطف على سطح الماء ثم ينفذ الى المبصر فيرى بالامتداد الشعاعى النافذ مستقيماً ومنعطفاً معاً من غير تمايز وذلك إذا قرب المرئى من سطح الماء واما اذا بعد فيرى فى موضعين لكون رؤيته بالامتدادين المتمايزين .

٢- أى اصحاب الانطباع .

٣- أى بعض ما من الماء يحاذى البصر .

٤- وهو اسكندر الافروديسى .

٥- أى من جهة استقصاء .

ويمكن أن يؤكد هذا القول بأن الشيء الذي اعتيد أن يرى من بُعد ما على قدر ما فإذا تخيل أبعد من حيث هو ولم ير قدره القدر الذي يخيله ذلك البعد، بل أعظم منه لأنه بالحقيقة قريب رؤى له مقدار أعظم من المقدار الذي يستحقه ببُعده فيتخيل أعظم من المعهود.

ثم في هذا فضل نظر يحتاج أن يفطن له المتحقق للأصول، ويكون بحيث لا يخفى عليه كيف ينبغي أن يكون الحق في ذلك.

ثم هذه الشبهة ليست مما تخص بلزومها إحدى الفرقتين دون الأخرى فإن الانكسار الذي يقوله أصحاب الانكسار إن كان للصك فلم يبق على حاله ولم لا يرجع كرة أخرى فيستوى، إذ طبيعة الشعاع أن ينفذ على الاستقامة. فإن كان هذا مستحيلا في الشعاع النافذ إليه إذا لاقاه ثم ازداد الشيء غورا فلم يعرض له أن يزداد لغوره انكساراً ولم لا يزداد بامتداده انتظاماً، فإن القياس يوجب أن يحدث له بالامتداد اتصال لا ينسبط. وبالجملة فنعم ما قال المعلم الأول حين قال: لأن يمتد المبصر من سعة إلى ضيق فيجتمع فيه يكون ذلك فيه أعون على تحقيق صورته^١ من أن يخرج الرائي من العين منتشراً في السعة.

ومما يتصل بهذا الموضوع حال ما نقوله من أوضاع المرئى والرئى والضوء والمرآة، فنقول:

قد يعرض أن يكون المرئى والمضىء والرئى في شفاف واحد وقد يعرض أن يكون المضىء والمرئى في شفافات بينها سطوح.

١- في تعليقة نسخة: يعنى إذا نفذ في الماء لزم أن يمتد منتظماً بل انتظامه في الضيق أولى من انتظامه حيث انتشاره في سعة العالم كذا في التلخيص.

فإن كان وضع السطح في المحاذاة التي بين الرائي والمضىء الفاعل للاستنارة لم يُرَ ذلك السطح كسطح الفلك والهواء .

وإن كان السطح خارجا عن ذلك كسطح الماء ونحن في الهواء ، والمضىء ليس في هذه المحاذاة ، فإن ذلك السطح ينعكس عنه الضوء الآتي من المضىء إلى البصر ، فيُرى متميزاً ، فقد علمت مانعنى بالعكس . وإن كان في داخل السطح المنعكس عنه مرئى أراه ما هو فيه على أنه مشف وأراه على أنه مرآة ، وكانت المرآة التي هناك مطابقة لما يحاذى المرئى إن كان مكشوفاً للرأى .

وإن كان مستورا وكانت المرآة ملتقى الخط الخارج من البصر والعمود الخارج من المرئى الذى فى الماء ، فإن شبحه يتأدى عنه على استقامة . فإنك إن ألقيت خاتماً فى الطشت بحيث لا تراه ثم ملأته ماء رأيتَه .

وإن كان المرئى خارجاً عن شفاف متوسط غير الشفاف الذى فيه الرأى والمضىء ، فإن المشف المتوسط يُريه وإن كان ليس كذلك^١ ، بل هو من جهة الرأى ، فإن سطح ذلك المشف لا يريه إلا أن يجعل له لون غريب بشيء يوضع من ذلك الجانب حتى يُرى ككرة البلور الملون أحد جانبيه .

١- فى تعليقه نسخة : فوله وإن كان ليس كذلك : يعنى ان كان ذلك المشف رفع خلف المرئى بالنسبة الى الرأى فان كان المرئى متوسطاً بين البصر وذلك المشف لم يره المشف كذا فى التلخيص .

الفصل الثامن

فى سبب رؤية الشئ الواحد كشيئين

لَنَقُلْ فى سبب رؤية الشئ الواحد كشيئين فإنه موضع نظر ، وذلك لانه أحد مايتعلق به أصحاب الشعاعات أيضا . ويقولون : إنه إذا كان الإبصار بشئ خارج من البصر يلقي المبصر ثم يتفق أن ينكسر وضعه عند البصر^١ ، وجب أن يرى الشئ الواحد لا محالة كشيئين متباينين فيرى اثنين . وليسوا يعلمون أن هذا يلزمهم الشناعة بالحقيقة ، وذلك لأن الإبصار إن كان بمماسة أطراف الشعاعات وقد اجتمعت عليه ، فيجب أن يُرى على كل حال واحدا . ولايضر فى ذلك انكسار أطراف الشعاعات المنكسرة .

بل الحق هو أن شبح المبصر يتأدى بتوسط الشفاف إلى العضو القابل المتهيئ الأملس النير من غير أن يقبله جوهر الشفاف أصلا من حيث هو

١- فى تعلية نسخة : انكسار النور هو انحراف النور عن جهة مسيره اذا اجتاز الى مادة شفاقة اكثف او الطف من التي كان مسيره فيها فاذا اجتاز الى مادة اكثف صار الى نحو خط عمودى فرض فى تلك المادة من ملتقى النور مع سطح تلك المادة على ذلك السطح ، واذا اجتاز الى الطف صار عن العمودى المذكور .

تلك الصورة، بل يقع^١ بحسب المقابلة لافى زمان، وأن شبح المبصر أول ما ينطبع إنما ينطبع فى الرطوبة الجليدية، وأن الإبصار بالحقيقة لا يكون عندها، وإلا لكان الشيء الواحد يرى شيئين لأن له فى الجليدين شبحين كما إذا لمس باليدين كان لمسين. ولكن هذا الشبح يتأدى فى العصبين المجوفتين إلى ملتقاهما على هيئة الصليب، وهما عصبتان نبين لك حالهما حين نتكلم فى التشریح.

وكما أن الصورة الخارجة يمتد منها فى الوهم مخروط يستدق إلى أن توقع زاويته وراء سطح الجليدية، كذلك الشبح الذى فى الجليدية يتأدى بوساطة الروح المؤدية التى فى العصبين إلى ملتقاهما على هيئة مخروط فيلتقى المخروطان ويتقاطعان هناك^٢ فتتخذ منهما صورة شبحية واحدة عند الجزء من الروح الحامل للقوة الباصرة.

ثم أن ما وراء ذلك روحاً مؤدية للمبصر لا مدركة مرة أخرى، وإلا لافترق الإدراك مرة أخرى لافتراق العصبين. وهذه المؤدية هى من

١- أى هذا التأدى.

٢- قوله قدس سره: «ويتقاطعان هناك» يعنى يتقاطعان ثم ينعطفان كما هو مختاره فى ذلك. والقول الآخر: انهما يتقاطعان على التقاطع الصليبي من غير انعطاف. فقد قال الشيخ فى الفصل الثانى من الجملة الثانية من كليات القانون فى تشریح العصب الدماغى ومسالكه ما هذا لفظه: «قد تنبت من الدماغ ازواج من العصب سبعة فالزوج الاول مبداه من غور البطنين المقدمين من الدماغ عند جواز الزائدين الشبيهتين بحلمتى اللدى اللتين بهما الشم وهو صغير مجوف يتيامن النابت منهما يساراً ويتياسر النابت منهما يميناً ثم يلتقيان على تقاطع صليبي ثم ينعطفان وينفذ النابت يميناً الى الحدة اليمنى والنابت يساراً الى الحدة اليسرى ويتسع فوهاتهما حتى يشتمل على الرطوبة التى تسمى زجاجية. وقد ذكر غير جالينوس انهما ينفذان على التقاطع الصليبي من غير انعطاف». ص ١١٤.

جوهر المبصر وتنفذ إلى الروح المصبوبة في الفضاء المقدم من الدماغ فتنتطب الصورة المبصرة مرة أخرى في تلك الروح الحاملة لقوة الحس المشترك فيقبل الحس المشترك تلك الصورة وهو كمال الإبصار^١.

والقوة المبصرة غير الحس المشترك، وإن كانت فائضة منه مدبراً لها. لأن القوة الباصرة تبصر ولا تسمع ولا تشم ولا تلمس ولا تذوق، والقوة التي هي الحاسة المشتركة تبصر وتسمع وتشم وتلمس وتذوق على ما ستعلم.

ثم إن القوة التي هي الحاس المشترك تؤدي الصورة إلى جزء من الروح يتصل بجزء من الروح الحامل لها فتنتطب فيها تلك الصورة وتخزنها هناك

١- قال الشيخ في التعليقات: المبصر أما أن يكون المؤدى له الهواء أو الماء فإن كان المؤدى له الهواء لا يكون الهواء مرتباً معه فيجب أن يكون قدر ما يحصل منه في البصر لا يكون زائداً على حقيقته وذلك يختلف بحسب القرب والبعد فإن القريب يجعله أكبر والبعد يجعله أصغر لأن القاعدة يكون في المبصر والزاوية في البصر وإذا بعد المبصر يكون الزاوية أحد. وإن كان المؤدى له الماء فيجب أن يكون القدر الحاصل منه في البصر أكبر لأن البصر ينتشر في الماء، ويكون الماء مرتباً فيكون القاعدة جزء من الماء الذي ينتشر فيه البصر ثم يمتد إلى البصر على خطين من جرم الماء فيكون الزاوية أعظم والمرئي في المرايا إنما يحصل فيها صورة المبصر بقدر جرم المرآة ثم ينعكس منها إلى البصر فيكون على زوايا مختلفة. التعليقات ص ٦٩.

وقال صاحب الشوارق: «قال أصحاب الشعاع يجب أن يلتف المخروطان عند الخروج من العينين بحيث يتحد سهماهما حتى يرى الشيء الواحد واحداً فإن أرض عارض يمنع عن التفافهما كذلك بل تعدد السهمان رؤى الشيء الواحد شيئين لأن قوة النور في سهم المخروط ومن توهم أن اتحاد سهمي المخروطين غير ممكن بل الصواب أن يقال باتحاد موقعي السهمين وتعددتهما فقد غفل عن قيد الالتفات وما زعمه صواباً فهو خطأ لأن اتحاد الموقعين مع تعدد السهمين إنما يكفي في رؤية الشيء واحداً لو كان المرئي نقطة منه وأما إذا كان المرئي ذلك الشيء كله فلا يكفي ذلك». شوارق الإلهام ج ٢ ص ٣٨٢.

عند القوة المصورة وهي الخيالية - كما ستعلمها - فتقبل^١ تلك الصورة وتحفظها^٢. فإن الحس المشترك قابل للصورة لا حافظ، والقوة الخيالية حافظة لما قبلت تلك.

والسبب في ذلك أن الروح التي فيها الحس المشترك إنما تثبت فيها الصورة المأخوذة من خارج منطبعة مادامت النسبة المذكورة بينها وبين المبصر محفوظة أو قريبة العهد. فإذا غاب المبصر انمحت الصورة عنها ولم تثبت زماناً يعتد به.

وأما الروح التي فيها الخيال فإن الصورة تثبت فيها، ولو بعد حين كثير، على ما سيتضح لك عن قريب.

والصورة إذا كانت في الحس المشترك كانت محسوسة بالحقيقة فيه^٣، حتى إذا انطبع فيه^٤ صورة كاذبة في الوجود أحسها كما يعرض للممرورين، وإذا كانت في الخيال كانت متخيلة لا محسوسة.

ثم إن تلك الصورة التي في الخيال تنفذ إلى التجويف المؤخر إذا شاءت القوة^٥ الوهمية ففتحت الدودة بتبعيد مأين العضوين المسميين

١- أي قوة الحس المشترك.

٢- أي قوة الخيال.

٣- وفيها. نسخة. فالتذكر باعتبار الحس المشترك، والتأنيث باعتبار الروح.

٤- قوله: «إذا شاءت القوة الوهمية»، أعلم أن القوة المسماة بالوهم هي الرئيسة الحاكمة في الحيوان ومعنى هذا الكلام أن جميع القوى التي دونها من الحس المشترك والخيال والتصرف والحافظة من شئونها وأعمال تلك القوى كلها في الخفية هي فعل هذه القوة الرئيسة. إلا أن لها في موطن من أفعالها تلك القوى اسمها حساساً، ففي موطن تسمى الحس المشترك، وفي آخر الخيال وهكذا. فوزان الوهم مع تلك القوى وزان النفس الناطقة مع قواها.

ثم لما كان ادراك المعاني الجزئية بين سائر أفعال القوى الحيوانية اشرف من غيرها

التي الدودة، فاتصلت بالروح الحاملة للقوة الوهمية بتوسط الروح الحاملة للقوة المتخيلة التي تسمى في الناس مفكرة، فانطبعت الصورة التي في الخيال في روح القوة الوهمية^١. والقوة المتخيلة خادمة للوهمية

اسندوها الى القوة الرئيسة الحاكمة وان كانت افعال سائر القوى فعلها. فافهم وتبصر. ثم اعلم ان القوة الخيالية الخازنة تسمى مصورة عند الاطباء وليس المراد منها القوة المصورة التي عملها تصوير الاعضاء وتشكيلها على اختلاف الآراء في ذلك. وان القوة المتصرفة والمتخيلة والمفكرة والمتفكرة هي قوة واحدة تسمى باسمي مختلفة باعتبارات مختلفة.

وللشيخ - قدس سره - كلام منيع في المباحثات في المقام يجديك في فهم عبارة الكتاب في سريان القوة الوهمية في جميع القوى التي دونها ورياستها عليها وهذا كلامه بعباراته: «القوة العقلية اذا اشتاقت الى صورة معقولة تضرعت بالطبع الى المبدأ الواهب فان ساحت عليها على سبيل الحدث كقيت المؤونة، والافزعت الى حركات من قوة اخرى من شأنها ان تعدّه لقبول الفيض لتأثير ما مخصوص يكون في النفس مثلاً ومشاكلة بينها وبين شيء من الصور التي في عالم الفيض، فيحصل لها بالاضطرار ماكان لا يحصل لها بالحدس، فالقوة الفكرية ان عنى بها الطالبة فهي للنفس الناطقة وهو من قبيل العقل بالملكة لاسيما اذا زاد استكمالاً بما جاوز الملكة، وان عنى بها العارضة للصورة المتحركة فهي المتخيلة من حيث تتحرك مع شوق القوة العقلية». ص ٢٣٢.

ثم اعلم ان وزن النفس الناطقة مع قوتها وزان الوهم مع دونها من القوى كما قلنا. فعلى هذا الفعل الذي يسند الى قوة من القوى الانسانية فهو بالحقيقة مسند الى النفس الا ان النفس وافعالها في كل شان من شئونها اسماً خاصاً. ويقول صدر المتألهين في آخر الباب الرابع من نفس الاسفار في هذا المقصد الاسنى بعد مطالب ما هذا لفظه: «فكل محسوس فهو معقول بمعنى انه مدرك للعقل بالحقيقة لكن الاصطلاح قد وقع على تسمية هذا الادراك الجزئي بوساطة الحس بالمحسوس قسيماً للمعقول اعنى ادراك المجردات بالكلية هذا». ص ٤٩ ج ١ ط ١ = ص ٢٠٤ ج ٨ ط ٢.

١- القوة المسماة بالوهم هي الرئيسة الحاكمة في الحيوان حكماً ليس فصلاً كالحكم العقلي. وسيجيء تفصيل الكلام فيها في آخر الفصل الاول من المقالة الآتية.

مؤدية ما فى الخيال إليها، إلا أن ذلك لا يثبت بالفعل فى القوة المتوهمة، بل مادام الطريق مفتوحا والروحان متلاقين والقوتان متقابلتين فإذا أعرضت القوة المتوهمة عنها بطلت عنها تلك الصورة.

والدليل على صحة القول بأن حصول هذه الصورة فى الوهم غير حصولها فى الخيال، أن الخيال كالحازن وليست الصورة التى فيه متخيلة للنفس بالفعل دائما، وإلا لكان يجب أن نتخيل معا صورا كثيرة أى صورة كانت فى الخيال، ولا هذه الصور أيضا فى الخيال على سبيل ما بالقوة وإلا لكان يحتاج إلى أن نسترجع بالحس الخارج مرة أخرى، بل هى مخزونة فيه، والوهم بتوسط المفكرة والمتخيلة يُعرضها على النفس وعنده يقف تأدى الصور للمحسوسة، وأما الذكر فهو لشئ آخر كما نذكره بعد. فهذه أصول يجب أن تكون عتيدة عندك.

ولنرجع إلى غرضنا فنقول: إن السبب فى رؤية الشئ الواحد اثنين أربعة أسباب:

أحدها انفتال^١ الآلة المؤدية للشبح الذى فى الجليدية إلى ملتقى العصبين فلا يتأدى الشبحان إلى موضع واحد على الاستقامة، بل ينتهى كل عند جزء من الروح الباصر المرتب هناك على حدة، لأن خطى الشبحين لم ينفذا نفوذا من شأنه يتقاطعا عند مجاورة ملتقى العصبين، فيجب لذلك أن ينطبع من كل شبح ينفذ عن الجليدية خيال على حدة وفى جزء من الروح الباصرة على حدة، فيكون كأنهما خيالان عن شيئين مفترقين

ص ٣٣٤. وراجع آخر الفصل التاسع من النمط الثالث من الاشارات وشرحه للمحقق

الطوسى. ص ٨٤.

١- انفتال: اعوجاج وبيجيدگى.

من خارج، إذ لم يتحد الخططان الخارجان منهما إلى مركز الجليديتين نافذين في العصبتين، فلهذا السبب ترى الأشياء كثيرة متفرقة^١.

والسبب الثانى حركة الروح الباصرة وتوجّهه بئمة ويسرة حتى يتقدم الجزء المدرك مركزه المرسوم له فى الطبع أخذاً إلى جهة الجليديتين أخذاً متموجاً مضطرباً فيرتسم فيه الشبح والخيال قبل تقاطع المخروطين فيرى شبحين، وهذا مثل الشبح المرتسم من الشمس فى الماء الراكد الساكن مرة واحدة والمرتسم منها فى المتموج ارتساماً متكرراً. وذلك أن الزاوية الحاصلة بين خط البصر إلى الماء وخط الشمس إلى الماء التى عندها يكون

١- فى تعليقه نسخة: قال حكماء الافرنج ان طبقة الزجاجية تكون عدسية الشكل فاذا كان تحدبها اكثر مما ينبغى فالاشعة المنعكسة من الاشياء فى العين يجتمع قبل ان يصل الى مجمع النورين وذلك يوجب ان لا يرى الاشياء البعيدة واضحة ظاهرة ويرى الاشياء القريبة واضحة ظاهرة وان كان تحدبها اقل مما ينبغى يكون الزاوية التى عكس ما ذكرى يرى الاشياء البعيدة واضحة والقريبة غير واضحة لاجتماع الاشعة بعد انعكس فى مجمع النورين ولعلاج كل منهما صنعوا آلة وقالوا ان الحول يعرض اذا كان عضو الزجاجى من احد العينين مخالفاً للعين الاخرى فى قلة التحدب وكثرته فلامحالة يرى الشئ الواحد حينئذ شيئين لانه محال ان يرى الشئ الواحد بعيداً وقريباً فى زمان واحد وفى محل واحد كما ان الشخص اذا وضع على احدى عينيه آلة يسمى بالفارسية دوربين ويرى بتلك الآلة من هذه العين شيئا كالقمر مثلاً ويلاحظ ايضا فى تلك الحالة بالعين الاخرى التى لا يوضع على الآلة هذا الشئ بعينه يرى ذلك الشئ فى تلك الحالة شيئين لان الشئ بالآلة يرى قريباً وبدونها بعيداً ومحال ان يرى الشئ الواحد قريباً وبعيداً فى زمان واحد وفى محل واحد فلامحالة يرى الشئ الواحد حينئذ شيئين وكذا الحال يعرض اذا لم يكن الطبقة المذكورة على النهج الطبيعى وفى الموضع الطبيعى بل يقع اما اقرب مما ينبغى او ابعد فانه حينئذ لا يجتمع الاشعة المنعكسة فى العين فى نقطة واحدة بل تجتمع فى نقطتين متجاورتين فيرى الشئ الواحد حينئذ ابداً شيئين.

إبصار الشئ على طريق التأدى من المرأة لشئ لا تبقى واحدة، بل يتلقاها الموج فى مواضع فتكثر هذه الزاوية فننطبع أشباح فوق واحد .
والسبب الثالث من اضطراب حركة الروح الباطن الذى وراء التقاطع إلى قدام وخلف حتى تكون لها حركتان إلى جهتين متضادتين: حركة إلى الحس المشترك، وحركة إلى ملتقى العصبين، فتأدى إليها صورة المحسوس مرة أخرى قبل أن ينمحي ما تؤديه إلى الحس المشترك، كأنها كما أدت الصورة إلى الحس المشترك رجع منها جزء يقبل ما تؤديه القوة الباصرة وذلك لسرعة الحركة، فيكون مثلاً قد ارتسم فى الروح المؤدية صورة فنقلتها إلى الحس المشترك، ولكل مرتسم زمان ثابت إلى أن ينمحي، فلما زال القابل الأول من الروح عن مركزه لا اضطراب حركته يخلفه جزء آخر فقبل قبوله قبل أن ينمحي عن الأول، فتجزأت الروح للاضطراب إلى جزء متقدم كان فى سمت المرئى فأدركه ثم زال، ولم تزل عنه الصورة دفعة، بل هى فيه وإلى جزء آخر قابل للصورة أيضاً بحصوله فى السمت الذى فى مثله يدرك الصورة عاقباً للجزء الأول والسبب الاضطراب . وإذا كان كذلك حصل فى كل واحد منهما صورة مرئية، لأن الأولى لم تنمحي بعد عن الجزء القابل الأول المؤدى إلى الحس المشترك أو عن المؤدى إليه حتى انطبعت فى الثانى .
والفرق بين هذا القسم والقسم الذى قبله أن هذه الحركة المضطربة إلى قدام وخلف، وكانت تلك إلى يمينه ويسرة .

١- الباطنة التى، نسخة.

٢- قوله: «فقبل قبوله» أى قبل الجزء الآخر مثل قبول الجزء القابل الأول.

٣- عن غير المؤدى إليه، نسخة.

ولمثل هذا السبب ما يرى الشيء السريع الحركة إلى الجانبين كشيئين .
لأنه قَبْلُ أن انمحي عن الحس المشترك صورته وهو في جانب يراه البصر
وهو في جانب آخر فيتوافى^١ إدراكه في الجانبين معا . وكذلك إذا دارت
نقطة ذات لون على شيء مستدير رؤيت خطأ مستديرا ، وإذا امتدت
بسرعة على الاستقامة رؤيت خطأ مستقيما .

ونظير هذه الحركة الدوار ، فإنه إذا عرض سبب من الأسباب المكتوبة
في كتب الطب فحرك الروح الذي في التجويف المقدم من الدماغ على
الدور^٢ ، وكانت القوة الباصرة تؤدي إلى ما هناك صورة محسوسة ،
فالجزء من الروح القابل لها لا يثبت مكانه ، بل يتقل ويخلفه جزء آخر
يقبل تلك الصورة بعد قبوله وقبل انمحاءها عنه . وكذلك على الدور ،
فيتخيل أن المراتيات تدور وتبديل على الرائي ، وإنما الرائي هو الذي يدور
ويتبديل على المرئي . وإذا كان القابل ثابتا وتحرك الشيء المبصر بسرعة
انتقل لامحالة شبهه الباطن من جزء من القابل إلى جزء آخر ، فإنه لو كان
الشبح يثبت في ذلك الجزء بعينه لكان نسبة القابل مع المقبول واحدة ثابتة .
فإذن إذا عرض لحامل الشبح أن يتقل عن مكانه انتقل الشبح لامحالة ،
فتغيرت نسبته إلى الجسم الذي من خارج ، فعرض ما يعرض لو كان الشيء
الذي من خارج يتقل .

وأیضا فإن الناظر في ماء شديد الجری يتخيل له أنه هوذا يميل عن
جهة ويسقط إليها ، والسبب في ذلك أنه يتخيل الأشياء كلها تميل إلى
خلاف جهة ميل الماء ، فإن شدة الحركة الموجبة لسرعة المفارقة توهم أن

١- فتوافى ، نسخة .

٢- متعلق بقوله : « فحرك » .

المفارقة من الجانبين معا، والسبب انتقال الشبح فى القابل مع ثباته فى كل جزء تفرضه زمانا مآ.

ويجب أن يعلم أن مع هذه الأسباب سببا آخر مُعيناً لها مادياً، وذلك أن جوهر الروح جوهر فى غاية اللطافة وفى غاية سرعة الإجابة إلى قبول الحركة، حتى أنه إذا حدث فيه سبب موجب لانتقال الشبح من جزء إلى جزء يلزمه أن يتحرك جوهر الروح حركة مآ- وإن قُلْتُ- إلى سمت ذلك الجزء.

والسبب فى ذلك أن لكل قوة من القوى المدركة انبعاثا بالطبع إلى مدركها، حتى أنها تكاد تلتذ به وإذا انبعثت نحوه مال حاملها إليه أو مالت بحاملها إليه.

ولهذا ما كان الروح الباصر يندفع جملةً إلى الضوء وينقبض عن الظلمة بالطبع، فإذا مال الشبح إلى جزء من الروح دون جزء كانت القوة كالمندفة إلى جهة ميل للشبح بآلتها. فإن الآلة مُجبية لها إلى نحو الجهة التى تطلبها القوة فيحدث فى الروح تموجٌ إلى تلك الجهة للطاقاتها وسرعتها إلى قبول الأثر كأنها تتبع الشبح^١. ولهذا السبب إذا طال الإنسان النظر إلى شىء يدور يتخيل له أن سائر الأشياء تدور لأنه تحدث فى الروح حركة مستديرة لاتباعها لانتقال الشبح.

وكذلك إذا طال النظر إلى شىء سريع الحركة فى الاستقامة تحدث فى الروح حركة مستقيمة إلى ضد تلك الجهة، لأن جهة حركة الشىء متضادة لجهة حركة الشبح^٢، فحينئذ تُرى الأشياء كلها تنتقل إلى ضد

١- فى غير واحد من النسخ: «تتبع حركة الشبح».

٢- فى تعليقة نسخة: «وفى بعض النسخ لان جهة حركة الشبح مضادة لجهة حركة ذى الشبح». لان حركة الشبح تكون الى الداخل والى الحس المشترك.

تلك الجهة، لان أشباح الأشياء لا تثبت .

والسبب الرابع اضطراب حركة تعرض للثقبه العنبيه، فإن الطبقة العنبيه^١ سهلة الحركة إلى هيئة تتسع لها الثقبه وتضيق تارة إلى خارج، وتارة إلى داخل على الاستقامة أو إلى جهة، فيتبع اندفاعها إلى خارج انضغاط يعرض لها واتساع من الثقبه، ويتبع اندفاعها إلى داخل اجتماع يعرض لها وتضيق من الثقبه. فإذا اتفق أن ضاقت الثقبه يرى^٢ الشيء أكبر أو اتسعت^٣ رؤى أصغر، أو اتفق أن مالت إلى جهة رؤى في مكان آخر. فيكون كأن المرئى أولا غير المرئى ثانيا، وخصوصا إذا كان قد تمثل قبل انحاء الصورة الاولى صورة أخرى^٤.

١- فى تعليقه نسخة: اعلم ان كل واحدة من العيين مركبة من سبع طبقات وثلاث رطوبات: الطبقة الاولى المنحمة وهى التى تلى الهواء. والثانية القرنية وهى وراء المنحمة ولا لون لها وانما تتلون بلون الطبقة التى تحنها. والطبقة الثالثة العنبيه وهى قد تكون سوداء وقد تكون زرقاء وقد تكون شهلاء وهى بعد القرنية وبعد الطبقة العنبيه الرطوبة البيضية وهى رطوبة صافية شبيهة ببياض البيض. والطبقة الرابعة العنكبوتية وهى شبيهة بنسج العنكبوت وهى بعد الرطوبة البيضية وبعد هذه الطبقة الرطوبة الجليدية وهى رطوبة صافية نيرة تشبه الجليد وبعدها رطوبة الزجاجية وهى تشبه الزجاج الذائب. والطبقة الخامسة الشبكية وهى تشبه الشبكة وهذه الطبقة بعد الرطوبة الزجاجية. والطبقة السادسة الطبقة المشيمية وهى تشبه المشيمة وهذه بعد الطبقة الشبكية. والطبقة السابعة الصلبة وهى بعد المشيمة وتلاقى عظم العين.

كرد آفریدگار تعالى بفضل خویش چشمت به هفت پرده و سه آب منقسم
صلب و مشیمه شبكه زجاج و آنكهی جلید پس عنكبوت و بیض و عنب قرن و ملتحم
٢- رؤى، نسخة.

٣- وإذا اتسعت، نسخة.

٤- قال القرشى فى شرح القانون: ان سبب ذلك ان الروح اذا كانت اكثر من المقدار الذى يقتضيه الثقبه لزم ان يتكاثف ويتصغر حجمها ليتمكن حصولها فى مكان صغير واذا وقع

ولقائل أن يقول: فلم لا تثبت الصورة واحدة مع انتقال القابل كمال تبقى صورة الضوء واحدة مع انتقال القابل، فيكون إذا زال القابل عن المحاذاة بطلت الصورة عنه وحدثت فيما يقوم مقامه، فلم تكن صورتان، فلم تكن رؤيتان، ولا اتصال خط من نقطة، ولأرؤيت الأشياء تستدير.

فنقول: لا يبعد أن يكون من شأن الروح التي للحس المشترك أن لا تكون إنما تنضبط الصورة بالمحاذاة فقط، وإن كان لا تضبطها بعد المحاذاة مدة طويلة فيكون يضبط لا كضبط المستنير بالضوء للضوء الذي يبطل دفعة ولا كضبط الحجر للنقش الذي يبقى مدة طويلة، بل بين بين. وتكون تخليته عن الصورة بسبب تقوى وتُعان بعد المحاذاة بزمان ما لأسباب تجدها مذكورة فيما تفتت حركته وفيما يعود إلى طبيعته حيث نتكلم في مثله.

ومن هذا يعلم أن قبول الروح الباطن للخيالات المبصرة ليست كقبول الشيخ الساذج الذي يزول مع زوال المحاذاة. وبالحري أن تكون الحواس هي هذه المشهورة، وأن تكون الطبيعة لا تنتقل من درجة الحيوانية إلى درجة فوقها، أو توفي جميع ما يكون في تلك الدرجة. فيجب من ذلك أن تكون جميع الحواس محصلة عندنا، ومن رام أن يبين هذا بقياس واجب فقد يتكلف شططاً. وجميع ما قيل في هذا فهو غير مبرهن، أو لست أفهمه فهم المبرهن عليه ويفهمه غيري، فلتتعرف ذلك من غير كلامنا.

→ عليه الشيخ وهو لامحالة يكون على ما هو المقدار الطبيعي له فعند ما ينتقل الروح من ذلك المكان إلى جهة التقاطع يزول القاسر لها على الاجتماع والتكاثف وحينئذ ينتقل إلى مقداره الطبيعي ويلزم ذلك انبساط مثل الشيخ فيصير اعظم بما هو عليه الأمر الطبيعي فيرى القوة ذلك المرئي اعظم بما هو عليه.

فالحواس المفردة والمحسوسات المفردة ماذكرنا، وهاهنا حواس مشتركة^١ ومحسوسات مشتركة فلتتكلم أولاً فى المحسوسات المشتركة فنقول:

إن الحواس منا قد تحسّ مع ما تحسّ أشياء أخرى لو انفردت وحدها لم تحسّ، وهذه الأشياء هى المقادير والأوضاع والأعداد والحركات والسكونات والأشكال والقرب والبعد والمماسمة وما هو غير ذلك مما يدخل فيه. وليس إنما تحسّ هذه بالعرض، وذلك لأن المحسوس بالعرض هو الذى ليس محسوساً بالحقيقة، لكنه مقارن لما يُحسّ بالحقيقة مثل إبطارنا أبا عمرو وأبا خالد، فإن المحسوس هو الشكل واللون، ولكن عرض أن ذلك مقارن لشيء مضاف؛ فنقول: إنا احسنا بالمضاف ولم نحسّه البتة ولا فى أنفسنا خيال أو وهم ولا رسم لأبى خالد من حيث هو أبو خالد يكون ذلك الوهم، أو الخيال مستفاداً من الحس بوجه من الوجوه. وأما الشكل والعدد وغير ذلك فإنه وإن كان لا يحسّ بانفراده، فإن رسمه وخیاله يلزم^٢ خيال ما يُحسّ وما يُدرك بأنه لون أو حرارة أو برودة مثلاً، حتى يمتنع ارتسام أمثال هذه^٣ فى الخيال دونها^٤ أيضاً. وليس إذا كان الشيء متمثلاً ومدرکاً لشيء فى شيء بتوسط شيء فهو

١- قال شارح المواقف أى تشترك فى ادراكها الحواس الظاهرة فلا يحتاج فى الاحساس بها الى قوة أخرى. قال بهمنيار فى التحصيل اما المحسوس المشترك هو ما يدركه جميع الحواس او اكثرها بواسطة محسوسه الخاص.

٢- يلزمه، نسخة.

٣- فى تعليقة نسخة: أى اللون والحرارة والبرودة.

٤- فى تعليقة نسخة: أى دون الشكل والعدد والحركة والسكون.

غير متمثل بالحقيقة^١ فإن كثيراً من الأمور التي بالحقيقة وليست بالعرض فإنها تكون بمتوسطات.

وهذه المحسوسات المشتركة لما كان إدراكها بهذه الحواس ممكناً لم يحتاج إلى حاسة أخرى، بل لما كان إدراكها بلا توسط غير ممكن استحال أن تفرد لها حاسة.

فالبصر يدرك العظم والشكل والعدد والوضع والحركة والسكون بتوسط اللون، ويشبه أن يكون إدراك الحركة والسكون مشوباً بقوة غير الحس^٢.

واللمس يدرك جميع هذا بتوسط صلابة أولين في أكثر الأمر، وقد يكون بتوسط الحر والبرد.

والذوق يدرك العظم بأن يذوق طعماً كثيراً متشرباً، ويدرك العدد بأن

١- وليس إذا كان الشيء متمثلاً ومدركا لشيء في شيء متوسط فهو غير متمثل بالحقيقة، نسخة مصححة.

٢- قال صدر المتألهين في الاسفار: «واعلم أن معنى كون الحركة والسكون محسوسين أن العقل باعانة الحس يدركهما فإن الحس يدرك الجسم تارة قريباً من شيء وتارة بعيداً وهكذا على التدرج فيحكم العقل بأن ذلك الجسم متحرك خارج من القوة إلى الفعل وأما معنى خروج الشيء من القوة إلى الفعل فليس من مدركات الحس لأنه أمر نسبي إضافي وكذا الحس يدرك جسماً واقعاً في مكانه غير زايل فالعقل يحكم باتصافه بالاستقرار وعدم الانتقال وليس للحس أن يدرك استقرار الجسم أو عدم انتقاله وزواله عن المكان الأول لأن الأول إضافي والثاني عديم وشيء من الأمور الإضافية والعدمية ليس من مدركات الحس ولذلك راكب السفينة لما لم يدرك حسه باختلاف أوضاع للسفينة وقربها وبعدها بالنسبة إلى جسم آخر خارج عنه لم يشعر بالحركة فيشبه أن يكون إدراك الحركة والسكون أمراً ذهنياً بشركة الحس كالبصر» آخر الفصل الرابع من نفس الاسفار ج ٤ ص ٤٩ ط ١ = ص ٢٠٣ ج ٨ ط ٢.

يجد طعموما كثيرة فى الاجسام، واما الحركة والسكون والشكل فيكاد ان يدركه ايضا ولكن ضعيفا، يستعين فى ذلك باللمس.

واما الشم فيكاد لا يدرك به^١ العظم والشكل والحركة والسكون إدراكا متمثلا فى الشام، بل يدرك به العدد بأن يتمثل فى الشام، ولكن النفس تدرك ذلك بضرب من القياس أو الوهم بأن تعلم أن الذى انقطعت رائحته دفعة قد زال والذى تبقى رائحته هو ثابت.

واما السمع فإن العظم لا يدركه ولكن السمع قد تدلّه النفس عليه دلالة غير مستمرة على الدوام، وذلك من جهة أن الاصوات العظيمة قد ينسبها إلى اجسام عظيمة، وكثيرا ما تكون من أشياء صغيرة وبالعكس. ولكن قد يدرك العدد ويدرك الحركة والسكون بما يعرض للصوت الممتد من ثبات أو اضمحلال يكون مصيره إلى ذلك الاختلاف فى تحدد مثل ذلك البعد. ولكن هذا الإدراك من جملة ماتدركه النفس للعادة التى عرفتُها.

وقد يمكن أن يسمع الصوت عن الساكن على هيئة الصوت الذى يسمع عن المتحرك وعن المتحرك على هيئة الصوت الذى^٢ يسمع عن الساكن، فلا تكون هذه الدلالة مركونا إليها ولا تجب وجوبا، بل تكون فى أكثر الأمر. واما الشكل فلا يدركه السمع إلا شكل الصوت لاشكل الجسم، واما الذى يسمع عن الجوّف فيوقف على تجويفه فهو شىء يعرض

١- قال صدر المتألهين فى الاسفار ص ٤٩ ج ٤ ط ١ = ص ٢٠٤ ج ٨ ط ٢ : اما الشم فانه لا يدرك شيئا من ذلك الا العدد باعانة من العقل وهو ان يعلم ان الذى انقطعت رائحته غير الذى حصلت ثانياً.

٢- أكثر النسخ : «على حياة الذى» أى على حياة الصوت الذى. وفى بعضها : «على حياته التى».

للفنفس وتعرفه النفس على سبيل الاستدلال . وتأمل مذهب العادة فيه .
ويشبه أن يكون حال البصر في كثير مما يدركه هذه الحال أيضا إلا أن إدراك البصر لما يدركه من ذلك أظهر .

فهذه هي المحسوسات التي تسمى مشتركة ، إذ قد تشترك فيها عدة من الحواس والعدد كانه أولى ما يسمى مشتركا^١ فإن جميع الحواس تشترك فيه .

وقد ظن بعض الناس أن لهذه المحسوسات المشتركة حاسة موجودة في الحيوان تشترك فيها وبها تدرك ، وليس كذلك . فانت تعلم أن من ذلك ما يدرك باللون لولا اللون لما أدرك ، وأن منه ما يدرك باللمس لولا اللمس لما أدرك . فلو كان يمكن أن يدرك شيء من ذلك بغير المتوسط من كيفية هي تدرك أولا لشيء من هذه الحواس ، لكان ذلك ممكنا ، وأما أن ما يستحيل فينا إدراكه إلا بتوسط مدرك بحاسة معلومة أو استدلال من غير توسط الحاسة فليس لها حاسة مشتركة بوجه من الوجوه .

١- قال صدر المتألهين في الاسفار ص ٤٩ ج ٤ ط ١ = ص ٢٠٢ ج ٨ ط ٢ : كل ما يقال انه محسوس فاما ان يكون بحيث يحصل منه عند الحس اثر او لا يحصل فان لم يحصل فهو المحسوس بالعرض وان حصل فلا يخلو اما ان يتوقف الاحساس به على الاحساس بشيء آخر او لا يتوقف فالاول هو المحسوس الثاني والثاني هو المحسوس الاول .



مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

المقالة الرابعة

فى الحواس الباطنة

اربعة فصول

[الفصل الاول : فى قول كلّى على الحواس الباطنة التى للحيوان]

[الفصل الثانى : فى افعال القوة المصوّرة والمفكّرة من هذه الحواسّ الباطنة]

[الفصل الثالث : فى احوال القوى المتذكّرة والوهمية]

[الفصل الرابع : فى احوال القوى المحركة وضرب من النبوة المتعلقة بها]



مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الفصل الاول

فيه قول كلى على الحواس الباطنة التى للحيوان

[فى اثبات الحس المشترك]

واما الحس المشترك فهو بالحقيقة^١ غير ما ذهب إليه من ظن أن للمحسوسات المشتركة حساً مشتركاً، بل الحس المشترك هو القوة التى تتادى إليها المحسوسات كلها، فإنه لو لم تكن قوة واحدة تدرك الملون واللموس لما كان لنا أن نميز بينهما قائلين: إنه ليس هذا ذاك. وهب أن هذا التمييز هو للعقل، فيجب لامحالة أن يكون العقل يجدهما معا حتى يتميز بينهما، وذلك لأنها من حيث هى محسوسة وعلى النحو المتادى من المحسوس لا يدركها العقل كما سنوضح بعد. وقد نميز نحن بينهما، فيجب أن يكون لها اجتماع عند ميمز إما فى ذاته^٢ وإما فى غيره، ومحال ذلك فى العقل على ما ستعلمه. فيجب أن يكون فى قوة أخرى. ولو لم يكن قد اجتمع عند الخيال من البهائم التى لاعقل لها المائلة

١- واما الحس الذى هو المشترك فهو بالحقيقة. نسخة.

٢- قوله: «فى ذاته» كالحس المشترك فانه يكون الاجتماع فى ذاته. قوله: «واما فى غيره» كالنفس فانه يكون الاجتماع فى غير ذاته كالحس المشترك.

بشهوتها إلى الحلاوة مثلاً أن شيئاً صورته كذا هو حلو لما كانت إذا رآته همت بأكله، كما أنه لو لا أن عندنا نحن أن هذا الأبيض هو هذا المغنى لما كنا إذا سمعنا غناه الشخصى أثبتنا عينه الشخصية وبالعكس. ولو لم يكن فى الحيوان ما تجتمع فيه صور المحسوسات لتعذرت عليه الحياة، ولم يكن الشمّ دالاً لها على الطعم، ولم يكن الصوت^١ دالاً إياها على الطعم، ولم تكن صورة الخشبة تُذكّرُها صورة الألم حتى تهرب منه، فيجب لامحالة أن يكون لهذه الصور مجمع واحد من باطن.

وقد يدلنا على وجود هذه القوة اعتبارات أمور تدل على أن لها آلة غير الحواس الظاهرة منها نراه من تخيل المدوّره أن كل شيء يدور، فذلك إما عارض عرض فى المراثيات أو عارض عرض فى الآلة التى تتم بها الرؤية، وإذا لم يكن فى المراثيات كان لامحالة فى شيء آخر.

وليس الدّوار إلا بسبب حركة البخار فى الدماغ وفى الروح التى فيه فيعرض لتلك الروح أن تدور^٢، فتكون إذن القوة المرتبة هناك هى التى يعرض لها أمر قد فرغنا منه. ولذلك يعرض للإنسان دّوار من تأمل ما يدور كثيراً على ما أبنانا به. وليس يكون ذلك بسبب أمر فى جزء من العين، ولا فى روح مصبوب فيه^٣. وكذلك تخيل استعجال^٤ المتحرك النقطة مستقيماً أو مستديراً على ما سلف من قبل، ولأن

١- أى الصوت المسموع عند تصويت بعضها بعضاً حال الورد على مطعوم. قوله:

«المدوّره» أى من به مرض دوار الرأس.

٢- لذلك الروح أن يدور. نسخة.

٣- والألم يعرض لفاقد العين.

٤- وكذلك نتخيل استعجال - نسخة.

تمثل الاشباح الكاذبة وسماع الاصوات الكاذبة قد يعرض لمن تفسد لهم آلات الحس أو كان مثلاً مغمضاً لعينه، ولا يكون السبب فى ذلك إلا لتمثلها فى هذا المبدأ.

والتخيلات التى تقع فى النوم إما أن تكون لارتسام فى خزانة حافظة للصور، ولو كان كذلك لوجب أن يكون كل ما اختزن فيها متمثلاً فى النفس ليس بعضها دون بعض حتّى يكون ذلك البعض كأنه مرئى أو مسموع وحده أو أن يكون يعرض لها التمثيل فى قوة أخرى، وذلك إما حس ظاهر وإما حس باطن، لكن الحس الظاهر معطل فى النوم، وربما كان ذلك الذى يتخيل ألواناً ماً مسمول العين فبقى أن يكون حساً باطناً، وليس يمكن أن يكون إلا المبدأ للحواس الظاهرة. والذى كان إذا استولت القوة الوهمية وجعلت تستعرض ما فى الخزانة تستعرضه بها ولو فى اليقظة، فإذا استحكم ثباتها فيها كانت كالمشاهدة.

فهذه القوة هى التى تسمى الحس المشترك وهى مركز الحواس، ومنها تشعب الشعب، وإليها تؤدى الحواس، وهى بالحقيقة هى التى تحس.

[فى اثبات الخيال]

لكن إمساك ما تدركه هذه هو القوة التى تسمى خيالاً وتسمى مصورة وتسمى متخيلة، وربما فُرق بين الخيال والمتخيلة بحسب الاصطلاح، ونحن مَن يفصل ذلك. والصورة التى فى الحس المشترك. والحس المشترك والخيال كأنهما قوة واحدة، وكأنهما لا يختلفان فى الموضوع، بل

فى الصورة . وذلك لأنه ليس أن يقبل هو أن يحفظ^١ ، فصورة المحسوس تحفظها القوة التى تسمى المصورة والخيال ، وليس لها حكم البتة ، بل حفظ . وأما الحس المشترك والحواس الظاهرة فإنها تحكم بجهة مآ أو بحكم مآ ، فيقال إن هذا المتحرك أسود وإن هذا الأحمر حامض ، وهذا الحافظ لا يحكم به على شىء من الموجود إلا على ما فى ذاته بأن فيه صورة كذا .

[فى اثبات القوة المتصرفة]

ثم قد نعلم يقيناً أنه فى طبيعتنا أن نركب المحسوسات بعضها إلى بعض ، وأن نفصل بعضها عن بعض ، لأعلى الصورة التى وجدناها عليها من خارج ولا مع تصديق بوجود شىء منها أو لا وجوده . فيجب أن تكون فىنا قوة نفعل ذلك بها ، وهذه هى التى تسمى إذا استعملها العقل تسمى^٢ مفكرة ، وإذا استعملتها قوة حيوانية تسمى متخيلة .

[فى اثبات الواعية]

ثم إننا قد نحكم فى المحسوسات بمعان لانحسها ، إما أن لا تكون فى طبائعها محسوسة البتة ، وإما أن تكون محسوسة لكننا لانحسها وقت الحكم . أما التى لا تكون محسوسة فى طبائعها^٣ فمثل العداوة والرداء والمنافرة التى تدركها الشاة فى صورة الذئب ، وبالجمل المعنى الذى

١- قوله : «لأنه ليس أن يقبل هو أن يحفظ» يعنى ليست قوة قبول الصور هى قوة حفظها .

٢- تسمى مفكرة . نسخة .

٣- راجع الفصل الرابع عشر من المسلك الخامس من الاسفار وايضاً الفصل الثالث والخامس من نفس الاسفار . والجذوات ص ٩٤ .

ينفّرُها عنه ، والموافقة التى تدركها من صاحبها ، وبالجملة المعنى يؤنسها به . وهذه أمور تدركها النفس الحيوانية ، والحس لا يدّلّها على شىء منها . فإذاً القوة التى بها تدرك ، قوة أخرى ولتسم الوهم .

وأما التى تكون محسوسة فإننا نرى مثلاً شيئاً أصفر فنحكم أنه عسل وحلو ، فإن هذا ليس يؤديه إليه الحاس فى هذا الوقت ، وهو من جنس المحسوس ، على أن الحكم نفسه ليس بمحسوس ألبتة وإن كانت أجزاؤه من جنس المحسوس ، وليس يدركه فى الحال ، إنما هو حكم نحكم به وربما غلط فيه وهو أيضاً لتلك القوة .

وفى الإنسان للوهم أحكام خاصة^١ من جعلتها حملة النفس على أن تمنع وجود أشياء لا تتخيل ولا ترتسم فيه وتأييها التصديق بها . فهذه القوة لا محالة موجودة فينا ، وهى الرئيسة الحاكمة فى الحيوان حكماً ليس فصلاً كالحكم العقلى ، ولكن حكماً تخيلياً مقروناً بالجزئية^٢ وبالصورة الحسية ، وعنه تصدر أكثر الأفعال^٣ الحيوانية .

وقد جرت العادة بأن يسمى مدرك الحس المشترك صورة ومدرك الوهم معنى ، ولكل واحد منهما خزانة .

فخزانة مدرك الحس وهو الصورة هى القوة الخيالية ، وموضعها مقدم الدماغ ، فلذلك إذا حدثت هناك آفة فسد هذا الباب من التصور ، إما بأن تتخيل صوراً ليست أو تصعب استنبات الموجود فيها .

وخزانة مدرك المعنى هو القوة التى تسمى الحافظة ، ومعدنها

١- راجع ص ٦٤ تمهيد القواعد - ط ١ .

٢- قوله : « مقروناً بالجزئية » وعلى ما فى الاسفار فهو كلى مضاف الى الجزئى .

٣- افعال . نسخة .

مؤخر الدماغ، ولذلك إذا وقع هناك آفة وقع الفساد فيما يختص بحفظ هذه المعاني^١.

وهذه القوة تسمى أيضاً متذكّرة، فتكون حافظة لصيانتها ما فيها، ومتذكّرة لسرعة استعدادها لاستثباته^٢، والتصور به مستعيدة إياه إذا فقد، وذلك إذا أقبل الوهم بقوته المتخيلة فجعل يعرض^٣ واحداً واحداً من الصور الموجودة في الخيال ليكون كأنه يشاهد الأمور التي هذه صورها. فإذا عرض له الصورة التي أدرك معها المعنى الذي بطل، لاح له المعنى حينئذ كما لاح من خارج، واستثبته القوة الحافظة في نفسها كما كانت حينئذ^٤ تستثبت فكان ذكر^٥.

١- قال الرازي: حفظ المعاني مغاير لأدراكها وإدراكها مغاير للتصرف فيها واستعراضها فالاسترجاع لا يتم إلا بحفظ وإدراك وتصرف فالمسترجعة لا تكون قوة واحدة فيزيد عدد القوى الباطنة على الخمس المشهور واجيب أن الإدراك للوهم والحفظ للحافظة والتصرف للمفكرة وبهذه القوى يتم الاسترجاع من غير حاجة إلى قوة أخرى غيرها فوحدة المسترجعة وحدة اعتبارية غير حقيقية وكذا الذاكرة مركب من إدراك وحفظ يتم بالوهم والحافظة. قال صدر المتألهين في الأسفار ص ٥٣ ج ٤ ط ١ = ص ٢١٩ ج ٨ ط ٢: واعلم أن هذه القوى وإن كانت متغايرة الوجود مختلفة الحدوث متفكة بعضها عن بعض والحيوان ما لا يكون له إلا الحس الظاهر ومنه ما له خيال ولا وهم له ومنه ما لا يحفظ له أنها ترجع عند كمالها إلى ذات واحدة لها شئون كثيرة.

٢- قوله: «لاستثباته» الضمائر الثلاثة راجعة إلى «ما» في قوله «ما فيها». وفي شرح المحقق الطوسي على الفصل التاسع من نفس الاشارات كانت الضمائر على التائب فهي أيضاً راجعة إلى «ما» في قوله: «ما فيها» أي الصور التي فيها. وفي الكتاب راجعة إلى لفظ «ما». وما في ذلك الشرح إلى معنى «ما».

٣- في تعليقه نسخة: أي يكون المطلوب هو المعنى لا الصورة.

٤- في تعليقه نسخة: أي حين لاح من خارج.

٥- فكان ذاكرًا، فكان ذُكرًا، نسختان.

وربما كان المصير من المعنى إلى الصورة، فيكون المتذكر المطلوب ليست نسبته إلى ما فى خزانة الحفظ، بل نسبته^١ إلى ما فى خزانة الخيال. فكان إعادته إما فى وجه العود إلى هذه المعانى التى فى الحفظ حتى يضطر المعنى إلى لوح الصورة فتعود النسبة إلى ما فى الخيال ثانياً، وإما بالرجوع إلى الحس.

مثال الاول^٢ إذا نسبت نسبته إلى صورة وكنتَ عرفتَ تلك النسبة تأملتَ الفعل^٣ الذى كان يقصد منها، فلما عرفتَ الفعل ووجدته وعرفتَ أنه أى طعم وشكل ولون يصلح له فاستثبت النسبة به فالقيتَ ذلك^٤ وحصلته نسبةً إلى صورة فى الخيال وأعدتَ النسبة فى الذكر، فإن خزانة الفعل هو الحفظ لأنه من المعنى. فإن كان أشكل ذلك عليك من هذه الجهة أيضاً ولم يتضح فأورد عليك الحس صورة الشئ، عادت مستقرة فى الخيال وعادت النسبة إليه مستقرة فى التى تحفظ.

وهذه القوة المركبة بين الصورة والصورة، وبين الصورة والمعنى، وبين المعنى والمعنى، هى كأنها القوة الوهمية بالموضوع، لا من حيث تحكم، بل من حيث تعمل لتصل إلى الحكم. وقد جعل مكانها وسط الدماغ ليكون لها اتصال بخزانتى المعنى والصورة.

ويشبهه أن تكون القوة الوهمية هى بعينها المفكرة والمتخيلة والمذكّرة. وهى بعينها الحاكمة فتكون بذاتها حاكمة وبحركاتها وأفعالها متخيلة

١- فى تعليقة نسخة: أى يكون المطلوب هو الصورة لا المعنى.

٢- فى تعليقة نسخة: أى إعادة الوهم الصورة من المعانى التى تكون فى الحافظة.

٣- أى الحفظ وملاحظة المحفوظات التى فى تلك القوة من المعانى.

٤- أى فيحصل الصورة التى تكون منشأة لذلك المعنى.

ومتذكّرة، فتكون متخيلة بما تعمل فى الصور والمعانى، ومتذكّرة بما ينتهى إليه عملها. وأما الحافظة فهى قوة خزانها، ويشبه أن يكون التذكر الواقع بالقصد معنى للإنسان وحده، وأن خزانة الصورة هى المصورة والخيال. وأن خزانة المعنى هى الحافظة. ولا يمتنع أن تكون الوهمية بذاتها حاكمة متخيلة، وبحركاتها متخيلة ذاكرة.

الفصل الثانى

فى أفعال القوة المصورة والمفكرة من هذه الحواس الباطنة

وفيه القول على النوم واليقظة^١ والرؤيا الصادقة والكاذبة وضرب من خواص النبوة .

فلنحصل القول فى القوة المصورة أولاً فنقول :

إن القوة المصورة التى هى الخيال هى آخر ما تستقر فيه صور المحسوسات ، وإن وجهها إلى المحسوسات هو الحس المشترك ، وإن الحس المشترك يؤدى إلى القوة المصورة على سبيل استخزان ما تؤديه إليه

١- قال الرازى : المتعلق الاول للنفس جوهر لطيف متكون من بخارية الاخلاط ومن اللطف فيها يسمى ذلك الجوهر الروح و اذا انصب ذلك الروح الى الحواس حصلت الادراكات الظاهرة وذلك هو اليقظة وان لم تنصب الروح الى الحواس او رجع منها بعد انصبابه اليها تعطلت الحواس الظاهرة وذلك هو النوم . (المباحث المشرقية ج ٢ ص ٣٣٢ .)

وقال يعقوب بن اسحاق الكندى : النوم ترك الحى الثابت على طباعه فى الصحة استعمال الحواس بالطبع . قال الحكيم الفاضل ابو الحسن سعد بن هبة الله فى رسالة الحدود : النوم رطوبة معتدلة تنحصر فى الدماغ تمنع الروح النفسانى من الجريان فى الاعصاب يتبعها سكون الحيوان ، واليقظة تصرف الحواس لغاية هى معيشة الحيوان .

الحواس فتخزنه . وقد تخزن القوة أيضا أشياء ليست من المأخوذات عن الحس ، فإن القوة المفكرة قد تتصرف على الصور التي في القوة المصورة بالتركيب والتحليل لأنها موضوعات لها ، فإذا ركبت صورة منها أو فصلتها أمكن أن تستحفظها فيها ، لأنها ليست خزانة لهذه الصورة من جهة ما هذه الصورة منسوبة إلى شيء واردة من داخل أو خارج ، بل إنما هي خزانة لها لأنها هذه الصورة بهذا النحو من التجريد ، ولو^١ كانت هذه الصورة على نحو ما فيها من التركيب والتفصيل ترد من خارج لكانت هذه القوة تستثبتها . فكذاك إذا لاحت لهذه القوة من سبب آخر .

وإذا عرض بسبب^٢ من الأسباب إما من التخيل والفكر وإما لشيء من التشكلات السماوية أن تمثلت^٣ صورة في المصورة وكان الذهن غائبا أو ساكنا عن اعتباره ، أمكن أن يرسم ذلك في الحس المشترك نفسه بعينه الى تبيانه^٤ فيسمع ويرى ألوانا وأصواتا ليس لها وجود من خارج ولا أسبابها من خارج . وأكثر ما يعرض هذا عند سكون القوى العقلية أو غفول الوهم ، وعند اشتغال النفس النطقية عن مراعاة الخيال والوهم . فهناك تقوى المصورة والتخيلة على أفعالها الخاصة حتى يتمثل مما تورده من الصور محسوسة .

ولنزد هذا بيانا فنقول : إنه سنبين بعد أن هذه القوى كلها لنفس واحدة وأنها خوادم للنفس ، فلنسلم ذلك وضعا ، ولنعلم ان اشتغال النفس

١- فلو كانت ، نسخة .

٢- لسبب ، نسخة .

٣- فاعل عرض .

٤- على هيئته ، نسخة .

ببعض هذه يصرّفها عن إعانة القوى الآخر على فعلها أو عن ضبطها عن زيفها^١ أو عن حملها على الصواب ، فإن من شأن النفس إذا اشتغلت بالأمور الباطنة أن تغفل عن استنبات الأمور الخارجة فلا تستثبت المحسوسات حقها من الاستنبات ، وإذا اشتغلت بالأمور الخارجة أن تغفل عن استعمال القوى الباطنة ، فإنها إذا كانت تامة الإصغاء إلى المحسوسات الخارجة ففى وقت ما تكون منصرفة إلى ذلك يضعف تخيلها وتذكرها ، وإذا انصببت إلى أفعال القوة الشهوانية انكسرت منها أفعال القوة الغضبية ، وإذا انصببت إلى أفعال القوة الغضبية انكسرت منها أفعال القوة الشهوانية ؛ وبالجملّة إذا انصببت إلى استكمال الأفعال الحركية ضعفت الأفعال الإدراكية ، وبالعكس .

فإذا لم تكن النفس مشتغلة بأفعال قوى عن أفعال قوة ما بل كانت وادعة كأنها معزلة عرّض^٢ لأقوى القوى وأعملها أن تغلب ، وإذا اشتغلت بقوة ما وعارض ما عن تثقيف قوة ، إنما تضبطها عن حركاتها المفرطة مراعاة النفس أو الوهم إياها استولت تلك القوة ونفذت فى أفعالها التى بالطبع قد خلا لها الجو وثقفت .

وهذا الذى يعرض للنفس من أن لا تكون مشتغلة بفعل قوة أو قوى فقد يكون لآفة أو لضعف شاغل عن الاستكمال ، كما فى الأمراض وكما فى الخوف ؛ وإما أن يكون لاستراحة ما ، كما فى النوم ؛ وإما أن يكون لكثرة انصراف الهمّة إلى استعمال القوة المنصرف إليها من غيرها .

١- عن زيفها بالغين المعجمة ، عدة نسخ .

٢- جواب « إذا لم تكن » . (معتزلة ، عرض - خ ل) .

ثم إن القوة المتخيلة قوة قد تصرفها^١ النفس عن خاص فعلها بوجهين : تارة مثل ما يكون عند اشتغال النفس بالحواس الظاهرة وصرف القوة المصورة إلى الحواس الظاهرة وتحريكها بما يورد عليها منها حتى لاتسلم^٢ للمتخيلة المفكرة فتكون المتخيلة مشغولة عن فعلها الخاص وتكون المصورة أيضاً مشغولة عن الانفراد بالتخيلة ويكون ماتحاجان^٣ إليه من الحس المشترك ثابتا واقعا فى شغل الحواس الظاهرة وهذا الوجه هو وجه^٤.

وتارة عند استعمال النفس إياها^٥ فى أفعالها التى تتصل بها من التميز والفكرة . وهذا على وجهين أيضا :
أحدهما أن تستولى على المتخيلة فتستخدمها والحس المشترك معها فى

١- قال الرازى فى المباحث الشرقية ص ٤٣٠ ج ٢ : ولصرف القوة المتخيلة عن الفعل امران : أحدهما الحس المشترك اذا نقش بالصور التى توردها الحواس الظاهرة لم يتسع للصور التى تركبها المتخيلة فحينئذ ينصرف المتخيلة عن العمل . الثانى تسلط العقل والوهم عليها بالضبط والحفظ عن الاضطراب والحركة عندما يستعملانها فيما بهما فان المتخيلة عند ذلك لاتفرغ لتتركيب الصور ونقش الحس المشترك بها ثم اذا انتفى الشاغلان او أحدهما ظهر سلطان المتخيلة فاخذت فى التلويع والتشبيح . اما فى النوم فقد انكسرت سورة احد الشاغلين وهو الحس الظاهر فيتعطل الحس المشترك عما يتادى اليه ويتسع للانطباع بالصور التى تركبها المتخيلة وينقلب تلك الصور المتخيلة مشاهدة مرئية واما فى حالة المرض فان النفس تكون مشغولة بتدبير البدن فلا يمكنها فى ان يتفرغ لتثقيف المتخيلة فحينئذ يقوى سلطان المتخيلة وما يرى فى الخوف من الصور الهائلة فهو بهذا السبب فان الخوف المستولى على النفس يصدّها عن تثقيف المتخيلة برسم صور هائلة فى الحس المشترك كصورة الغول .

٢- أى على المصورة من الحواس الظاهرة حتى لاتسلم المصورة .

٣- أى المتخيلة والمصورة .

٤- أى عند استعمال النفس القوة المتخيلة .

تركيب صور بأعيانها وتحليلها على جهة يقع للنفس فيها غرض صحيح ، ولا تمكن التخيلة لذلك من التصرف على ما لها أن تنصرف عليه بطباعها ، بل تكون منجزة مع تصريف النفس النطقية إياها انجراراً .

والثانى أن تصرفها عن التخيلات التى لا تطابق الموجودات من خارج فتكفها عن ذلك استبطالا لها فلا تتمكن من شدة تشبيحها وتمثيلها ، فإن شغلت التخيلة من الجهتين جميعا ضعف فعلها ، وإن زال عنها الشغل من الجهتين كلتيهما - كما يكون فى حال النوم أو من جهة واحدة كما يكون عند الأمراض التى تضعف البدن وتشغل النفس عن العقل والتمييز وكما عند الخوف حتى تضعف النفس وتكاد تجوز ما لا يكون وتكون منصرفة عن العقل جملة لضعفها وتخوفها وقوع أمور جسدية فكانها تترك العقل وتديره - أمكن التخيل^١ حينئذ أن يقوى ويقبل على المصورة ويستعملها ويتقوى اجتماعهما معا فتصير المصورة اظهر فعلا فتلوح الصور التى فى المصورة فى الحاس المشترك فترى كأنها موجودة خارجا ، لأن الأثر المدرك من الوارد من خارج ومن الوارد من داخل هو ما يتمثل فيها وإنما يختلف بالنسبة .

وإذا كان المحسوس بالحقيقة هو ما يتمثل ، فإذا تمثل كان حاله كحال مايرد من خارج . ولهذا مايرى الإنسان المجنون والخائف والضعيف والنائم أشباحا قائمة كما يراها فى حال السلامة بالحقيقة ويسمع أصواتا كذلك ،

١- عبارته فى المبدء والمعاد هكذا : « وإذا سكن فعل أحد الشيين قوى الخيال اما الحس فاذا تعطل فعله عند النوم واما العقل فاذا لم يصح الآلة لاستعماله لها بسوء المزاج ولهذا يتخيل المجانين امورا ليست فيبقى ذلك فى خيالهم حتى يكون حاله حال الموجود الماخوذ من الحس » .

فإذا تدارك التميز أو العقل شيئا من ذلك وجذب القوة المتخيلة إلى نفسه بالتنبيه اضمحلّت تلك الصور والخيالات .

وقد يتفق فى بعض الناس أن تُخلق فيه القوة المتخيلة شديدة جدا غالبية حتى أنها لا تستولى عليها الحواس ولا تعصيتها المصورة، وتكون النفس أيضا قوية لا يُبطل التفاتها إلى العقل وما قبل العقل انصبأها إلى الحواس . فهو لاء يكون لهم فى اليقظة ما يكون لغيرهم فى المنام فى ^١ الحالة التى سنخبر عنها بعد وهى حالة إدراك النائم مغيبات يتحققها بحالها أو بأمثلة تكون لها . فإن هؤلاء قد يعرض لهم مثلها فى اليقظة، وكثيرا ما يكون لهم فى توسط ذلك ^٢ أن يغيبوا آخر الأمر عن المحسوسات ويصيبهم كالإغماء وكثيرا ما لا يكون، وكثيرا ما يرون الشيء بحاله، وكثيرا ما يتخيل لهم مثاله للسبب الذى يتخيل للنائم مثال ما يراه ما نوضحه بعد، وكثيرا ما يتمثل لهم شبح ويتخيلون أن ما يدركونه خطاب من ذلك الشبح بالفاظ مسموعة تحفظ وتتلّى، وهذه هى النبوة الخاصة بالقوة المتخيلة . وها هنا نبوات أخرى سيتضح أمرها ^٣ .

وليس أحد من الناس لانصيب له من أمر الرؤيا ومن حال الإدراكات التى تكون فى اليقظة، فإن الحواطر التى تقع دفعة فى النفس إنما يكون سببها اتصالات ما ^٤ لا يشعر بها ولا بما يتصل بها لا قبلها ولا بعدها، فتنتقل النفس منها إلى شىء آخر غير ما كان عليه مجراها . وقد يكون

١- من الحالة، نسخة .

٢- فى تعليقة نسخة : أى فيما بين تلك الحالة .

٣- فى آخر فصول هذه المقالة .

٤- فى تعليقة نسخة : أى بالمبادئ العالية والالواح المحفوظة .

ذلك من كل جنس ، فيكون من المعقولات ، ويكون من الإنذارات^١ ، ويكون شعرا ، ويكون غير ذلك بحسب الاستعدادات والعادة والخلق . وهذه الخواطر تكون لأسباب^٢ تعن^٣ للنفس مسارقة^٤ فى أكثر الامر وتكون كالتلويحات المستلبة التى لاتتقرر فتذكر إلا أن تبادر إليها النفس بالضبط الفاضل ، ويكون أكثر مايفعله أن يشغل التخيل^٥ بجنس غير مناسب لما كان فيه .

ومن شأن هذه القوة المتخيلة أن تكون دائمة الإكباب على خزانتي

١- فى تعليقة نسخة : اى الاخبار بنزول عذاب او بلاء .

٢- اى تظهر .

٣- هو يسارق فى النظر اذا احتال فيه .

٤- قوله : «وتكون كالتلويحات» يعنى تكون تلك الخواطر التى تعن^٢ اى تظهر للنفس مسارقة كتلك التلويحات التى لاتتقرر فى النفس فتذكر اى حتى تذكر بل تلوح فتذهب بلا تراخ ومن ثم تنسى وتنمحي ، الا ان تبادر النفس الى تلك الخواطر اللائحة بالضبط الفاضل اى تمسكها جيدا ولا تطلقها .

ثم اخذ الشيخ -قدس سره- ان يبين علة عدم تقررها فى النفس وعدم تذكرها اياها بقوله : «واكثر ما يفعله ...» وخلاصتها ان المتخيلة تزاحم النفس فى ذلك التقرر والتذكر . ف«اكثر ما» مبتدا ، وخبره : «ان يشغل التخيل» و«التخيل» فاعل^٥ «يشغل» . وفاعل «يفعل» هو الضمير الراجع الى «اكثر ما» . والضمير البارز المنصوب فى «يفعله» راجع الى «عدم التقرر» . والتذكر المستفاد من قوله «لاتتقرر فتذكر» اى اشتغال التخيل بشيء غير مناسب هو اكثر شىء موجب لعدم تقرر تلك الخواطر وعدم تذكرها للنفس . فعلم ان الهم الواحد هو سبب انقهار المتخيلة للنفس وهو يحصل فى السلوك الانسانى من المراقبة التامة . وهذا الفصل الشريف من غرر فصول كتاب النفس .

وبما ذكرنا من معنى العبارة دريت ان الصواب المحقق هو تذكير الفعلين اعنى يفعله ويشغل لثانيتهما كما فى طبع مصر ، ولو كان كذلك لوجب ان يقال «ان تشغل التخيل عن جنس ...» لان النفس على هذا الزعم تشغله عنه على انه زعم باطل وان تكلف فى تصحيح المعنى فتدبر .

المصورة والذاكرة، ودائمة العرض للصورة مبتدئة من صورة محسوسة أو مذكورة، منتقلة منها إلى ضد أو نداء أو شيء هو منه بسبب، وهذه طبيعتها.

وأما اختصاص انتقالها من الشيء إلى ضده دون نداء، أو نداء دون ضده، فيكون لذلك أسباب جزئية لا تخصي.

وبالجملة يجب أن يكون أصل السبب في ذلك أن النفس إذا جمعت بين مراعاة المعاني والصور انتقلت من المعنى إلى الصورة التي هي أقرب إليها إما مطلقاً وإما لاتفاق قرب عهد مشاهدته لتألفهما في حس أو في وهم، وانتقلت كذلك من الصورة إلى المعنى. ويكون السبب الأول الذي يخص صورة دون صورة ومعنى دون معنى أمراً قد ورد عليه من الحس خصصه به، أو من العقل، أو الوهم فخصصه به، أو لأمر سماوي. فلما تخصص بذلك صار استمراره وانتقاله متخصصاً لتخصيص المبدأين^١، ولأجل أحوال تقارن من العادة أو لقرب العهد ببعض الصور والمعاني. وقد يكون ذلك لأحوال أيضاً سماوية، وقد يكون لطوالع من الحس والعقل بعد التخصيص الأول يضاف إليه.

واعلم أن الفكر النطقى ممنوبهذه القوة وهو من غريزة هذه القوة في شغل شاغل، فإنه إذا استعملها في صورة ما استعمالا موجهاً نحو غرض ما انتقلت بسرعة إلى شيء آخر لا يناسبه ومنه إلى ثالث وأنست النفس أول ما ابتدأت عنه حتى تحوج النفس إلى التذكر نازعة^٢ إلى التحليل

١- بمخصص المبدأين كما في نسختين. و«المخصص» كما في نسخة. وفي تعليقة نسخة:

أي العقل والوهم أو الأمر السماوي والأرضي.

٢- فازعة. نسخة.

بالعكس حتى تعود إلى المبدأ .

فإذا اتفق فى حال اليقظة أن أدرك النفس شيئاً أو فى حال النوم أن اتصلت بالملكوت اتصالاً على ما سنصفه بعد وصفاً ، فإن هذه القوة إن مكنتها^١ بسكونها أو بانقهارها^٢ من حسن الاستثبات ولم تغلبها مقصرة عليها زمان الاستثبات لما يلوح لها من تخيلاتهما ، تمكنت تلك الصورة^٣ من الذكر تمكناً جيداً على وجهه وصورته فلم تحتاج إن كان يقظة إلى التذكر ، وإن كان نوماً إلى تعبير^٤ ، وإن كان وحياً إلى التأويل ، فإن التعبير والتأويل هاهنا يذهبان مذهب التذكر .

فان لم تستثب النفس ما رآته من ذلك فى قوة الذكر على ما ينبغي ، بل كانت القوة المتخيلة توازى كل مفرد من المرئى فى النوم بخيال مفرد أو مركب ، أو توازى مركباً من المرئى فى النوم بخيال مفرد أو مركب فلا تزال تحاذى ما يرى هناك^٥ بمحاكاة مؤنثة من صور ومعان كان استثبات النفس فى ذاتها لما يراها أضعف من استثبات المصورة والمتذكرة^٦ لما يورده التخيل ، فلم يثبت فى الذكر ما أرى من الملكوت وثبت ما حكى^٧ به .

١- ان مكنتها ، كما فى جميع النسخ التى عندنا . وعبارة الكتاب كانت «مكنته» بتذكير الضمير . فالضمير على الاول اعنى على الثانى راجع الى النفس وهو ظاهر . وعلى التذكير راجع الى الفكر النطقى ، او راجع الى شىء فى قوله «ادرك النفس شيئاً» فيحتاج المعنى الى دقة . وكان مأل الاولين واحداً كما لا يخفى .

٢- فى تعليقه نسخة : اى انقهار المتخيلة من النفس .

٣- اى ذلك الشىء المدرك فان شئت تقرأ قوله : «فلم يحتاج» بالتذكير او بالتانيث .

٤- التعبير حدس من المعبر ليستخرج به الاصل من الفرع . الفصل الاسحاقى ص ١٩١ .

٥- فى النوم .

٦- المتذكرة - خ ل .

٧- وثبت ما حوكى به . نسخة مصححة .

ويتفق كثيراً أن يكون ما يرى من الملكوت شيئاً كالرأس وكالابتداء، فيستولى التخیل على النفس استيلاءً يصرفها عن استتمام مآثرها، وتنتقل بعده انتقالاً بعد انتقال لا تحاكي بتلك الانتقالات شيئاً مما يرى من الملكوت، إذ ذلك قد انقطع، فيكون هذا ضرباً من الرؤيا. إنما موضع العبارة منه شيء طفيف^١ وباقية أضغاث أحلام^٢، فما كان من الرؤيا من الجنس الذى السلطان فيه للتخیل فإنه يحتاج إلى عبارة ضرورة.

وربما رأى الإنسان تعبير رؤياه فى رؤياه فيكون ذلك بالحقيقة تذكراً، فإن القوة المفكرة كما أنها قد تنتقل أولاً من الأصل إلى الحكاية لمناسبة بينهما، كذلك لا يبعد أن تنتقل عن الحكاية إلى الأصل.

فكثيراً ما يعرض لها أن تتخیل^٣ فعلها ذلك مرة أخرى فيرى^٤ كان مخاطباً يخاطبه بذلك، وكثيراً ما لم يكن كذلك، بل كان كأنها تعاین الشيء معاینة صحيحة من غير أن تكون النفس اتصلت بالملكوت، بل تكون محاكاة من المتخیلة للمحاكاة فترجع إلى الأصل.

وهذا الضرب من الرؤيا الصحيح قد يقع عن التخیل من غير معونة

١- بمعنى القليل والغير التام.

٢- فى تعليقة نسخة: الضغث: فبضة حشيش مختلطة الرطب باليابس واضغاث الاحلام الرؤيا التى لا يصح تأويلها لاختلاطها. والحشيش ما يبس من الكلا قال الجوهري ولا يقال له حشيش اذا كان رطباً.

والحلم بالضم واحد الاحلام فى النوم وحقيقته على ما قيل ان الله يخلق باسباب مختلفة فى الاذهان عند النوم صوراً علمية منها مطابق لما مضى ولما يستقبل ومنها غير مطابق.

٣- أى يكون الرجوع الى الأصل ايضاً على سبيل التمثيل والحكاية من جنس الالفاظ.

٤- فيرى كان مخاطباً يخاطبها بذلك، نسخة.

قوة أخرى وإن كان الأصل فيه ذلك فيرجع^١، وربما حاكت هذه المحاكاة محاكاة أخرى فتحتاج إلى تعبير المعبر مرة أخرى، وهذه أشياء وأحوال لا تضبط.

ومن الناس من يكون أصح أحلاماً، وذلك إذا كانت نفسه قد اعتادت الصدق وقهرت التخيل الكاذب وأكثر من يتفق له أن يعبر رؤياه فى رؤياه هو من كانت همته مشغولة بما رأى، فإذا نام بقى الشغل به بحاله، فأخذت القوة المتخيلة تحاكيه^٢ بعكس ما حاكت أولاً.

وقد حكى أن هرقل المَلِك رأى رؤيا شغلت قلبه ولم يجد عند المعبرين ما يشفيه، فلما نام بعد ذلك عبر له فى منامه تلك الرؤيا، فكانت مشتملة على إخبار عن أمور تكون فى العالم وفى خاص مدينته ومملكته، فلما دُونت تلك الانذارات خرجت على نحو ما عبر له فى منامه، وقد جرب^٣ مثل هذا فى غيره.

والذين يرون هذه الأمور فى اليقظة :

منهم من يرى ذلك لشرف نفسه وقوتها وقوة متخيلته ومتذكرته فلا

١- فى تعليقة نسخة : أى ان كان ما وجد فى ذلك الانتقال هو الأصل فيتحقق الرجوع الى الأصل وان كان ذلك الانتقال حكاية الحكاية فيحتاج الى تعبير المعبر مرة أخرى كما اشار الى هذا بقوله وربما حاكت هذه المحاكات بمحاكات أخرى.

٢- فى تعليقة نسخة : قال الحكيم الفاضل ابو الحسن سعد بن هبة الله فى رسالة الحدود الرؤيا الحقيقية سنح الروحانية ينطبع فى القوة المتخيلة ثانى جهة العقل الفعال ومن هذه علم الغيوب فى اخبارات الانبياء عليهم السلام ورؤيا الصالحين . حد الاحلام سنح تحريك الحس فيها التخيل الا انها واردة من قبل الحس وهذه لاحقيقة لوجودها.

٣- فى تعليقة نسخة : أى من الحكاية الى الأصل والاول يكون من الأصل الى الحكاية.

٤- خبرت . نسخة .

تشغلها المحسوسات عن أفعالها الخاصة .

ومنهم من يرى ذلك لزوال تميّزه ولأن النفس التي له منصرفة عن التميّز . ولذلك فإن تخيله قوى ، فهو قادر على تلقى تلك الأمور الغيبية فى حال اليقظة . فإن النفس محتاجة فى تلقى فيض الغيب إلى القوة الباطنة من وجهين : أحدهما ليتصور فيها المعنى الجزئى تصورا محفوظا ، والثانى لتكون مُعينة لها متصرفة فى جهة إرادتها ، لاشاغلة إياها ، جاذبة إلى جهتها ، فيحتاج إلى نسبة بين الغيب وبين النفس والقوة الباطنة المتخيلة ونسبة بين النفس والقوة الباطنة المتخيلة فإن كان الحس يستعملها أو العقل يستعملها على النحو العقلى الذى ذكرناه لم تفرغ لأمور أخرى ، مثل المرأة إذا شغلت عن جهة وحركت نحو جهة فإن كثيرا من الأمور التى من شأنها أن ترسم فى تلك المرأة مغافصة ومباغطة لنسبة ما بينهما لا ترسم . وسواء كان هذا الشغل من الحس أو من ضبط العقل ، فإذا فات أحدهما أو شك أن تتفق النسبة المحتاج إليها ما بين الغيب وبين النفس والقوة المتخيلة ، وبين النفس وبين القوة المتخيلة ، فيلوح فيها اللائح على نحو مايلوح .

ولأننا قد انتقل بنا الكلام فى التخیل إلى أمر الرؤيا فلا بأس أن ندلّ يسيراً على المبدأ الذى تقع الإنذارات فى المنام بأمور نضعها وضعا . وإنما يتبين لنا فى الصناعة التى هى الفلسفة الاولى .

فنقول : إن معانى جميع الأمور الكائنة فى العالم مما سلف وما حضر وما يريد أن يكون موجودة فى علم البارى والملائكة العقلية من جهة وموجودة فى أنفس الملائكة السماوية من جهة ، وستضح لك الجهتان فى موضع آخر .

وان النفس البشرية اشد مناسبة لتلك الجواهر الملكية منها للأجسام المحسوسة، وليس هناك احتجاب ولا بخل، إنما الحجاب للقواهل إما لانغمارها فى الأجسام وإما لتدنسها بالأمور الجاذبة إلى الجنبه السافله . وإذا وقع لها أدنى فراغ من هذه الأفعال حصل لها مطالعة لما تم، فيكون أولى ماتستثبته مايتصل بذلك الإنسان أو بذويه أو ببلده أو بإقليمه . فلذلك أكثر الاحلام الذى تذكر تختص بالإنسان الذى حلم بها وبمن يليه، ومن كانت همته المعقولات لاحت له . ومن كانت همته مصالح الناس رآها واهتدى إليها، وكذلك على هذا القياس .

وليست الاحلام كلها صادقة، او بحيث يجب أن يشغل بها، فإن القوة المتخيلة ليس كل محاكاتها إنما تكون لما يفيض على النفس من الملكوت، بل أكثر مايكون منها ذلك إنما يكون إذا كانت هذه القوة قد سكنت عن محاكاة أمور هى أقرب إليها .

والأمور التى هى أقرب إليها منها طبيعية، ومنها إرادية .

فالتطبيعية هى التى تكون من مازجة قوى الاخلاط للروح التى تمتطيها^١ القوة المصورة والتخيلة، فإنها أول شىء إنما تحكيها وتستغل بها . وقد تحكى أيضا آلاما تكون فى البدن وأعراضا فيه، مثل مايكون عندما تتحرك القوة الدافعة للمنى إلى الدفع، فإن المتخيلة حينئذ تحاكى صوراً من شأن النفس أن تميل إلى مجامعتها، ومن كان به جوع حكى له مأكولات، ومن كان به حاجة إلى دفع فضل حكى له موضع ذلك، ومن

١- ان، نسخة .

٢- امتطاء أى اخذه مطية . وفى منتهى الارب : امتطاء بارغى ساختن ستور را . وقد يذكر

فى مواضع الكتاب ان الروح البخارية هى مطية أولى للنفس .

عرض لعضو منه أن سخّن أو برد بسبب حر أو برد حُكى له أن ذلك العضو منه موضوع فى نارٍ أو فى ماء بارد .

ومن العجائب أنه كما يعرض من حركة الطبيعة لدفع المنى تخيل مآ، كذلك ربما عرض تخيل مآ لصورة مشتهة بسبب من الأسباب، فتنبعث الطبيعة إلى جمع المنى وإرسال الريح الناشرة لآلة الجماع وربما قذفت المنى، وقد يكون هذا فى النوم واليقظة جميعا وإن لم يكن هناك هيجان وشبق .

وأما الإرادية فإن يكون فى همة النفس وقت اليقظة شىء تنصرف النفس إلى تأمله وتدبره، فإذا نام أخذت المتخيلة تحكى ذلك الشىء وما هو من جنس ذلك الشىء، وهذا هو من بقايا الفكر التى تكون فى اليقظة، وهذه كلها أضغاث أحلام . وقد تكون أيضا من تأثيرات الأجرام السماوية، فإنها قد تُوقع بحسب مناسباتها ومناسبات نفوسها صورا فى التخيل بحسب الاستعداد ليست عن تمثل شىء من عالم الغيب والإنذار .

وأما الذى يحتاج أن يعبرّ وأن يتاول فهو ما لم ينسب إلى شىء من هذه الجملة، فيعلم أنه قد وقع من سبب خارج وأن له دلالة مآ، فلذلك لا يصح فى الأكثر رؤيا الشاعر والكذاب والشرير والسكران والمريض والمغموم ومن غلب عليه سوء مزاج أو فكر .

ولذلك أيضا إنما يصح من الرؤيا فى أكثر الأمر ما كان فى وقت السحر، لأن الخواطر كلها تكون فى هذا الوقت ساكنة، وحركات الأشباح تكون قد هدأت . وإذا كانت القوة المتخيلة فى حال النوم فى مثل هذا الوقت غير مشغولة بالبدن ولا مقطوعة عن الحافظة والمصورة، بل

متمكنة منهما ، فبالحرى أن تُحسن خدمتها للنفس فى ذلك ، لأنها تحتاج لامحالة فيما يرد عليها . من ذلك أن ترتسم صورته فى هذه القوى^١ ارتساما صالحا إما هى بأنفسها وإما محاكياتها .

ويجب أن يعلم أن أصح الناس أحلاما أعدلهم أمزجة .
فإن اليابس المزاج وإن كان يحفظ جيدا فإنه لا يقبل جيدا .
والرطب المزاج وإن كان يقبل سريعا فإنه يترك سريعا فيكون كأنه لم يقبل ولم يحفظ جيدا .

والحار المزاج متشوش الحركات .

والبارد المزاج بليد .

وأصحهم من اعتاد الصدق .

فإن عادة الكذب والافكار الفاسدة تجعل الخيال ردىء الحركات غير مطاوع لتسديد^٢ النطق ، بل يكون حاله حال خيال من فسد مزاجه إلى تشويش .

[فى النوم واليقظة]

وإذا كان هذا^٣ مما يتعلق بالنوم واليقظة ، فيجب أن ندل هاهنا

١- القوة ، نسخة . وفى تعليقة نسخة : وحينئذ لا يكون بين المعنى الذى ادركته النفس وبين الصور التى رأتها المتخيلة فرق الامن جهة الكلية والجزئية فيكون الرؤيا غنية عن التعبير .

٢- أى لتصويب .

٣- قوله : « وإذا كان هذا ... » تمهيد لايراد البحث عن النوم واليقظة ولا بد من البحث عنهما فى المسائل الفلسفية وهذا المقام انسب من غيره فى ايراد البحث عنهما لوجهين :
الاول : ان البحث عنهما يجب ان يكون فى المسائل المتعلقة بذى الحس أى الحيوان
←

باختصار على أمر النوم واليقظة . فنقول :

إن اليقظة حالة تكون النفس فيها مستعملة للحواس أو للقوى المحركة من ظاهر بالإرادة التي لا ضرورة إليها ، فيكون النوم عدم هذه الحالة ، وتكون النفس فيه قد أعرضت عن الجهة الخارجة إلى الجهة الداخلة وإعراضها لا يخلو من أحد وجوه : إما أن يكون لكلال عرض لها من هذه الجهة . وإما أن يكون لهم عرض لها في تلك الجهة . وإما أن يكون لعصيان الآلات إياها .

والذى يكون من الكلال هو أن يكون الشيء الذى يسمى روحا وتعرفه فى موضعه قد تحلل وضعف فلا يقدر على الانبساط^١ فيغور وتتبعه القوى النفسانية . وهذا الكلال قد يعرض من الحركات البدنية وقد يعرض من الأفكار وقد يعرض من الخوف . فإن الخوف قد يعرض منه النوم ، بل الموت .

[سبب تنويم الأفكار]

وربما كانت الأفكار تتوَمَّ لامن هذه الجهة ، بل بأن تسخن الدماغ

والانسان كما نص به الشيخ فى آخر الفصل بقوله : « وان كان من حق النوم واليقظة ان يتكلم فيه فى عوارض ذى الحس » يعنى لا يناسب البحث عنهما البحث عن كائنات الجو مثلاً فيجب ان يتكلم فيهما فى كتاب النفس .

الوجه الثانى : ان التكلم فيهما بعد ما كان يجب ان يورد فى كتاب النفس فالمقام اشد مناسبة فى ذلك من غيره حيث قال : « و اذا كان هذا - اى الرؤيا - مما يتعلق بالنوم واليقظة فيجب ان ندلّ هاهنا باختصار على أمر النوم واليقظة » . ثم كان الحرى ان يعنون البحث عنهما بعنوان كالوصل والفصل والتذنيب ونحوها .

١- فى تعليقة نسخة : طلبا لدل ذلك التحلل .

فتنجذب الرطوبات إليه فيمتلئ الدماغ فينوم بالترطيب^١.
والذى لمهم فى الباطن هو أن يكون الغذاء والرطوبات قد اجتمعت
من داخل فتحتاج إلى أن يقصدها الروح بجميع الحار العزى لى
بهضمها التام فيتعطل الخارج .
والذى يكون من جهة الآلات فإن تكون الاعصاب قد امتلات
وانسدت من أبخرة وأغذية تنفذ^٢ فيها إلى أن تنهضم، والروح^٣ ثقلت
من الحركة لشدة الترطيب .
وتكون اليقظة لأسباب مقابلة لهذه . من ذلك أسباب يجفف مثل
الحرارة واليبوسة، ومن ذلك جمام^٤ وراحة حصلت، ومن ذلك فراغ
عن الهضم فتعود الروح منتشرة كثيرة، ومن ذلك حالة ردية تُشغل النفس
عن الغور، بل تستدعيها إلى خارج كغضب أو خوف لأمر قريب أو
مقاساة^٥ لمادة مؤلمة . وهذا قد دخل فيما نحن فيه بسبيل العرض، وإن
كان من حق النوم واليقظة أن يتكلم فيه فى عوارض ذى الحس .

١- فى تحصيل بهمنيار : «لأن كل موضع يسخن فى البدن تنجذب إليه الرطوبات وكذلك
اخال فى شعلة السراج والنسبب فيه ضرورة الخلا فيمتلئ الدماغ بالرطوبة وينوم
بالترطيب ويثقل الروح ويعجز عن الحركة ... » (ط ١ - ص ٨٠٠) .

٢- أى الروح .

٣- أو الروح، نسخة .

٤- جمام كحباب آسایش و آسودگی اسب بعد از ماندگی . منتهى الارب .

٥- رنج کشیدن .

الفصل الثالث

فى أفعال القوى المتذكّرة والوهمية وفى أن أفعال هذه القوى كلها بآلات جسمانية

كانا قد استقصينا القول فى حال المتخيلة والمصورة . فيجب أن نتكلم فى حال المتذكّرة ، ومايينها وبين المفكرة ، وفى حال الوهم ، فنقول :

إن الوهم هو الحاكم الأكبر فى الحيوان ، ويحكم على سبيل انبعاث تخيلى من غير أن يكون ذلك محققاً ، وهذا مثل ما يعرض للإنسان من استقذار العسل لمشابهته المرارة^١ ، فإن الوهم يحكم بانه فى حكم ذلك ، وتتبع النفس ذلك الوهم وإن كان العقل يكذبه . والحيوانات وأشباهاها من الناس إنما يتبعون فى أفعالهم هذا الحكم من الوهم الذى لاتفصيل منطقياً^٢ له ، بل هو على سبيل انبعاث مآ فقط ، وإن كان الإنسان قد يعرض لحواسه وقواه بسبب مجاورة النطق ما يكاد أن تصير قواه الباطنة نطقية مخالفة للبهائم . فلذلك يصيب من فوائد الاصوات المؤلفة والالوان

١- زهره دان . هى التى تجمع المرّة الصفراء معلقة مع الكبد كالكيس .

٢- منطقياً . نسخة .

المؤلفة والروائح والطعوم المؤلفة ومن الرجاء والتمنى أموراً^١ لاتصيبها الحيوانات الأخرى ، لأن نور النطق^٢ كأنه فائض^٣ سائح^٤ على هذه القوى . وهذا التخيل أيضاً الذى للإنسان قد صار موضوعاً للنطق بعد ما أنه موضوع للوهم فى الحيوانات ، حتى أنه يتتبع به فى العلوم وصار ذكره أيضاً نافعا فى العلوم كالتجارب التى تحصل^٥ بالذكر والأرصاء الجزئية وغير ذلك .

ونرجع إلى حديث الوهم . فنقول : إن من الواجب أن يبحث الباحث ويتأمل أن الوهم الذى لم يصحبه العقل حال توهمه كيف ينال المعانى التى هى فى المحسوسات عندما ينال الحس صورتها من غير أن يكون شىء من تلك المعانى يحس ومن غير أن يكون كثير منها مما ينفع ويضر فى تلك الحال .

فنقول : إن ذلك للوهم من وجوه : من ذلك الإلهامات الفائضة على الكل^٦ من الرحمة الإلهية ، مثل حال الطفل ساعة يولد فى تعلقه

١- مفعول يصيب .

٢- قوله : «لأن نور النطق...» للشيخ فى المقام كلام آخر فى المجاسة يطلب فى الثانى من رابعة الهيات الشفاء ص ١١٧ - ط ١ ، رحلى .

٣- سائح بالنون . نسخة .

٤- يحفظه . نسخة .

٥- قال الرازى : وهذه الإلهامات يقف بها النفس على المعانى المخالطة للمحسوسات فيما يضر وينفع فالذئب يحذره كل شاة وإن لم يره قط ولا وصلت إليها آفة . والفارة يحذر الهرة وكثير من الطيور يحذر جوارح الطير وإن كانت ما رآها قبل ذلك . فافعال الحيوانات تارة تكون على هذا الوجه وتارة بحسب التجربة فإن الحيوان إذا نال لذة أو المأ مقارنين بصورة حسية ارتسم فى النفس صورة الشىء وصورة المقارن وما بينهما من النسبة فإذا وقع الاحساس باحد الشئتين شعرت النفس حينئذ بالمقارن
←

بالثدى، ومثل حال الطفل إذا أفل^١ وأقيم فكاد يسقط من مبادرته إلى أن يتعلق بمستمسك لغريزة جعلها فيه الإلهام الإلهى، وإذا تعرض لحدقته بالقذى^٢ بادر فاطبق جفنيه قبل فهم ما يعرض له وما ينبغي أن يفعل بحسبه كأنه غريزة لنفسه لا اختيار. معه وكذلك للحيوانات إلهامات غريزية، والسبب فى ذلك مناسبات موجودة بين هذه الانفس ومبادئها هى دائمة لا تنقطع غير المناسبات التى يتفق أن تكون مرة وإن لا تكون، كاستعمال^٣ العقل وكخاطر الصواب، فإن الأمور كلها من هناك. وهذه الإلهامات يقف بها الوهم على المعانى المخالطة للمحسوسات فيما يضر وينفع، فيكون الذئب تحذره كل شاة وإن لم تره قط ولا أصابتها منه نكبة^٤، وتحذر الأسد حيوانات كثيرة، وجوارح^٥ الطير يحذرها سائر الطير وتشنع^٦ عليها الطير الضعاف من غير تجربة؛ فهذا قسم.

وقسم آخر يكون لشيء كالتجربة، وذلك أن الحيوان إذا أصابه ألم أولذة أو وصل إليه نافع حسى أو صار حسى مقارنا لصورة حسية، فارتسم فى المصورة صورة الشيء وصورة ما يقارنه، وارتسم فى الذكر

→ الآخر المطلوب أو المهرب ولهذا يخاف الكلاب المدرو الخشب (المباحث المشرقية ص ٤٣٨ ج ٢).

١- أى رفع وقام.

٢- وهو ما دفع فى العين من تراب أو تبخ أو وسخ.

٣- كاستكمال، نسخة.

٤- النكبة ما يصيب الانسان من الحوادث والجمع نكبات.

٥- جمع جارحة: مرغان شكارى.

٦- تشنع أى تهيأ للقتال. وفى تعليقة نسخة: التشنيع له معانى متعددة واحد معانيه الجذ فى السير وهو المناسب هيئنا.

معنى النسبة بينهما والحكم بينهما^١ فإن الذكر لذاته وبجبلته^٢ ينال ذلك . فإذا لاح للمتخيلة تلك الصورة من خارج تحركت فى الصورة وتحرك معها ما قارنها من المعانى النافعة أو الضارة ، وبالجملّة المعنى الذى فى الذّكر على سبيل الانتقال والاستعراض الذى فى طبيعة القوة المتخيلة فأحس الوهم بجميع ذلك معاً فرأى المعنى مع تلك الصورة ، وهذا هو على سبيل يقارب التجربة ، ولهذا تخاف الكلاب المدرّ والخشب وغيرها . وقد تقع للوهم أحكام أخرى بسبيل التشبيه بأن تكون للشئ صورة تقارن معنى وهمياً فى بعض المحسوسات وليس تقارن ذلك دائماً وفى جميعها ، فيلتفت مع وجود تلك الصورة إلى معناها ، وقد تخلف . فالوهم حاكم فى الحيوان يحتاج فى أفعاله إلى طاعة هذه القوى له ، وأكثر ما يحتاج إليه هو الذكر والحس ؛ وأما المصورة فيحتاج إليها بسبب الذكر والتذكر .

[الفرق بين الذكر والتذكر]

والذكر^٣ قد يوجد فى سائر الحيوانات ، وأما التذكر وهو الاحتياال لاستعادة ما اندرس فلا يوجد على ما أظن إلا فى الإنسان ، وذلك أن الاستدلال على أن شيئاً كان فغاب^٤ إنما يكون للقوة النطقية ، وإن كان

١- والحكم فيها ، والحكم فيها ، نسختان .

٢- جبلته ، نسخة .

٣- فى التصريح : الذكر باللسان ضد الانصات وذاله مكسورة ، وبالقلب ضد النسيان وذاله مضمومة قاله الكسائى .

٤- كما فى النسخ التى عندنا . وفى المطبوعة بمصر : « كان فغات » .

غير النطقية فعسى أن يكون للوهم المزين بالنطق . فسائر الحيوانات إن ذَكَرَتْ ذَكَرَتْ، وإن لم تذكر لم تشق إلى التذكر، ولم يخطر لها ذلك بالبال، بل إن هذا الشوق والطلب هو للإنسان .

والتذكر هو مضاف إلى أمر كان موجوداً في النفس في الزمان الماضي، ويشاكل التعلم من جهة ويخالفه من جهة . أما مشاكلته للتعلم فلأن التذكر انتقال من أمور تُدرَك ظاهراً أو باطناً إلى أمرٍ غيرها، وكذلك التعلم فإنه أيضاً انتقال من معلوم إلى مجهول ليعلم، لكن التذكر هو طلب أن يحصل في المستقبل مثل ما كان حاصلاً في الماضي، والتعلم ليس إلا أن يحصل في المستقبل شيء آخر .

وأيضاً فإن التذكر ليس يصار إلى الغرض فيه من أشياء توجب ضرورة حصول الغرض، بل على سبيل علامات إذا حصل أقربها من الغرض انتقلت النفس إلى الغرض في مثل تلك الحال^١، ولو كانت الحال غير ذلك لم يجب - وإن أخطر صورة الأقرب أو معناه - أن تنتقل، كمن يخطر بباله كتاب بعينه فتذكر منه معلّمه الذي قرأ عليه ذلك الكتاب . وليس يجب من إخطار صورة ذلك الكتاب بالبال وإخطار معناه أن يخطر ذلك المعلم بالبال لكل إنسان . وأما العلم فإن السبيل . الموصلة إليه ضرورية النقل إليه وهو القياس والحد .

ومن الناس من يكون التعلم أسهل عليه من التذكر، لأنه يكون مطبوعاً على ضروريات النقل ومن الناس من يكون بالعكس ومن الناس من يكون شديد الذكر ضعيف التذكر، وذلك لأنه يكون يابس المزاج

١ - في تعليقة نسخة : أي الطلب والاستدلال على أن شيئاً كان فغاب .

فيحفظ ماياخذه، ولا يكون حرّك النفس مطاوع المادة لأفعال التخيل واستعراضاته ومن الناس من يكون بالعكس . وأسرع الناس تذكرا أفتنهم للإشارات، فإن الإشارات تفعل نقلا عن المحسوسات إلى معان غيرها، فمن كان فطنا فى الإشارات كان سريع التذكر . ومن الناس من يكون قوى الفهم ولكن يكون ضعيف الذّكر ويكاد أن يكون الامر فى الفهم والذكر بالتضاد، فإن الفهم يحتاج إلى عنصر للصور الباطنة شديد الانطباع، وإنما تُعين عليه الرطوبة، وأما الذّكر فيحتاج إلى مادة يعسر انفساخ ما يتصور فيها ويتمثل، وذلك يحتاج إلى مادة يابسة، فلذلك يصعب اجتماع الأمرين .

فأكثر من يكون حافظا هو الذى لاكثر حركاته ولا تنفخ هممه، ومن كان كثير الهمم كثير الحركات لم يذكر جيدا، فيحتاج الذكر مع المادة المناسبة إلى أن تكون النفس مقبلة على الصورة وعلى المعنى المستثبتين إقبالا بالحرص غير مأخوذة^١ عنهما باشتغال آخر، ولذلك كان الصبيان مع رطوبتهم يحفظون جيدا، لأن نفوسهم غير مشغولة بما تشتغل به نفوس البالغين، فلا تذهل عما هى مقبلة عليه بغيره . وأما الشبان فلحرارتهم واضطراب حركاتهم مع ييس مزاجهم لا يكون ذكرهم كذكر الصبيان والمترع^٢ عين^٣، والمشايع أيضا يعرض لهم من الرطوبة الغالبة أن لا يذكروا ما يشاهدون .

وقد يعرض مع التذكر من الغضب والحزن والغم وغير ذلك ما يشاكل

١- فى تعليقة نسخة : اخذ بمعنى انقطاع وبازداشتن .

٢- ترعرع الصبى تحرك ونشأ والسن قلقت وتحركت . وسن الترعرع هو بعد الشدة ونبات الانسان وقيل المراقبة .

حال وقوع الشيء^١، وذلك أنه لم يكن سبب وقوع الغم والحزن والغضب فيما مضى إلا انطباع هذه الصورة فى باطن الحواس، فإذا عادت فعلت ذلك أو قريباً منه، والأمانى والرجاء تفعل ذلك، والرجاء غير الأمانة، فلإن الرجاء تخيل أمرٍ ما مع حكم أو ظن بأنه فى الأكثر كائن، وأما الأمانة فهى تخيل أمر وشهوته والحكم بالتذاذ يكون إن كان، والخوف مقابل الرجاء على سبيل التضاد، واليأس عدمه، وهذه كلها تكون أحكاماً للوهم^٢.

فلنقتصر الآن على ما قلناه من أمر القوى المدركة الحيوانية، ولنبين أنها كلها تفعل أفعالاً^٣ بالآلات^٤، فنقول: أما المدرك من القوى للصور الجزئية الظاهرة على هيئة غير تامة التجريد والتفريد عن المادة ولا مجردة أصلاً عن علائق المادة كما تدركه الحواس الظاهرة، فالأمر فى احتياج إدراكه إلى آلات جسمانية واضح سهل. وذلك لأن هذه الصور إنما تُدرك

١- فى تعلیقة نسخة: یعنى قد یوجب من تذكر ما یوجب الغم والحزن حال یشبه حال وقوعه فان تلك الحالة انما تحصل من الصورة التى تنطبع فى القوى وقد حصلت.

٢- وهذه كلها احكام للوهم، نسخة.

٣- تفعل افعالها بالآلات، نسخة.

٤- فى تعلیقة نسخة: قال الشیخ فى المباحث ان الصور والمتخیلات لیس المدرك لها جسماً أو جسمانیا وأقام البرهان بحسب الظاهر على ذلك وقال بعد اقامة البرهان فاذن الحفظ والذكر لیساً جسمانیین بل انما یوجدان فى النفس الا ان المشكل انه کیف یرسم الاشباح الخیالية فى النفس. وقال فى آخر الفصل وهذا وامثاله یوقع فى النفس ان نفس الحيوان غیر الناطق ایضاً جوهر غیر مادی وانه هو الواحد بعینه المشعور به واحد وانه هو الشاعر الباقى وان هذه الجسمانیات آلات متبدلة علیه. وعبرة المباحثات مذكورة فى المباحث المشرقية للامام الرازى وفى سفر نفس الاسفار لصدر المتألهین. (المباحث المشرقية ج ٢ ص ٣٣٧).

ما دامت المواد حاضرة موجودة، والجسم الحاضر الموجود إنما يكون حاضرا موجوداً عند جسم، وليس يكون حاضرا مرة وغائبا أخرى عند ما ليس بجسم، فإنه لانسبة له إلى قوة مفردة من جهة الحضور والغيبة. فإن الشيء الذى ليس فى مكان لا تكون للشيء المكانى إليه نسبة فى الحضور عنده والغيبة عنه، بل الحضور لا يقع إلا على وضع أو بُعد للحاضر عند المحضور. وهذا لا يمكن إذا كان الحاضر جسما إلا أن يكون المحضور جسما أو فى جسم.

وأما المدرك للصور الجزئية على تجريد تام من المادة وعدم تجريد البتة من العلائق المادية كالخيال فيحتاج أيضا إلى آلة جسمانية، فإن الخيال لا يمكنه أن يتخيل إلا أن ترسم الصورة الخيالية فيه ارتساما^١ مشتركا بينه وبين الجسم؛ فإن الصورة المرسمة فى الخيال من صورة شخص زيد على شكله وتخطيطه ووضع أعضائه بعضها عند بعض التى تتميز فى الخيال كالمنظور إليها لا يمكن أن تتخيل على ما هى عليه إلا أن تلك الأجزاء والجهات من أعضائه يجب أن ترسم فى جسم وتختلف جهات تلك الصورة فى جهات ذلك الجسم وأجزاؤها فى أجزائه.

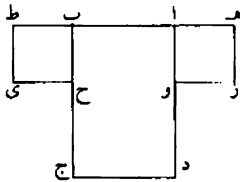
ولننقل صورة زيد إلى صورة مربع ا ب ج د المحدود المقدار والجهة والكيفية واختلاف الزوايا بالعدد، وليكن متصلا بزاويتى ا ب منه مربعان كل واحد منهما مثل الآخر، ولكل واحد جهة معينة ولكنهما متشابهما الصورة، فترسم من الجملة صورة شكل مجنح جزئى واحد بالعدد مقرر فى الخيال.

١- الخيالية فيه فى جسم ارتساما، نسخة.

فنقول: إن مربع^١ «ا ه ر و» وقع غيرا بالعدد لمربع «ب - ح - ط - ي» ووقع فى الخيال منه بجانب اليمين متميزا عنه بالوضع المتخيل المشار إليه فى الخيال فلا يخلو إما أن يكون لصورة المربعة لذاتها أو لعارض خاص له فى المربعة غير صورة المربعة، أو يكون للمادة التى هى منطبعة فيها^٢. ولا يجوز أن تكون مغايرته له من جهة صورة المربعة، وذلك أنا فرضناهما متشاكلين متشابهين متساويين. ولا يجوز أن يكون ذلك لعارض يخصه.

أما أولا فإننا لانحتاج الى تخيله يمينا إلى إيقاع عارض فيه ليس فى ذلك غير جهات المادة.

وأما ثانيا فإن ذلك العارض إما أن يكون شيئا فيه نفسه^٣ لذاته أو



١-

٢- قال الرازى فى المباحث الشرقية (ج ٢ ص ٣٥٦) «أنا اذا تخيلنا مربعا مجنحا بمربعين فلا بد أن نتخيل هذا المربع على هذا الوجه المفروض فى هواء وفى جهة مخصوصة وذلك الهواء وتلك الجهة موجودتان فاذا انطبعت فى النفس صورتا المربعين فكان لآحد المربعين نسبة الى جهة مخصوصة او الى جانب مخصوص ولم تكن الصورة الاخرى مفروضة الحصول فى ذلك الجانب وتلك الجهة فحينئذ يتميز بهذا السبب آحد المربعين عن الآخر واذا احتمل ذلك سقط الاستدلال».

٣- فيه بعينه، نسخة.

يكون شيئا له بالقياس إلى ما هو شكله فى الموجودات^١ حتى يكون كانه شكل منزوع عن موجود هولها الخيال، أو يكون شيئا له بالقياس إلى المادة الحاملة. ولا يجوز أن يكون شيئا له فى نفسه من العوارض التى تخصه، لأنه إما أن يكون لازما أو زائلا.

ولا يجوز أن يكون لازما له بالذات إلا وهو لازم لمشاركه فى النوع، فإن المربّعين وُضعا متساويين فى النوع فلا يكون لهذا عارض لازم ليس لذلك.

وأىضا فإنه لا يجوز أن كان هو فى قوة غير متجزئة تجزئ القوى الجسمانية أن يعرض^٢ له شيء دون الآخر الذى هو مثله ومحلها واحد غير متجزئ وهو القوة القابلة. ولا يجوز أن يكون زائلا، لأنه يجب إذا زال ذلك الأمر أن تتغير صورته فى الخيال، فيكون الخيال إنما يتخيله كما هو لأنه يقرن به ذلك الأمر، فإذا زال تغير، و^٣ الخيال إنما يتخيله هكذا لاسبب شيء يقرنه به، بل يتخيله كذلك كيف كان، ولا إلى الخيال أن يلحق بالآخر هذا العارض فيجعله كالاول، بل مادام موجودا فيه يكون كذلك ويعتبره الخيال كذلك من غير التفات إلى أمر آخر يقرنه به.

ولهذا لا يجوز أن يقال: إن فرض الفارض جعله بهذه الحال، كما يجوز أن يقال فى مثله فى المعقولات^٤، وذلك لأن الكلام يبقى بحاله فيقال ما الذى فعله الفارض حتى خصصه بهذه الحال متميزا عن الثانى.

١- أى فى الخارج.

٢- فاعل لا يجوز.

٣- حالية.

٤- فى المعقول، نسخة.

وأما فى الكلى فهناك أمر يقرنه به العقل وهو حد التيامن أوحد التياسر، فإذا قرن بمربع حد التيامن صار بعد ذلك متيامنا، والحد إنما يكون لأمر معقول كلى وفى مثله يصح لأنه أمر فرضى يتبع الفرض فى التصور. وأما هذا الجزئى الذى ليس يكون بالفرض، بل إنما تتصور فى الخيال صورة عن محسوس من غير اختلاف فتثبت منظورا إليها متخيلة بعينها، فليس يمكن أن يوجد له هذا الحد^١ دون صاحبها إلا لأمر به يستحق زيادة هذا الحد دون صاحبها، ولا الخيال يفرضها كذلك بشرط يقرنه بها، بل يتخيلها كذلك دفعة على أنها فى نفسها كذلك لا يفرضه فيتخيل هذا المربع يمينا وذلك يسارا، لا بسبب شرط يقرن بذلك وبهذا، وبعد لحوقه يفرض ذلك يمينا وهذا يسارا. وأما فى صقع العقل فإن حد التيامن وحد التياسر يلحق المربع - وهو مربع لم يعرض له شئ آخر - لحوق الكلى بالكلى، فإنه يجوز أن يثبت فى العقل كلى من غير إلحاق شئ به، ويكون مُعدّاً لأن يلحق به ما يلحق.

وأما الخيال فما لم يتشخص المعنى فيه بما يتشخص به لم يتمثل للخيال، فلذلك يجوز أن يكون فى سلطان العقل أن يُقرن معنى بمعنى على سبيل الفرض^٢.

وأما الخيال فما لم يقع للتمثل^٣ فيه وضع محدود جزئى لم يرسم فى الخيال، ولا كان شيئاً يجرى عليه فرض. فقد بطل أن يكون هذا التمييز

١ - فليس يمكن أن يقال أنها يوجد لها هذا الحد دون صاحبها، نسخة.

٢ - فى تعليقه نسخة: حتى يتمكن من تغيير ذلك الفرض.

٣ - فى الباحث: وأما التخيل فالامتياز غير حاصل بالفرض لأن المرجع المعين الذى على الأيمن لا يمكن أن يفرض فيه عارض حتى يصير هو بعينه فى الخيال مربعا يسر.

بسبب عارض فى ذاته لازم أو غير لازم فى ذاته أو مفروض^١.
فقول : ولا يجوز أن يكون بالقياس إلى الشيء الموجود^٢ الذى هو
خياله ، وذلك لأنه كثيراً ما يتخيل ما ليس بموجود .
وأيضاً فإن وقع لأحد المربعين نسبة إلى جسم وللمربع الآخر نسبة
أخرى^٣ ، فليس يجوز أن تقع ومحلها غير منقسم ، فإنه ليس أحد
المربعين الخياليين أولى بأن ينسب إلى أحد المربعين الخارجيين من الآخر
إلا أن يكون قد وقع هذا فى نسبة من الجسم الموضوع له الحامل إياه إلى
أحد الخارجيين لا يقع الآخر فيها . فيكون إذن محل هذا غير محل ذلك ،

١- او معروض ، نسخة .

٢- أى فى الخارج .

٣- قال صدر المتألهين فى الاسفار (ج ٤ ص ٥٨ ط ١ = ص ٢٣٧ ج ٨ ط ٢) : «قول المعترض
ان تخصص هذا المربع الخيالى ليس بفرض فاض واعتبار معتبر . قلنا : لانسلم بل
تخصصه بمجرد اعتبار المعتبر وتصوره وجعله جعلاً بسيطاً . قوله والا لا يمكننا ان نعمل
بالمربع الايمن عملاً به يصير المربع الايمن الايسر . قلنا تخصص القاعل للامر
الصورى الذى لا مادة له ليس الاجعل هويته الصورية لا افادة صفة او عرض على مادة
وليس فى المربع الخيالى الا صورة المربع الخاص بعينه الحاصل من الجاعل النفسانى
اخترعاً بسيطاً .

وبالجملة اذا ارادت النفس ان يجعل هذا المربع الخيالى مربعاً آخر وهذا المقدار مقداراً
آخر او ارادت تقسيم مقدار بعينه الى قسمين لا يمكن لها ذلك . اذ ليس لتلك الامور
تركيب من مادة قابلة وصورة غيرها حتى يكون هناك مجعول ومجمول اليه . بل كل
واحد من تلك الامور صورة فقط بلا مادة قابلة . وتلك الصور عين تصور النفس
ومشيتها وارادتها . فاذا انقسم مقدار خيالى الى قسمين كان ذلك فى الحقيقة انشاؤهما
ابتداءً لا من شئ سواء عدم المقدار الاول والا . واذا عدم فلم يعدم الى شئ ليلزم
وجود مادة قابلة هناك . ويحتاج الى مخصص من خارج كما هو شأن الخارجيات
المادية» .

وتكون القوة منقسمة ولا تنقسم بذاتها، بل بانقسام ما فيها فتكون جسمانية. وتكون الصورة مرتسمة في الجسم^١، فليس يصح أن يفترق المربعان في الخيال لافتراق المربعين الموجودين وبالقيااس إليهما، فبقى أن يكون ذلك إما بسبب افتراق الجزئين في القوة القابلة أو الجزئين من الآلة التي بها تفعل القوة.

وكيف كان، فإن الحاصل من هذا القبيل أن الإدراك إنما يتم بقوة متعلقة بمادة جسمانية. فقد اتضح أن الإدراك الخيالي هو أيضا إنما يتم بجسم.

وما يبين ذلك أنا نتخيل الصورة الخيالية كصورة الناس مثلا أصغر أو أكبر كأننا ننظر إليهما. ولا محالة أنها ترسم وهي أكبر، وترسم وهي أصغر في شيء لافى مثل ذلك الشيء بعينه، لأنها إن ارتسمت في مثل ذلك الشيء فالتفاوت في الصغر والكبر إما أن يكون بالقيااس إلى المأخوذ عنه الصورة وإما بالقيااس إلى الآخذ وإما لنفس الصورتين.

ولا يجوز أن يكون بالقيااس إلى المأخوذ عنه الصورة، فكثيراً من الصور الخيالية غير مأخوذة عن شيء البتة، وربما كان الصغير والكبير صورة شخص واحد.

ولا يجوز أن يكون بسبب الصورتين في أنفسهما فإنهما لما اتفقتا في الحد والماهية واختلفتا في الصغر والكبر فليس ذلك لنفسيهما، فإذا ذلك بالقيااس إلى الشيء القابل، ولأن الصورة تارة ترسم في جزء منه أكبر وقارة في جزء منه أصغر.

وايضاً فإنه ليس يمكننا^١ نتخيل السواد والبياض فى شبح خيالى واحد سارين فيه معا، ويمكننا ذلك فى جزئين منه يلحظهما الخيال مفترقين . ولو كان الجزء ان لا يتميزان فى الوضع ، بل كان كلا الخيالىين يرتسمان فى شىء غير منقسم ، لكان لا يفترق الامر بين المتعذر منهما والممكن . فإذن الجزءان متميزان فى الوضع والخيال يتخيلهما متميزين فى جزئين .

فإن قال قائل : وكذلك العقل ، فنجيبه ونقول : إن العقل يعقل السواد والبياض معا فى زمان واحد من حيث التصور^٢ ، وأما من حيث

١- قال الفخر الرازى : «الثالث انه ليس يمكننا ان نتخيل السواد والبياض فى شبح جسمانى واحد ويمكننا ذلك فى جزئين ولو كان ذلك الجزءان لا يتميزان فى الوضع لكان لافرق بين المتعذر والممكن فاذن الجزءان متميزان فى الوضع» انتهى كلامه (ص ٣٤٠ ج ٢ من المباحث).

واقول : قوله : «فى شبح جسمانى» هو مكان قول الشيخ «فى شبح خيالى» . وعندنا نسخة مخطوطة من المباحث موافقة للمطبوعة . وكان «خيالى» حرّفت بـ «جسمانى» . وانت تعلم ان المباحث خلاصة الشفاء ، بتقرير آخر ، ولو لم نقل بالتحريف لوجب ارتكاب التكلف فى اثبات المطلوب ، فتأمل .

٢- فى تعليقة نسخة : قوله : «من حيث التصور» اى تصورهما فى عالم العقل بنحو الكلية لا يستلزم تصور الموضوع والشبح حتى يقال لا يجتمعان فى شبح واحد ولكن تصورهما فى الخيال يستلزم الموضوع لهما وعروضهما له . وأما بحسب التصديق بان يقال السواد سواد او السواد قابض للبصر مثلاً والبياض بياض او البياض مفرق للبصر مثلاً فان موضوع هذين التصديقين لا يمكن ان يكون واحداً ولا يجتمعان بهذا الاعتبار والحاصل ان مفهوم السواد ومفهوم البياض لا يكونان متضادين حتى يمنع اجتماعهما فى موضوع واحد فيمكن اجتماعهما فى موضوع واحد فيكون موضوع المفهومين من حيث التصور واحداً وهو النفس المجردة لكن الموضوع للحكم عليهما بحكم غير متحد لان موضوع الحكم نفس المفهومين والمفهومان متغايران .

التصديق فيمتنع أن يكون موضوعهما واحدا . وأما الخيال فلا يتخيلهما معا لا على قياس التصور ولا على قياس التصديق . على أن فعل الخيال إنما هو على قياس التصور لا غير ، ولا فعل له في غيره .
ولما علمت هذا في الخيال ، فقد علمت في الوهم الذي ما يدركه إنما يدركه متعلقا بصورة جزئية خيالية على ما أوضحناه .

الفصل الرابع

فى أحوال القوى المحركة وضرب من النبوة المتعلقة بها

وإذ قلنا فى القوى المدركة من قوى النفس الحيوانية فخليق بنا أن نتكلم فى القوى المحركة منها^١ فنقول :

إن الحيوان ما لم يشتق اشتياقا إلى شىء شعر باشتياقه أو تخيله أو لم يشعر به ، لم ينبعث إلى طلبه بالحركة . وليس ذلك الشوق هولشىء من القوى المدركة ، فليس لتلك القوى إلا الحكم والإدراك ، وليس يجب إذا حكم أو أدرك بحس أو وهم أن يشتاق الى ذلك الشىء ، فإن الناس

١- قال الشيخ فى النجاة ص ٣٢١ : «لنفس الحيوانية بالقسمة الاولى قوتان محرركة ومدركة . والمحرركة على قسمين : اما محرركة بانها باعثة ، واما محرركة بانها فاعلة . والمحرك على انها باعثة هى القوة النزوعية الشوقية وهى القوة التى اذا ارتسم فى التخيل صورة مطلوبة او مهروب عنها حملت القوة التى تذكرها على التحريك ولها شعبتان شعبة تسمى قوة شهوانية وهى قوة تنبث على تحريك تقرب به من الاشياء المتخيلة ضرورية او طلبا للذة . وشعبة تسمى غضبية وهى قوة تنبث على تحريك يدفع له الشىء المتخيل ضارا او مفسدا طلبا للغلبة . واما القوة على انها فاعلة فهى قوة تنبث فى الاعصاب والعضلات من شأنها ان تشنج العضلات فتجذب الاوتار والرباطات الى جهة المبدأ او ترفيها وتمدها طولا فتصير الاوتار والرباطات الى خلاف جهة المبدأ» .

يتفقون فى إدراك ما يحسون ويتخيلون من حيث يحسون ويتخيلون ، لكن يختلفون فيما يشترقون إليه مما يحسون ويتخيلون . والإنسان الواحد قد يختلف حاله فى ذلك ، فإنه يتخيل الطعام فيشتاقه فى وقت الجوع ولا يشترقه فى وقت الشبع .

وأيضاً فإن الحسن الأخلاق إذا تخيل اللذات المستكرهه لم يشترقها ، والآخر يشترقها . وليس هذان الحالان^١ للإنسان وحده ، بل وللحيوانات كلها .

والشوق قد يختلف : فمته ما يكون ضعيفاً بعدُ . ومته ما يشتد حتى يوجب الإجماع . والإجماع ليس هو الشوق فقد يشتد الشوق إلى الشئ فلا يجمع على الحركة ألبته ، كما أن التخيل يقوى فلا يشترق إلى ما يتخيل ، فإذا صح الإجماع أطاعت القوى المختركة التى ليس لها إلا تشنج العضل وإرسالها . وليس هذا نفس الشوق ولا الإجماع ، فإن الممنوع من الحركة لا يكون ممنوعاً من شدة الشوق ومن الإجماع ، لكنه لا يجد طاعة من القوى الأخرى التى لها أن تحرك فقط ، وهى التى فى العضل .

وهذه القوة الشوقية من شعبها القوة الغضبية والقوة الشهوانية . فالتى تنبعث مشتاقه إلى اللذيذ والتخيل نافعا لتجلبه هى الشهوانية ، والتى تنبعث مشتاقه إلى الغلبة وإلى المتخيل منافياً لتدفعه فهى الغضبية .

وقد نجد فى الحيوانات انبعاثات لا إلى شهواتها ، بل مثل نزاع^٢ التى ولدت إلى ولدها والذى ألف إلى إلفه ، وكذلك اشتياقها إلى الانفلات من الأقفاص والقيود ، فهذا وإن لم يكن شهوة للقوة الشهوانية فإنه اشتياق

١- فى تعليقه نسخة : أى الإدراك والشوق . أو الشوق وعدم الشوق .

٢- النزاع بمعنى الشوق .

مّا إلى شهوة للقوة الخيالية . فإن القوة المدركة تخصصها فيما تدرك وفيما تنقلب فيه من الأمور التى تتجدد بالمشاهدة أو من الصور مثلاً لذة تخصصها ، فإذا تألمت بفقدانها اشتاقت إليها طبعاً ، فاجمعت القوة الإجتماعية على أن تحرك إليها الآلات كما تجمع لاجل الشهوة والغضب ، ولأجل الجميل من المعقولات أيضاً . فيكون للشهوة اشتداد الشوق إلى اللذيذ ، وللقوة النزوعية^١ الإجماع ، وللغضب اشتداد الشوق إلى الغلبة ، وللقوة النزوعية الإجماع ، وكذلك للمتخيل أيضاً ما يخصه وللقوة النزوعية الإجماع .

والخوف والغم والحزن عن عوارض^٢ القوة الغضبية بمشاركة من القوى الدراكة ، فإنها إذا انخزلت^٣ اتباعاً لتصور عقلى أو خيالى كان خوف ، وإذا لم تخف قويت : ويعرض لها الغم^٤ من الذى يوجب الغضب إذا كان غير مقدور على دفعه أو كان مخوفاً وقوعه .

والفرح الذى من باب الغلبة فإنه غاية لهذه القوة أيضاً . والحرص

١- قال بهمنيار فى التحصيل والحال فى المفكرة هذه الحال لانه اذا اشتاقت النفس الى مسالة واجتمعت تبع الاجماع عمل القوة المفكرة .

٢- قال بهمنيار : وهذه اعراض تعرض للنفس وهى فى البدن ولذلك يستحيل معها امزجة الابدان وقد يتغير الامزجة فيتبعها هذه الاعراض .

٣- انخزلت ، نسخة .

٤- فى تعليقه نسخة : الغم هو كيفية نفسانية يتبعها حركة الروح الى داخل البدن خوفاً من موذى واقع عليه والحزن هو ما يتبعها حركة الروح الى الداخل قليلاً قليلاً . الفرع هو ما يتبعه حركة الروح الى الداخل هرباً من الموى واقعاً كان او متخيلاً . قال الشيخ فيما بعد وقد يعرض انفعال نفسانى بسبب ظنه ان امراً فى المستقبل يكون مما يضره وذلك يسمى الخوف .

والنَّهْم^١ والشهوة والشبق وما أشبه ذلك فهى للقوة البهيمية الشهوانية .
والاستيناس والسرور من عوارض القوى الدراكة .
وأما القوى الإنسانية فتعرض لها أحوال تخصها سنتكلم فيها بعد .
والقوى الإجتماعية تتبع للقوى المذكورة ، فإنها إذا اشتد نزاعها
أجمعت وهى كلها تتبع أيضا القوة الوهمية ، وذلك أنه لا يكون شوق البتة
إلا بعد توهم المشتاق إليه وقد يكون وهم ، ولا يكون شوق . لكنه قد يتفق
أحيانا لآلام بدنية تتحرك الطبيعة إلى دفعها أن توجب تلك الحركة انبعاث
التوهم ، فتكون تلك القوى سائقة للتوهم إلى مقتضاها ، كما أن أكثر
التوهم فى أكثر الأمر يسوق القوى إلى المتوهم ، فالوهم له السلطان فى
حيز القوى المدركة فى الحيوانات ، والشهوة والغضب لهما السلطان فى
حيز القوى المحركة وتتبعهما القوة الإجتماعية ثم القوى المحركة التى فى
العضل .

فنعول الآن : إن هذه الأفعال والأعراض هى من الاعراض^٢ التى
تعرض للنفس وهى فى البدن ولا تعرض بغير مشاركة البدن ، ولذلك
فإنها تستحيل معها أمزجة الأبدان . وتحدث هى أيضا مع حدوث أمزجة
الأبدان ، فإن بعض الأمزجة يتبعه الاستعداد للغضب ، وبعض الأمزجة
يتبعه الاستعداد للشهوة ، وبعض الأمزجة يتبعه الجبن والخوف . ومن
الناس من سجيته^٣ سجية مغضب فيكون سريع الغضب ، ومن الناس
من يكون كأنه مذعور مرعوب فيكون جباناً مسرعاً إليه الرُّعب . فهذه

١- النَّهْمَة بالتحريك وهى افراط الشهوة فى الطعام .

٢- العوارض ، نسخة .

٣- من تكون سجيته ، نسخة .

الاحوال لاتكون إلا بمشاركة البدن .

والاحوال التى للنفس بمشاركة البدن على اقسام :

منها مايكون للبدن أولا ولكن يكون لأجل أنه ذو نفس .

ومنهما ما يكون للنفس أولا ولكن لأجل أنها فى بدن .

ومنهما مايكون بينهما بالسوية . فالنوم واليقظة والصحة والمرض

احوال هى للبدن ومبادئها منه ، فهى له أولا ، ولكن إنما هى للبدن بسبب ان له نفسا .

وأما التخيل والشهوة والغضب وما يجرى هذا المجرى فإنها للنفس من

جهة ماهى ذات بدن ، وللبدن من جهة أنها لنفس البدن أولا ، وإن كان من جهة ما ان النفس ذو بدن ، لست أقول من قبل البدن .

وكذلك الغم والهَمّ والحزن والذكر وما اشبه ذلك ، فإن هذه ليس فيها

ماهو عارض للبدن من حيث هو بدن ، ولكن هذه احوال شىء مقارن

للبدن لاتكون إلا عند مقارنة البدن ، فهى للبدن من قبل النفس ، إذ هى

لنفس أولا وإن كانت للنفس من قبل ما هى ذات بدن ، لست أقول من قبل البدن .

وأما الألم من الضرب ومن تغير المزاج فإن العارض فيه موجود فى

البدن ، لأن تفرق الاتصال والمزاج من احوال البدن من جهة ماهو بدن ،

وأیضا موجود فى الحس الذى يحسه من جهة ما يحسه ولكن بسبب

البدن . ويشبه أن يكون الجوع والشهوة من هذا القبيل .

وأما التخيل والخوف والغم والغضب فإن الانفعال الذى يعرض له

يعرض أولا للنفس ، وليس الغضب والغم من حيث هو غضب وغم

انفعالا من الانفعالات المؤلمة للبدن ، وإن كان يتبعه انفعال بدنى مؤلم

للبدن، مثل اشتعال حرارة أو خمودها وغير ذلك . فإن ذلك ليس نفس الغضب والغم، بل هو أمر يتبع الغضب والغم .

ونحن لا نمنع أن يكون أمر الأخلق^١ به أن يكون للنفس من حيث هي فى بدن ثم تتبعه فى البدن انفعالات خاصة بالبدن، فإن التخيل أيضا من حيث كونه إدراكا ليس هو من الانفعالات التى تكون للبدن بالقصد الأول، ثم قد يعرض من التخيل أن يستشر بعض الأعضاء، وليس ذلك بسبب طبيعى أوجب أن مزاجا قد استحال وحرارة قوية وبخارا تكون ونفذ فى بعض العضو حتى نشره، بل لما حصلت صورة فى وهم أوجبت الاستحالة فى مزاج او حرارة ورطوبة وريحا، لولا تلك الصورة لم يكن فى الطبيعة ما يحررها .

ونحن نقول بالجملة إن من شأن النفس أن تحدث منها فى العنصر البدنى استحالة مزاج تحصل من غير فعل وانفعال جسمانى فتحدث حرارة لاعن حار، وبرودة لاعن بارد .

بل إذا تخيلت النفس خيالا وقوى فى النفس لم يلبث أن يقبل العنصر البدنى صورة مناسبة لذلك أو كيفية . وذلك لأن النفس من جوهر بعض المبادئ التى هى تلبس المواد ما فيها من الصور المقومة لها، إذا هى أقرب مناسبة لذلك الجوهر من غيره، وذلك إذا استتم استعدادها لها^٢ . وأكثر استعداداتها إنما تكون بسبب استحالات فى الكيف؛ كما قلنا فيما سلف، وإنما تستحيل فى الأكثر عن أضداد تحيلها .

فإذا كانت هذه المبادئ قد تكسو العنصر صورة مقومة لنوع طبيعى

١- ولولا، نسخة .

٢- أى استعداد المواد للصور، وفى تعليقه نسخة: أى افاضته المبادئ الصور فى المواد .

لنسبة مما تتقرر بينهما ، فلا يبعد أيضا أن تكسوها الكيفيات من غير حاجة إلى أن تكون هناك ماسة وفعل وانفعال جسمانى يصدر عن مضادة .

بل الصورة التى فى النفس هى مبدأ لما يحدث فى العنصر ، كما أن الصورة الصحية التى فى نفس الطبيب مبدأ لما يحدث من البرء ، وكذلك صورة السرير فى ذات النجار لكنه من المبادئ التى لا تنساق إلى إصدار ما هو موجب^١ له إلا بآلات ووسائل ، وإنما تحتاج إلى هذه الآلات لعجز وضعف وتأمل حال المريض الذى توهم أنه قد صح والصحيح الذى توهم أنه مرض ، فإنه كثيرا ما يعرض من ذلك أن يكون إذا تأكدت الصورة فى نفسه وفى وهمه انفعال منها عنصره فكانت^٢ الصحة أو المرض ، ويكون ذلك أبلغ مما يفعله الطبيب بآلات ووسائل . ولهذا السبب ما يمكن الإنسان مثلا أن يغدو على جذع ملقى^٣ فى القارعة من الطريق وإن كان موضوعا كالجسر وتحتة هاوية لم يجسر أن يمشى عليها ، ديبا^٤ إلا بالهونا ، لأنه يتخيل فى نفسه صورة السقوط تخيلا قويا جدا فتجيب إلى ذلك طبيعته وقوة أعضائه ولا تجيب إلى ضده من الثبات والاستمرار .

فالمصور إذا استحكم وجودها فى النفس الكلية واعتقاد أنها يجب أن توجد فقد يعرض كثيرا أن تتفعل عنها المادة التى من شأنها أن تتفعل عنها وتكون .

١- ماهى موجبة له ، نسخة .

٢- فوجدت ، نسخة . فكانت الصحة والمرض ، نسخ مصححة .

٣- مطروح ، نسخة .

٤- عليه ، نسخة .

مدب الجيش ديبا سار سيرا لينا ومنه ديب النمل . مجمع البحرين ج ٢ ص ٥٥ .

فإن كان ذلك فى النفس الكلية التى للسماء والعالم جاز أن يكون مؤثراً فى طبيعة الكل، وإن كان فى نفس جزئية جاز أن يؤثر فى الطبيعة الجزئية.

وكثيراً ما تؤثر النفس فى بدن آخر كما تؤثر فى بدن نفسها تأثير العين العائنة^١ والوهم العامل.

[كلام سام جداً فى تأثير النفوس]

بل النفس إذا كانت قوية شريفة شبيهة بالمبادئ أطاعها العنصر الذى فى العالم وانفعل عنها ووجد فى العنصر ما يتصور فيها. وذلك لأن النفس الإنسانية سنيين أنها غير منطبعة فى المادة التى لها، لكنها منصرفة الهمة إليها. فإن كان هذا الضرب من التعلق يجعل لها أن تحيل العنصر البدنى عن مقتضى طبيعته، فلا بدع أن تكون النفس الشريفة القوية جداً تجاوز بتأثيرها ما يختص بها من الأبدان إذا لم يكن انغماسها فى الميل إلى ذلك البدن شديداً قويا وكانت مع ذلك عالية فى طبقتها قوية فى ملكتها جداً، فتكون هذه النفس تبرىء المرضى، وتمرض الأشرار، ويتبعها أن تهدم طبائع، وأن تؤكد طبائع، وأن تستحيل لها العناصر فيصير غير النار ناراً وغير الأرض أرضاً، وتحدث بارادتها أيضاً أمطار وخصب كما يحدث خسف ووباء كل بحسب الواجب العقلى.

وبالجملة فإنه يجوز أن يتبع إرادته وجود ما يتعلق باستحالة العنصر فى الاضداد، فإن العنصر بطبعه يطبعه ويتكون فيه ما يتمثل فى إرادته، إذ

١- فى تعليقة نسخة: أى العين التى يصيب منها تعب ومشقة.

العنصر بالجملة طوع للنفس وطاعته لها أكثر من طاعته للأضداد المؤثرة فيه . وهذه أيضا من خواص القوى النبوية .

وقد كنا ذكرنا خاصية قبل هذه تتعلق بقواها المتخيلة وتلك خاصية تتعلق بالقوى الحيوانية المدركة ، وهذه خاصية تتعلق بالقوى الحيوانية المحركة الإجماعية من نفس النبى العظيم النبوة .

ف نقول : إنه لما تبين أن جمع القوى الحيوانية لافعل لها إلا بالبدن ، ووجود القوى أن يكون بحيث تفعل ، فالقوى الحيوانية إذن إنما تكون بحيث تفعل وهى بدنية فوجودها أن تكون بدنية ، فلا بقاء لها بعد البدن . وقد تكلمنا فى كتبنا الطبية فى أسباب استعدادات الأشخاص المختلفة بجبلتها وبحسب اختلاف أحوالها للفرح والغم والغضب والحلم والحقد والسلامة وغير ذلك كلاما لا يوجد للمتقدمين مايجرى مجراه فى تفصيله ونخصيله فليقرأ من هناك .



مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

المقالة الخامسة

وهى ثمانية فصول :

الفصل الاول : فى خواص الافعال والانفعالات التى للانسان وبيان قوى النظر والعمل للنفس الانسانية .

الفصل الثانى : فى اثبات ان قوام النفس الناطقة غير منقطع فى مادة جسمانية .

الفصل الثالث يشتمل على مسألتين : احدهما كيفية انتفاع النفس الانسانية بالحواس . والثانية اثبات حدوثها .

الفصل الرابع : فى ان الانفس الانسانية لا تفسد ولا تتناسخ .

الفصل الخامس : فى العقل الفعال فى انفسنا والعقل المنفعل عن انفسنا .

الفصل السادس : فى مراتب افعال العقل وفى اعلى مراتبها وهو العقل القدسى .

الفصل السابع : فى عدد المذاهب الموروثة عن القدماء فى امر النفس وفعالها وانها واحدة او كثيرة وتصحيح القول الحق فيها .

الفصل الثامن : فى بيان الآلات التى للنفس .



مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الفصل الاول

فى خواص الافعال والانفعالات التى للإنسان وبيان قوى النظر والعمل للنفس الانسانية

قد فرغنا من القول فى القوى الحيوانية أيضا^١، فحرى بنا ان نتكلم
الآن فى القوى الإنسانية. فنقول:

إن الإنسان له خواص أفعال تصدر عن نفسه ليست موجودة لسائر
الحيوان. وأول ذلك أنه لما كان الإنسان^٢ فى وجوده المقصود فيه يجب
أن يكون غير مستغن فى بقائه عن المشاركة ولم يكن كسائر الحيوانات التى
يقتصر كل واحد منها فى نظام معيشته على نفسه وعلى الموجودات فى
الطبيعة له. وأما الإنسان الواحد فلو لم يكن فى الوجود إلا هو وحده وإلا

١- كالنباتية.

٢- الفصل الرابع من النمط التاسع من الاشارات: «إشارة، لما لم يكن الإنسان بحيث
يستقل فى امر نفسه ...». ثم ان الفصل الاول من الباب التاسع من نفس الاسفار
(ص ١١٦ ج ٤ ط ١) بتمامه مطالب هذا الفصل من الشفاء بتحرير آخر يغير ما فى
الشفاء قليلاً. وهكذا الفصل الاول من الباب السادس من المباحث المشرقية فى كتاب
النفس (ج ٢ ص ٤٠٩ ط حيدرآباد الدكن) قال: «الفصل الاول فى خواص النفس
الانسانية وهى عشرة فمنها النطق وذلك ...».

الأمور الموجودة فى الطبيعة له لهلك أو لساءت معيشته أشد سوءاً .
 وذلك لفضيلته ونقيصة سائر الحيوان على ما ستعلمه فى مواضع
 أخرى ، بل الإنسان محتاج إلى أمور أزيد مما فى الطبيعة - مثل الغذاء
 المعمول واللباس المعمول والموجود فى الطبيعة من الأغذية - ما لم تُدبّر
 بالصناعات فإنها لاتلائمه ولا تحسن معها معيسته . والموجود فى الطبيعة
 من الأشياء التى يمكن أن تلبس أيضاً ، فقد تحتاج أن تجعل بهيئة وصفة
 حتى مكنها أن يلبسها .

وأما الحيوانات الأخرى فإن لباس كل واحد معه فى الطباع ، فلذلك
 يحتاج الإنسان أول شيء إلى الفلاحة وكذلك إلى صناعات أخرى ،
 لا يتمكن الإنسان الواحد من تحصيل كل ما يحتاج إليه من ذلك بنفسه ، بل
 بالمشاركة حتى يكون هذا يخبز لذاك ، وذاك ينسج لهذا ، وهذا ينقل شيئاً
 من بلاد غريبة إلى ذلك ، وهذا يعطيه بإزاء ذلك شيئاً من قريب .

فلهذه الأسباب وأسباب أخرى أخفى وأكد من هذه ما احتاج الإنسان
 أن تكون له فى طبعه قدرة على أن يُعلم الآخر الذى هو شريكه ما فى
 نفسه بعلامة وضعية وكان أخلق ما يصلح لذلك هو الصوت لأنه ينشعب
 إلى حروف تتركب منها تراكيب كثيرة من غير مؤونة تلحق البدن ويكون
 شيئاً لا يثبت ولا يبقى فيؤمن وقوف من لا يحتاج إلى شعوره عليه .

وبعد الصوت الإشارة فإنها كذلك ، إلا أن الصوت أدل من الإشارة ،
 لأن الإشارة إنما تهدي من حيث يقع عليها البصر^١ ، وذلك يكون من
 جهة مخصوصة ، ويحتاج أن يكلف المراد إعلامه أن يحرك حذقته إلى

١- من حيث يقع البصر عليه ، نسخة . وضمير «عليه» راجع الى «حيث» لأنه بمعنى المكان .

جهة مخصوصة حركات كثيرة يراعى بها الإشارة. وأما الصوت فقد تغنى الاستعانة به عن أن يكون من جهة مخصوصة، وتغنى أيضا عن أن تراعى تحريكات^١، ومع ذلك فليس يحتاج فى أن يدرك إلى متوسط كما لا يحتاج اللون إليه، لا كحاجة الإشارات.

فجعلت الطبيعة^٢ للنفس أن تؤلف من الأصوات ما يتوصل به إلى إعلام الغير. وفى الحيوانات الأخرى أيضا أصوات يقف بها غيرها على حال فى نفسها. لكن تلك الأصوات إنما تدل بالطبع وعلى جملة من الموافقة أو المنافرة^٣ غير محصلة ولا مفصلة.

والذى للإنسان فهو بالوضع، وذلك لأن الأغراض الإنسانية تكاد أن لا تنتهى، فما كان يمكن أن تطيع هى على أصوات بلانهاية، فمما يختص بالإنسان هذه الضرورة الداعية إلى الإعلام والاستعلام لضرورة داعية إلى الأخذ والإعطاء بقدر عدل ولضرورات أخرى، ثم اتخاذ المجمع واستنباط الصنائع.

وللحيوانات الأخرى وخصوصا للطير صناعات أيضا، فإنها تصنع بيوتا ومساكن لاسيما النحل. لكن ذلك ليس مما يصدر عن استنباط وقياس، بل عن إلهام وتسخير، ولذلك ليس مما يختلف ويتنوع، وأكثرها لصلاح أحوالها وللضرورة النوعية ليست للضرورة الشخصية. والذى للإنسان فكثير منه للضرورة الشخصية، وكثير لصلاح حال الشخص بعينه.

١- ان تراعى بحركات، نسخة.

٢- فى تعليقة نسخة: جواب لما كان الانسان فى وجوده.

٣- والمنافرة، نسخة.

ومن خواص الإنسان أنه يتبع إدراكاته للأشياء النادرة انفعالاً يسمى التعجب ويتبعه الضحك، ويتبع إدراكه للأشياء المؤذية انفعالاً يسمى الضجر ويتبعه البكاء.

ويخصه في المشاركة أن المصلحة تدعو إلى أن تكون في جملة الأفعال التي من شأنه أن يفعلها أفعالاً لا ينبغي له أن يفعلها، فيعلم ذلك صغيراً وينشأ عليه. ويكون قد تعود منذ صباه سماع أن تلك الأفعال ينبغي أن لا يفعلها، حتى صار هذا الاعتقاد له كالغريزي له، وأفعال أخرى بخلاف ذلك، وتسمى الأولى قبيحة، والآخرى جميلة.

وليس يكون للحيوانات الأخرى ذلك، فإن كانت الحيوانات الأخرى تترك أفعالاً لها أن تفعلها مثل أن الأسد المعلم لا يأكل صاحبه ولا يأكل ولده فليس سبب ذلك اعتقاداً في النفس ورأياً، ولكن هيئة أخرى نفسانية، وهي أن كل حيوان يؤثر بالطبع وجود مايلذه وبقائه، وأن الشخص الذي يمونه^١ ويطعمه قد صار لذيداً له لأن كل نافع لذيد بالطبع عند المنفوع، فيكون المانع عن قرسه ليس اعتقاداً، بل هيئة وعارضا نفسانياً آخر. وربما وقع هذا العارض في الجبلة ومن الإلهام الإلهي كحب كل حيوان ولده من غير اعتقاد البتة، بل على نوع تخيل بعض الإنسان لشيء نافع أو لذيد أو نقرته عنه إذا كان في صورته ما ينفر عنه.

والإنسان قد يتبع شعوره بشعور غيره أنه فعل شيئاً من الأشياء التي قد أجمع على أنه لا ينبغي أن يفعلها انفعالاً نفسانياً يسمى الخجل، وهذا

١- فاعل تكون.

٢- في تعليقه نسخة: قوله «يمونه» مان القوم احتمل ماوتهم أي قوتهم وقد لا يهمز فالفعل مانهم.

أيضا من خواص الناس .

وقد يعرض للإنسان انفعال نفسانى بسبب ظنه أن أمرا فى المستقبل يكون مما يضره ، وذلك يسمى الخوف . والحيوانات الأخرى إنما يكون لها ذلك بحسب الآن فى غالب الأمر ، أو متصلا بالآن . وللإنسان يازاء الخوف الرجاء ، ولا يكون للحيوانات الأخرى إلا متصلا بالآن ، ولا يكون فيما يبعد عن الآن من الزمان ذلك . والذى تفعله من الاستظهار^١ فليس ذلك لأنها تشعر بالزمان وما يكون فيه ، بل ذلك أيضا ضرب من الإلهام . والذى تفعله النمل من نقل الميرة^٢ بالسرعة إلى جحرتها^٣ منذرة بمطر^٤ يكون ، فلأنها تتخيل أن ذلك هوذا يكون فى هذا الوقت . كما أن الحيوان يهرب عن الضد لما يتخيل أنه هوذا يريد أن يضربه فى الوقت .

ويتصل بهذا الجنس ما للإنسان أن يروى فيه من الأمور المستقبلية أنه هل ينبغي له أن يفعلها أو لا ينبغي فيفعل ما يصح أن توجب رويته أن لا يفعل وقتا آخر أو فى هذا الوقت بدل ما روى ، ولا يفعل ما يصح أن توجب رويته أن يفعل وقتا آخر أو فى هذا الوقت بدل ما روى . وسائر الحيوانات إنما يكون لها من الإعدادات للمستقبل ضرب واحد مطبوع فيها وافقت عاقبتها أو لم توافق .

١- الظهير : المعين والاستظهار طلب المعاونة .

٢- البرة ، نسخة . والميرة بكسر الميم : الطعام .

٣- الجحر بضم الجيم وسكون الحاء : كل مكان تحتفره الهوام والسباع لانفسها ، ج جحره

بكسر الجيم وفتح الحاء .

٤- منذرة لمطر ، نسخة .

وأخص الخواص بالإنسان تصور المعانى الكلية العقلية المجردة عن المادة كل التجريد على ما حكيناه وبيناه، والتوصل إلى معرفة المجهولات تصديقا وتصورا من المعلومات العقلية. فهذه الأحوال والأفعال المذكورة هى مما يوجد للإنسان، وجُلّها يختص به الإنسان وإن كان بعضها بدنيا، ولكنه موجود لبدن الإنسان بسبب النفس التى للإنسان التى ليست لسائر الحيوان.

بل نقول: إن للإنسان تصرفا فى أمور جزئية وتصرفا فى أمور كلية والأمور الكلية إنما يكون فيها اعتقاد فقط ولو كان أيضا فى عمل، فإن من اعتقد اعتقادا كلياً أن البيت كيف ينبغى أن يبنى، فإنه لا يصدر عن هذا الاعتقاد وحده فعل بيت مخصوص صدورا أوليا، فإن الأفعال تتناول أموراً جزئية وتصدر عن آراء جزئية، وذلك لأن الكلى من حيث هو كلى ليس يختص بهذا دون ذلك. ولنؤخر شرح هذا معوكين على ما يأتيك فى الصناعة الحكيمة فى آخر الفنون.

فتكون للإنسان إذن قوة تختص بالآراء الكلية، وقوة أخرى تختص بالروية فى الأمور الجزئية، فيما ينبغى أن يفعل ويترك مما ينفع ويضر، وفيما هو جميل وقبيح وخير وشر، ويكون ذلك بضرب من القياس والتأمل صحيح أو سقيم غايته أنه يوقع رأيا فى أمر جزئى مستقبلي من الأمور الممكنة، لأن الواجبات والممتنعات لا يروى فيها لتوجد أو تعدم، وما مضى أيضا لا يروى فى إيجادها على أنه ماض. وإذا حكمت هذه القوة تتبع^١ حكمها حركة القوة الإجماعية إلى تحريك البدن، كما كانت

١- تبع حكمها، نسخة. هذه القوة، أى القوة العملية.

تتبع احكام قوى أخرى فى الحيوانات ، وتكون هذه القوة استمدادها من القوة التى على الكليات ، فمن هناك تأخذ المقدمات الكبرى فيما تروى وتنتج فى الجزئيات .

فالقوة الأولى للنفس الإنسانية قوة تنسب إلى النظر فيقال عقل نظرى ؛ وهذه الثانية قوة تنسب إلى العمل فيقال عقل عملى ؛ وتلك للصدق والكذب وهذه للخير والشر فى الجزئيات ، وتلك للواجب والممتنع والممكن وهذه للقبيح والجميل والمباح ، ومبادئ تلك من

١- فى تعليقه نسخة : واطلاق العقل على القوتين بالاشتراك اللفظى لاختلافهما من حيث ان الاولى مبدا الافعال والثانية مصدر الفعل او بطريق التشابه الاسمى لاشتراكهما فى كونهما قوى النفس . ولما انقسم الادراك الى قسمين ادراك بامور لاتعلق بالعمل وادراك بأراء متعلقة بالعمل لاجرم انقسم العقل النظرى الى قوتين او الى وجهين : قوة ادراك الامور التى لاتعلق بالعمل كالعلم بالسما والارض ومبنى الحكمة النظرية على هذه القوة . وقوة ادراك الآراء التى تتعلق بالعمل كالعلم بان العدل حسن والظلم قبيح ومبنى الحكمة العملية على هذه القوة لان مرجعهما العلم . واما العقل العملى فانما يصدر عنه الافعال بحسب استنباطه مايجب ان يفعل من رأى كلئى مستنبط من مقدمات كلية . ولما كان ادراك الكلئى واستنباطه من المقدمات الكلية انما هو للعقل النظرى فهو مستعين فى ذلك بالعقل النظرى اذ العمل لايتأتى بدون العلم مثلاً لها مقدمة كلية وهى ان كل حسن ينبغى ان يؤتى به وقد استخرجنا منه ان الصدق ينبغى ان يؤتى به لان الصدق حسن وكل حسن ينبغى ان يؤتى به ينتج ان الصدق ينبغى ان يؤتى به وهذا رأى كلئى ادركها العقل النظرى . ثم ان العقل العملى لما اراد ان يوقع صدقاً جزئياً فهو انما يفعل بواسطة استخراج ذلك الجزئى من الرأى الكلئى كأنه يقول هذا صدق وكل صدق ينبغى ان يؤتى به فهذا الصدق ينبغى ان يؤتى به وهذا رأى جزئى ادركها العقل النظرى ايضاً لكن العقل العملى انما يفعل هذا الصدق للعلم بذلك الجزئى فالعقل العملى بل النفس انما يصدر منه الافعال لآراء جزئية تنبعث من آراء كلية عندها مستنبطة من مقدمات بديهية او مشهورية او تجريبية .

المقدمات الأولية ومبادئ هذه من المشهورات والمقبولات والمظنونات والتجربيات الواهية التى تكون من المظنونات غير التجربيات الوثيقة .

ولكل واحدة من هاتين القوتين رأى وظن ، فالرأى هو الاعتقاد المجزوم به ، والظن هو الاعتقاد المميل إليه منع تجويز الطرف الثانى . وليس كل من ظن فقد اعتقد ، كما ليس كل من أحس فقد عقل ، أو من تخيل فقد ظن أو اعتقد أو رأى ، فيكون فى الإنسان حاكم حسى وحاكم من باب التخيل وهمى وحاكم نظرى وحاكم عملى ، وتكون المبادئ الباعثة لقوته الإجتماعية على تحريك الاعضاء وهم خيالى وعقل عملى وشهوة وغضب ، وتكون للحيوانات الأخرى ثلاثة من هذه .

والعقل العملى محتاج فى أفعاله كلها إلى البدن وإلى القوى البدنية . وأما العقل النظرى فإن له حاجة مآ إلى البدن وإلى قواه لكن لادائما ومن كل وجه ، بل قد يستغنى بذاته .

وليس لا واحد منهما هو النفس الإنسانية ، بل النفس هو الشئ الذى له هذه القوى . وهو كما تبين جوهر منفرد وله استعداد نحو أفعال بعضها لا يتم إلا بالآلات وبالإقبال عليها بالكلية ، وبعضها يحتاج فيه إلى الآلات حاجة مآ ، وبعضها لا يحتاج إليها البتة . وهذا كله سنشرحه بعد .

فجوهر النفس الإنسانية مستعد لأن يستكمل نوعا من الاستكمال بذاته وبما فوقه ولا يحتاج فيه إلى مادونه ، وهذا الاستعداد له هو بالشئ الذى يسمى العقل النظرى ؛ ومستعد لأن يتحرز عن آفات تعرض له من المشاركة ، كما سنشرحه فى موضعه .

وأن يتصرف فى المشاركة تصرفا على الوجه الذى يليق به . وهذا الاستعداد له بقوة تسمى العقل العملى ، وهى رئيسة القوى التى له إلى

جهة البدن . وأما ما دون ذلك فهى قوى تنبعث عنه لاستعداد البدن لقبولها ولنفعته .

والأخلاق تكون للنفس من جهة هذه القوة كما قد أشرنا إليه فيما سلف . ولكل واحد من القوتين استعداد وكمال ، فالاستعداد الصرف من كل واحدة منهما يسمى عقلا هيولانيا سواء أخذ نظريا أو عمليا . ثم بعد ذلك إنما يعرض لكل واحدة منهما أن تحصل لها المبادئ التى بها تكمل أفعالها ، إما للعقل النظرى فالمقدمات الأولية وما يجرى معها ، وإما للعملى فالمقدمات المشهورة وهينات أخرى . فحينئذ يكون كل واحد منهما عقلا بالملكة ، ثم يحصل لكل واحد منهما الكمال المكتسب . وقد كنا شرحنا هذا من قبل^١ ، فيجب أول كل شئ أن نبين أن هذه النفس المستعدة لقبول المعقولات بالعقل الهيولانى ليس بجسم ولا قائم صورة فى جسم .

الفصل الثانى

فى اثبات ان قوام النفس الناطقة غير منطبع فى مادة جسمانية^١

إن مما لاشك فيه أن الإنسان فيه شيء^٢ وجوهر ما يتلقى المعقولات بالقبول .

[البرهان الاول على تجرد النفس الناطقة]

فنقول : إن الجوهر الذى هو محل المعقولات ليس بجسم ولا هو قائم بجسم على أنه قوة فيه أو صورة له بوجه . فإنه إن كان محل المعقولات جسما أو مقدارا من المقادير ، فلما أن تكون الصورة المعقولة تحل منه شيئا وحدانيا غير منقسم ، أو تكون إنما تحل منه شيئا منقسما . والشيء الذى لا ينقسم من الجسم هو طرف نقطى^٣ لا محالة .

١- روز سه شنبه هشتم ذى القعدة سنة ١٣٨٠هـ . ق = ١/٢٩ / ١٣٤٠هـ . ش بود که در تهران در محضر مبارك علامه ذوالفنون معلّم عصر آية الله العظمى جناب حاج ميرزا ابوالحسن شعرانى - روحى فداه - اين بنده حسن حسن زاده آملی به تنهائى در محضر شريفش اين فصل را تدرّس می کرد چنانکه همه درس شفاء را به تنهائى از وی آموختم .
٢- راجع الفصل ٣ من المقالة الاولى من هذا الفن . و ص ٦٣ ج ٤ ط ١ = ص ٢٥٦ ج ٨ ط ٢ من الاسفار .

ولنمتحن أولاً أنه هل يمكن أن يكون محلها طرفاً غير منقسم، فنقول إن هذا محال، وذلك لأن النقطة^١ هى نهاية ما لا تميز لها عن الخط فى

١- قال الرازى فى المباحث ج ٢ ص ٣٦٠ : «سلمنا أنه ليس للنقطة امتياز عن المقدار الذى هى نهايته لكن لم قلتم أنه لا يحلّ فيها الاطراف ما يكون حالاً فى ذلك المقدار وما البرهان على ذلك؟ فانه ليس ذلك من الاوليات. ثم انّ ذلك منقوض بالالوان فانها لا توجد عندهم الا فى السطوح ولا حصول لها بالفعل فى اعماق الاجسام وكذلك النور والضوء لا يوجدان الا فى السطوح وكذلك المماسه والملاقاة لا تحصل الا فى النهايات وكذلك الملاسة والخشونة لا تحصل الا فى السطوح فبطل قولكم ان النهايات لا يحلّ فيها النهايات ما هى حالة فى المقادير».

وفى تعليقه نسخة : اقول : يمكن ان يقال ان النقطة عدمية مطلقاً وليست لها جهة وجودية حتى يصلح للمحلية. اما السطح والخط فليسا عدميين على الاطلاق لانهما من حيث انهما نهايتان يكونان عدميين ولكن لهما جهة غير الانتهاء وهى كون السطح ذا امتدادين والخط ذا امتداد واحد فيكونان من هذه الجهة وجوديين. فالخط والسطح يمكن ان يكونا محلّين.

واعلم ان بعض الاعراض والحوادث لا يحتاج حدوثه الى الفعل والانفعال فى محله بل استعداد المحل له هو محض المقابلة وكونه سطحاً مثلاً كالاضواء والالوان. والالوان عند المحققين لا تكون غير الاضواء والتماس والتلاقى والصورة المعقولة حدوثها فى القوة المدركة ليست من هذا القبيل فاذا كان محلها ما هو طرف الجسم فلا بد من الفعل والانفعال فى محله حتى يستعد والايجاب ان يكون حصول الصورة فيها إما دائماً او ممتنع الحصول فيها والنقطة مادامت نقطة وتكون متصلة لا تكون قابلة لتحقيق الفعل والانفعال فيها الا بتحقيق الفعل والانفعال فى الشيء الذى هو طرفه فالمحل حينئذ يكون ذلك الشيء بالذات لا بالنقطة، نعم لو تميزت النقطة عن ذى الطرف فيكون منفصلة عنه ومعلوم انها حينئذ لا تكون نقطة بل يكون جسماً من الاجسام يصح ان يحل فيها الصورة بعد الاستعداد ويلزم على حلولها فيها ما يلزم على حلولها فى الجسم.

قال الرازى فى المباحث ج ٢ ص ٣٦٠ : «النقطة مما لا يعقل لها حصول المزاج لها حتى يختلف حال استعدادها فى القابلية وعدم القابلية بل ان كانت قابلة للصور العقلية وجب ان يكون ذلك القبول حاصللاً لها ابداً فلو كان القبول حاصللاً ابداً لكان القبول

الوضع أو عن المقدار الذى هو متته إليها^١ تميزا يكون له النقطة شيئا يستقر فيه شيء^٢ من غير أن يكون فى شيء من ذلك المقدار ، بل كما أن النقطة لاتنفرد بذاتها وإنما هى طرف ذاتي لما هو بالذات مقدار كذلك إنما يجوز أن يقال بوجه ما أنه يحل فيها طرف شيء حال فى المقدار الذى هى طرفه .

فهو متقدر بذلك المقدار بالعرض ، وكما أنه يتقدر به بالعرض كذلك يتناهى بالعرض مع النقطة ، فتكون نهاية بالعرض مع نهاية بالذات ، كما يكون امتداد بالعرض مع امتداد بالذات .

ولو كانت النقطة منفردة تقبل شيئا من الأشياء لكان يتميز لها ذات . فكانت النقطة إذن ذات جهتين : جهة منها تلى الخط الذى تميزت عنه ، وجهة منها مخالفة له مقابلة فتكون حينئذ منفصلة عن الخط بقوامها . وللخط المنفصل عنها نهاية ولا محالة غيرها تلاقيها ؛ فتكون تلك النقطة نهاية الخط لاهذه . والكلام فيها وفى هذه النقطة واحد ، ويؤدى هذا إلى أن تكون النقط متشافعة فى الخط إما متناهية وإما غير متناهية .

وهذا أمر قد بان لنا فى مواضع أخرى استحالته ، فقد بان أن النقط لا يتركب بتشافعها جسم ، وبان أيضا أن النقطة لا يتميز لها وضع خاص .

→
حاصلاً ابداً لما علمت أن المبادئ المفارقة عامة الفيض فلا يتخصّص فيضها الا لاختلاف القوابل فلو كان القابل تام الاستعداد لكان المقبول واجب الحصول ولو كان كذلك لكان جميع الاجسام ذوات النقط تكون عاقلة فوجب ان يبقى البدن بعد موته عاقلاً للمعقولات لبقاء محل الصور العقلية على استعدادها التام ولما لم يكن كذلك بطل هذا القسم^٣ .

١- فى تعليقة نسخة : سواء كان خطأ أو غير خط كالخرط .

٢- أى الصورة المعقولة فى المقام .

ولابأس بان نشير إلى طرف منها فنقول : إن النقطتين اللتين تليان نقطة واحدة من جنبتيها حيثئذ : إما أن تكون النقطة المتوسطة تحجز بينهما فلا تتماسان ، فيلزم حيثئذ أن تنقسم الواسطة على الاصول التى قد علمت ، وهذا محال . وإما أن تكون الوسطى لا تحجز المكتفتين عن التماس^١ فحيثئذ تكون الصور المعقولة حالة فى جميع النقط وجميع النقط كنقطة واحدة . وقد وضعنا هذه النقطة الواحدة منفصلة عن الخط ، فللخط من جهة ما ينفصل عنها طرف غيرها به ينفصل عنها ، فتكون تلك النقطة مبانة لهذه فى الوضع . وقد وضعت النقط كلها مشتركة فى الوضع وهذا محال^٢ .

فقد بطل إذن أن يكون محل المعقولات من الجسم شيئاً غير منقسم ، فبقى أن يكون محلها من الجسم - إن كان محلها فى الجسم - منقسماً .
فلنفرض صورة معقولة فى شيء منقسم ، فإذا فرضنا فى الشيء المنقسم أقساماً عرض للصورة أن تنقسم ، فحيثئذ لا يخلو إما أن يكون الجزءان متشابهين أو غير متشابهين :

فإن كانا متشابهين فكيف يجتمع منهما ما ليس بهما ، إذ الكل من حيث هو كل ليس هو الجزء ، إلا أن يكون ذلك الكل شيئاً يحصل منهما من جهة الزيادة فى المقدار أو الزيادة فى العدد لا من جهة الصورة ، فحيثئذ تكون الصورة المعقولة شكلاً أو عدداً ما ، وليس كل صورة معقولة بشكل أو عدد ، وتصير حيثئذ الصورة خيالية لا معقولة ، وأنت تعلم أنه

١- قوله : «عن التماس» فتدخل النقاط فلا يحصل منها خط إذ لا يحصل امتداد على هذا الفرض قطعاً وايضاً تكون الصورة المعقولة حالة فى جميع النقط . ولقد اسقط اللازم من التشافع وأقام المطلوب مقامه فان ابطال التشافع مقصود بالعرض .

٢- فهذا خلف ، نسخة .

ليس يمكن أن يقال، إن كل واحد من الجزئين هو بعينه الكل، كيف والثانى داخل فى معنى الكل وخارج عن معنى الجزء الآخر. فمن البين الواضح أن الواحد منهما وَحْدَه ليس يدل على نفس معنى التمام^١. وإن كانا غير متشابهين، فليُنظر كيف يمكن أن يكون ذلك، وكيف يمكن أن تكون للصورة المعقولة اجزاء غير متشابهة. فإنه ليس يمكن أن تكون الاجزاء غير المتشابهة إلا اجزاء الحد التى هى الاجناس والفصول، وتلزم عنها^٢ محالات:

منها أن كل جزء من الجسم يقبل القسمة أيضا فى القوة قبولا غير متناه، فيجب أن تكون الاجناس والفصول فى القوة غير متناهية وهذا محال. و^٣ قد صرح أن الاجناس والفصول الذاتية للشيء الواحد ليست فى القوة غير متناهية، ولانه ليس يمكن أن يكون فيه توهم القسمة يفرز الجنس والفصل، بل مما لانشك فيه أنه إذا كان هناك جنس وفصل يستحقان تميزا فى المحل أن ذلك التميز لا يتوقف إلى توهم القسمة، فيجب أن تكون الاجناس والفصول بالفعل أيضا غير متناهية. وقد صرح أن الاجناس والفصول وأجزاء الحد للشيء الواحد متناهية من كل وجه. ولو كانت الاجناس والفصول يجوز لها أن تكون غير متناهية بالفعل، لَمَا كان يجوز أن تجتمع فى الجسم اجتماعا على هذه الصورة^٤، فإن ذلك يوجب أن يكون الجسم الواحد انفصل بأجزاء غير متناهية بالفعل.

١- فى تعليقة نسخة: أى معنى التمام من الكل.

٢- من هذا، نسخة.

٣- حالية.

٤- فى تعليقة نسخة: أى على الصورة الغير المتناهية.

وايضا ولتكن القسمة مما قد وقع من جهة، فافرز^١ من جانب جنسا ومن جانب فصلا. فلو غيرنا القسمة لم يخل إما ان يقع بها^٢ فى كل جانب نصف جنس ونصف فصل أو يوجب انتقال الجنس والفصل إلى القسمين، فيميل الجنس والفصل كل إلى قسم من القسمة، فيكون فرضنا الوهمى أو قسمتنا الفرضية تدور بمكان الجنس والفصل، وكان يجز^٣ كل واحد منهما إلى جهة ما بحسب إرادة مريد من خارج فيه. على أن ذلك أيضا لا يغنى، فإنه يمكننا أن نوقع قسما فى قسم.

وايضا ليس كل معقول يمكن أن ينقسم إلى معقولات أبسط منه، فإن هاهنا معقولات هى أبسط المعقولات، وهى مبادئ للتركيب فى سائر المعقولات، وليس لها أجناس ولا فصول، ولا هى منقسمة فى الكم، ولا هى منقسمة فى المعنى. فإذا لم يمكن أن تكون الاجزاء المفروضة متشابهة كل واحد منها هو فى معنى الكل، وإنما يحصل الكل بالاجتماع فقط، ولا أيضا يمكن أن تكون غير متشابهة فليس يجب^٤ أن تنقسم الصورة المعقولة.

وإذا لم يمكن أن تنقسم الصورة المعقولة ولا أن تحل طرفا من المقادير غير منقسم ولا بد لها من قابل فينا، فلا بد من أن نحكم أن محل المعقولات جوهر ليس بجسم، ولا أيضا متلقيا منا قوة فى جسم، فإنها يلحقها ما يلحق الجسم من الانقسام ثم يتبعه سائر المحالات، بل متلقى

١- من جهة فافرزت، نسخة. أى القسمة افرزت، والمآل واحد.

٢- منها، نسخة.

٣- تخير، نسخة.

٤- فليس يمكن أن ...، خ ل.

الصورة المعقولة منا غير جسماني .
ولنا أن نبرهن على هذا ببرهان آخر .

[البرهان الثاني على تجرد النفس الناطقة]

فنقول : إن القوة العقلية هُوَ ذا تجرد المعقولات عن الكم المحدود والأيّن والوضع وسائر ما قيل من قبل ، فيجب أن ننظر في ذات هذه الصورة المجردة عن الوضع كيف هي مجردة عنه أبا لقياس إلى الشيء الماخوذ منه أو بالقياس إلى الشيء الآخذ ، أعني أن وجود هذه الحقيقة المعقولة المتجردة عن الوضع هل هو في الوجود الخارجي أو في الوجود المتصور في الجوهر العاقل .

ومحال أن نقول : إنها كذلك في الوجود الخارجي ، فبقي أن نقول : إنها إنما هي مفارقة للوضع والأيّن عند وجودها في العقل . فإذا وجدت في العقل لم تكن ذات وضع وبحيث تقع إليها إشارة أو تجزؤا انقسام أو شيء مما أشبه هذا المعنى ، فلا يمكن أن تكون في جسم .

[البرهان الثالث على تجرد النفس الناطقة]

وأيضا إذا انطبعت الصورة الأحادية الغير المنقسمة^١ التي هي لأشياء غير منقسمة في المعنى في مادة منقسمة ذات جهات ، فلا يخلو إما أن لا تكون ولا لشيء من أجزائها التي تفرض فيها بحسب جهاتها نسبة^٢ إلى الشيء المعقول الواحد الذات الغير المنقسم المجرد عن المادة ، أو تكون

١- في تعليقة نسخة : كصورة الوحدة والنقطة والجوهر الذي هو جنس عال .

٢- اسم لا تكون .

لكل واحد من أجزائها التى تفرض نسبة، أو تكون لبعض دون بعض .
فان لم تكن ولا لشيء منها فلا لكلها، فان ما يجتمع عن مباينات
مباين .

وان كان لبعضها دون بعض فالبعض الذى لانسبة له ليس هو من معناه
فى شيء .

وان كان لكل جزء يفرض نسبة ما، فيما أن يكون لكل جزء يفرض فيه
نسبة إلى الذات^١ كما هى أو إلى جزء من الذات، فإن كان لكل جزء
يفرض نسبة إلى الذات كما هى فليست الأجزاء إذن أجزاء معنى
المعقول، بل كل واحد منها معقول فى نفسه مفردا؛ وإن كان كل جزء له
نسبة غير نسبة الجزء الآخر إلى الذات، فمعلوم أن الذات منقسمة فى
المعقول^٢ وقد وضعناها غير منقسمة، هذا خلف .

فان كان نسبة كل واحد إلى شيء من الذات غير ما إليه نسبة الآخر،
فانقسام الذات أظهر .

ومن هذا تبين أن الصور المنطبعة فى المادة الجسمانية لا تكون إلا أشباهاً
لأمور جزئية منقسمة، ولكل جزء منها نسبة بالفعل أو بالقوة إلى جزء
منه .

[البرهان الرابع على تجرد النفس الناطقة]

وأيضاً فإن الشيء المتكثر فى أجزاء الحد، له من جهة التمام

١- أى تمام الذات .

٢- فى تعليقه نسخة : لأن النسبة إلى الشيء الواحد البسيط الغير المنقسم لا تكون مختلفة
إلا أن يكون ذلك الشيء مختلفاً .

وحدة مّا لاتنقسم . فليتنظر أن ذلك الوجود الوجداني ، من حيث هو واحداً ، كيف يرتسم فى المنقسم ويكون الكلام فيها وفيما لاينقسم بالحد واحداً .

[البرهان الخامس على تجرد النفس الناطقة]

وأيضاً فإنه قد صح لنا أن المعقولات المفروضة التى من شأن القوة الناطقة أن تعقل بالفعل واحداً واحداً منها غير متناهية بالقوة . وقد صح لنا أن الشيء الذى يقوى على أمور غير متناهية بالقوة لايجوز أن يكون جسماً ولاقوة فى جسم ، قد برهن على هذا فى الفنون الماضية . فلا يجوز إذن أن تكون الذات المتصورة للمعقولات قائمة فى جسم البتة ، ولافعلها كائن فى جسم ولابجسم .

وليس لقائل أن يقول : كذلك المتخيلات ، فذلك خطأ ، فإنه ليس للقوة الحيوانية أن تتخيل أى شىء اتفق مما لانهاية له فى أى وقت كان ما لم يقرن بها تصريف القوة الناطقة .

ولا لقائل أن يقول : إن هذه القوة أى العقلية قابلة لفاعلة ، وانتم إنما أثبتتم تنهى القوة الفاعلة ، والناس لايشكّون فى جواز وجود قوة قابلة غير متناهية كما للهوىلى . فنقول : إنك تعلم أن قبول النفس الناطقة فى كثير من أشياء لانهاية لها قبول بعد تصرف فعلى .

[البرهان السادس على تجرد النفس الناطقة]

ولنستشهد أيضاً على ما بيناه بالكلام الناظر فى جوهر النفس الناطقة وفى أخص فعل له بدلائل من أحوال أفعال أخرى له مناسبة

لما ذكرناه .

فنقول : إن القوة العقلية لو كانت تعقل بالآلة الجسدانية حتى يكون فعلها الخاص إنما يستتم^١ باستعمال تلك الآلة الجسدانية ، لكان يجب أن لاتعقل ذاتها وأن لاتعقل الآلة وأن لاتعقل أنها عقلت ، فإنه ليس بينها وبين ذاتها آلة ، وليس لها بينها وبين آلتها آلة ، وليس لها بينها وبين أنها عقلت آلة ، لكنها تعقل ذاتها وآلتها التى تدعى لها وأنها عقلت^٢ فإذا تعقل بذاتها لا بالآلة .

بل قد نحقق فنقول : لا يخلو إما أن يكون تعقلها آلتها لوجود ذات صورة آلتها تلك ، أو لوجود صورة أخرى مخالفة لها بالعدد ، وهى أيضا فيها وفى آلتها ، أو لوجود صورة أخرى غير صورة آلتها تلك بالنوع ، وهى فيها وفى آلتها .

فإن كان لوجود صورة^٣ آلتها فصورة آلتها فى آلتها^٤ و فيها بالشركة دائما . فيجب أن تعقل آلتها دائما ، إذ كانت إنما تعقلها لوصول

١- وفى نسختين من الشفاء عندنا «انما يستقيم» مكان «انما يستتم» . وفى النجاة : «انما يتم» .

٢- أى تعقل أنها عقلت .

٣- أى ذات صورة آلتها .

٤- فى تعليقه نسخة : قوله : «فصورة آلتها فى آلتها وفيها بالشركة» يعنى ان صورة آلتها قائمة فى مادة آلتها فيكون فى آلتها . وكذلك تكون فيها أى فى القوة العاقلة أيضاً لأن المفروض ان القوة العاقلة حالة فى مادة آلتها . فهى -اعنى صورة الآلة- كما تكون حاضرة لمادة الآلة تكون حاضرة للقوة العاقلة أيضاً فيجب ان تكون عاقلة لصورة الآلة دائما . وقوله : «بالشركة» معناه ان صورة الآلة صورة واحدة موجودة لكليهما لا ان تكون الموجودة للعاقلة صورة أخرى مخالفة للموجود للآلة بالوجود او بالماهية فتدبر لتفهم معنى قوله «وفى آلتها» فى العبارتين السابقتين أيضاً . ملا عبد الرزاق .

الصورة إليها^١.

وإن كان لوجود صورة لآلتها غير تلك الصورة بالعدد فذلك باطل .
 أما أولاً^٢ فلان المغايرة بين أشياء تدخل في حد واحد، إما لاختلاف
 المواد والأحوال والأعراض، وإما لاختلاف ما بين الكلى والجزئى والمجرد
 عن المادة والموجود فى المادة، وليس هاهنا اختلاف مواد وأعراض، فإن
 المادة واحدة والأعراض لموجودة واحدة؛ وليس هاهنا اختلاف التجريد
 والوجود فى المادة، فإن كليهما فى المادة؛ وليس هاهنا اختلاف
 الخصوص والعموم لأن إحداهما إن استفادت جزئية فإنما تستفيد الجزئية
 بسبب المادة الجزئية والواحق التى تلحقها من جهة المادة التى فيها . وهذا
 المعنى لا يختص بإحداهما دون الأخرى، ولا يلزم هذا على إدراك النفس
 ذاتها، فإنها تدرك دائماً ذاتها وإن كانت قد تدركها فى الأغلب مقارنة
 للأجسام التى هى معها على ما بيناه .

وانت تعلم أنه لا يجوز أن يكون لوجود صورة أخرى غير صورة
 آلتها^٣، فإن هذا أشد استحالة، لأن الصورة المعقولة إذا حلت
 الجوهر العاقل جعلته عاقلاً لما تلك الصورة صورته أو لما تلك الصورة
 مضافة إليه، فتكون صورة المضاف داخلة فى هذه الصورة، وهذه الصورة
 المعقولة ليست صورة هذه الآلة ولا صورة شئ مضاف إليها بالذات،

١- أى انما تعقل القوة العقلية الآلة لوصول صورة الآلة الى تلك القوة العقلية، والفرض
 ان تلك الصورة حاصلة للعقلية لان القوة العقلية منطبعة فى تلك المادة الجسدية
 بالفرض .

٢- قوله: «أما أولاً» هكذا فى جميع النسخ من الشفاء عندنا . ولكنه لم يأت بما يكون هو
 ثانياً .

٣- أى غيرها بالنوع .

لأن ذات هذه الآلة جوهر ونحن إنما نجد^١ ونعتبر صورة ذاته، والجوهر في ذاته غير مضاف البتة.

فهذا برهان واضح على أنه لا يجوز أن يدرك المدرك بالآلة آتته في الإدراك. ولهذا فإن الحس إنما يُحس شيئاً خارجاً ولا يحس ذاته، ولا آتته ولا إحساسه. وكذلك الخيال لا يتخيل ذاته ولا فعله البتة^٢، بل إن تخيل آتته تخيلها لا على نحو يخصه وإنما لا محالة له دون غيره، إلا أن يكون الحس يورد عليه صورة آتته لو أمكن، فيكون حينئذٍ إنما يحكى خيالاً مأخوذاً من الحس غير مضاف عنده إلى شيء حتى لو لم يكن هو آتته لم يتخيله.

[البرهان السابع على تجرد النفس الناطقة]

وأيضاً مما يشهد لنا بهذا^٣ ويُقنع فيه أن القوى الدراك بالآلات يعرض لها من إدامة العمل أن تكل، لأجل أن الآلات تُكلها إدامة الحركة وتفسد مزاجها الذي هو جوهرها وطبيعتها، والأمور القوية الشاقة الإدراك تُوهنها، وربما أفسدتها ولا تُدرك عقيبها الاضعف منها لانغماسها في الانفعال عن الشاق، كالحال في الحس فإن المحسوسات الشاقة والمتكررة تُضعفه وربما أفسدته كالضوء للبصر والرعد الشديد للسمع، ولا يقوى

١- ناخذ، نسخة.

٢- قوله: «ولافعله البتة»، أقول: هكذا جاءت العبارة في عدة نسخ أخرى مخطوطة من الشفاء أيضاً. ولكن العبارة حرّفت وأصلها هكذا: «ولافعله ولا آتته بل إن تخيل الخ» كما في النجاة، على أن سياق العبارة ينادى بذلك أيضاً.

٣- أي يكون النفس غير جسمانية.

الحس عند إدراك القوى على إدراك الضعيف، فإنّ المبصر ضوءاً عظيماً لا يبصر معه ولا عقيقه نوراً ضعيفاً، والسامع صوتاً عظيماً لا يسمع معه ولا عقيقه صوتاً ضعيفاً، ومن ذاق الحلاوة الشديدة لا يُحسّ بعدها بالضعيفة. والأمر في القوة العقلية بالعكس، فإنّ إدامتها للعقل وتصورها للأمور التي هي أقوى تُكسبها قوةً وسهولةً قبولٍ لما بعدها مما هو أضعف منها؛ فإنّ عرض لها في بعض الأوقات ملال أو كلال فذلك لاستعانة العقل بالخيال المستعمل للآلة التي تكلّ فلا تخدم العقل، ولو كان لغير هذا لكان يقع دائماً وفي الأكثر^١ والأمر بالضد.

[البرهان الثامن على تجرد النفس الناطقة]

وأيضاً فإن أجزاء البدن كلها تأخذ في الضعف من قواها بعد منتهى النشوء والوقوف، وذلك دون الأربعين أو عند الأربعين. وهذه القوة المدركة للمعقولات إنما تقوى بعد ذلك في أكثر الأمر، ولو كانت من القوى البدنية لكان يجب دائماً في كل حال أن تضعف حينئذ. لكن ليس ذلك^٢ إلا في أحوال وموافاة عوائق دون جميع الأحوال، فليست هي إذن من القوة البدنية.

ومن هذه الأشياء تبين أن كل قوة تدرك بآلة فلا تدرك ذاتها ولا آلتها ولا إدراكها، ويضعفها تضاعف الفعل، ولا تُدرك الضعيف إثر القوى، والقوى يوهنها ويضعف فعلها عن ضعف آلات فعلها، والقوة العقلية بخلاف ذلك كله.

١- وفي أكثر الأمر، والأمر بالضد، نسخة.

٢- الضعف للقوة العقلية.

وأما الذى يتوهم^١ من أن النفس إذا كانت تنسئ معقولاتها ولا تفعل فعلها مع مرض البدن وعند الشيخوخة فلذلك لها بسبب أن فعلها لا يتم إلا بالبدن، فظن^٢ غير ضرورى ولا حق^٣، وذلك أنه قد يمكن ان يجتمع الامر ان جميعا، فتكون النفس لها فعل بذاتها إذا لم يعق عائق ولم يصرف عنه صارف، وأنها أيضا قد تترك فعلها الخاص مع حال يعرض للبدن فلا تفعل حيث شذ فعلها وتصرف عنه، ويستمر القولان من غير تناقض^٤. وإذا كان كذلك لم يكن إلى هذا الاعتراض التفات.

ولكننا نقول : ان جوهر النفس له فعلا : فعل له بالقياس إلى البدن، وهو السياسة. وفعل له بالقياس إلى ذاته وإلى مبادئه وهو الإدراك بالعقل؛ وهما متعاندان متمانعان، فإنه إذا اشتغل بأحدهما انصرف عن الآخر، ويصعب عليه الجمع بين الأمرين. وشواغله^٥ من جهة البدن الإحساس^٦ والتخيل والشهوات والغضب والخوف والغم والفرح والوجع.

وأنت تعلم هذا بانك إذا أخذت تفكر فى معقول تعطّل عليك كل شئ من هذه، إلا أن تغلب هى النفس وتفسرها رادة إياها إلى جهتها.

١- قوله : «وأما الذى يتوهم» أقول : هذا السؤال وجوابه يتضمن برهانا آخر على تجرد جوهر النفس الناطقة كما قد جعله الشيخ نفسه الحجة التاسعة من رسالته «الحجج العشر» على ذلك. وكذلك جعله أبو البركات فى «المعتبر» الحجة العاشرة. وصدر المثالبين فى «الاسفار». الحجة الحادية عشر. والحكيم السبزواري فى «اسرار الحكم» البرهان الحادى عشر أيضاً. وراجع فى تفصيل ذلك كتابنا عيون مسائل النفس.

٢- لان احدهما ذاتى والآخر عرضى.

٣- مبتدأ.

٤- خبر.

وأنت تعلم أن الحس يمنع النفس عن التعقل، فإن النفس إذا أكبّت على المحسوس شغلت عن المعقول من غير أن يكون أصاب آلة العقل أو ذاتها^١ آفة^٢ برجه؛ وتعلم أن السبب في ذلك هو اشتغال النفس بفعل دون فعل، فكَذلك الحال والسبب إذا عرض أن تعطلت^٣ أفعال العقل عند المرض.

ولو كانت الملكة العقلية المكتسبة قد بطلت وفسدت لأجل الآلة، لكان رجوع الآلة إلى حالها يحوج إلى اكتساب من الرأس^٤. وليس الأمر كذلك، فإنه قد تعود النفس إلى ملكتها وهيئتها عاقلة بجميع ماعقلته بحالها إذا عاد البدن إلى سلامته، فقد كان إذن ماكسبته موجودا معها بنوع ما إلا أنها كانت مشغولة عنه.

وليس اختلاف جهتي فعل النفس فقط يوجب في أفعالها التمانع، بل تكثر أفعال جهة واحدة قد يوجب ذلك بعينه. فإن الخوف يغفل عن الوجدع والشهوة تصدّ عن الغضب، والغضب يصرف عن الخوف، والسبب في جميع ذلك واحد وهو انصراف النفس بالكلية إلى أمر واحد.

فبين من هذا أنه ليس يجب إذا لم يفعل شيء فعله عند اشتغاله بشيء أن لا يكون فاعلاً فعله إلا عند وجود ذلك الشيء المشتغل به. ولنا أن نتوسع في بيان هذا الباب، إلا أن الإمعان في المطلوب بعد

١- أو ذاته، نسخة.

٢- فاعل أصاب.

٣- فاعل عرض.

٤- رأس، نسخة.

بلوغ الكفاية منسوب إلى التكلف لما لا يحتاج إليه .
 فقد ظهر من أصولنا التى قررنا أن النفس ليست منطبعة فى البدن ولا قائمة به ، فيجب أن يكون اختصاصها به على سبيل مقتضى هيئة^١ فيها جزئية جاذبة إلى الاشتغال بسياسة البدن الجزئى ، بعناية^٢ ذاتية مختصة به ، صارت النفس عليها كما وجدت مع وجود بدنها الخاص بهيئته ومزاجه .

١- كتصور كمال واستكمال .

٢- لعناية ، نسخة .

الفصل الثالث

يشتمل على مسألتين : إحداهما كيفية انتفاع النفس الإنسانية بالحواس ؛ والثانية إثبات حدوثها .

إن القوى الحيوانية تُعين النفس الناطقة فى أشياء منها : أن يورد الحس من جملتها عليها الجزئيات فتحصل لها من الجزئيات أمور أربعة : أحدها انتزاع الذهن الكليات المفردة^١ من الجزئيات على سبيل تجريد لمعانيها عن المادة وعلائق المادة ولواحقها ومراعاة المشترك فيه والمتباين به والذاتى وجوده والعرضى وجوده ، فتحدث للنفس من ذلك مبادئ التصور وذلك بمعاونة استعمال^٢ الخيال والوهم .

والثانى إيقاع النفس مناسبات بين هذه الكليات المفردة على مثل سلب أو إيجاب^٣ ، فما كان التأليف فيها بسلب أو إيجاب أولياً بينا بنفسه أخذَه ، وما كان ليس كذلك^٤ تركَه إلى مصادفة الواسطة^٥ .

١- فى تعلبقة نسخة : اى الكليات الخمس .

٢- استعماله للخيال والوهم ، نسخة . ولكن الظاهر : «استعمالها» .

٣- كمفهوم الفرد والزوج والحجر والشجر . والايجاب كمفهوم الانسان والناطق .

٤- كائبات جوهرية النفس وسلبها .

٥- اى البرهان .

والثالث تحصيل المقدمات التجريبية، وهو أن تجد بالحس محمولاً لازم الحكم لموضوع ما كان حكمه إيجاباً أو سلباً أو تالياً موجب الاتصال أو مسلوبه أو موجب العناد أو مسلوبه، وليس ذلك في بعض الأحيان دون بعض ولا على سبيل المساواة، بل دائماً وجوداً يسكن النفس إلى أن بين طبيعة هذا المحمول وهذا الموضوع هذه النسبة، وأن طبيعة هذا التالي تلزم هذا المقدم أو تنافيه لذاته لا بالاتفاق، فيكون ذلك اعتقاداً حاصلًا من حس وقياس كما هو مبين في الفنون المنطقية.

والرابع الأخبار التي يقع فيها التصديق لشدة التواتر.

فالنفس الإنسانية تستعين بالبدن لتحصيل هذه المبادئ للتصور والتصديق.

ثم إذا حَصَلَتْها رجعت إلى ذاتها، فإن تَعَرَّضَ لها شيء من القوى التي دونها شاغلة إياها بما يليها من الأحوال شغلتها عن فعلها فاضربت^١ عن فعلها، وإن لم تشغلها فلا تحتاج إليها بعد ذلك في خاص أفعالها إلا في أمور تحتاج فيها خاصة إلى أن تعاود القوى الخيالية مرة أخرى وذلك لاقتناص مبدأ غير الذي حصل أو معاونة بتمثيل الغرض في الخيال ليستحكم تمثله بمعونته في العقل، وهذا مما يقع في الابتداء ولا يقع بعده إلا قليلاً. فاما إذا استكملت النفس وقويت فإنها تنفرد بأفاعيلها على الإطلاق، وتكون القوى الحسية والخيالية وسائر القوى البدنية صارفة إياها عن فعلها، مثل أن الإنسان قد يحتاج إلى دابة وآلات ليتوصل بها إلى

١- مفعول مطلق لقوله: «تجد».

٢- أو اضرت بفعلها، نسخة.

مقصداً، فإذا وصل إليه ثم عرض من الأسباب ما يعوقه عن مفارقتها صار السبب الموصل بعينه عائقاً.

ونقول: ^١ إن الأنفس الإنسانية لم تكن ^٢ قائمة مفارقة للأبدان ثم حصلت في البدن ^٣، لأن الأنفس الإنسانية متفقة في النوع والمعنى، فإذا فرض أن لها وجوداً ليس حادثاً مع حدوث الأبدان، بل هو وجود مفرد، لم يجز أن تكون النفس في ذلك الوجود متكررة. وذلك لأن كثرة الأشياء إما أن تكون ^٤ من جهة الماهية والصورة، وإما أن تكون من جهة النسبة إلى العنصر والمادة المتكررة بما تتكرر به من الأمكنة التي تشتمل على كل مادة في جهة والازمنة التي تختص بكل واحد منها في حدوثه والعلل القاسمة إياها، وليست ^٥ متغايرة بالماهية والصورة، لأن صورتها

١- هذا شروع في اثبات أن النفس حادثة بحدوث البدن، بل حادثة مع حدوث البدن. قال صدر المتألهين في الأسفار (ص ٣٠٨ ج ١ ط ١ = ص ٤٣٨ ج ٣ ط جديد): «النفس الإنسانية عند الشيخ مجردة عن المادة في أول الفطرة». وقال في الأسفار (ص ١٢٥ ج ٤ ط ١ = ص ١١٢ ج ٩ ط جديد): «النفس الإنسانية عند الشيخ مجرد عقلي من أول الفطرة حين حدوثها في الشهر الرابع للجنين». وراجع آخر الفصل الرابع من المقالة التاسعة من الهيات الشفاء (ص ٢٦٩) في أن النفس تحدث بحدوث البدن، حيث يقول الشيخ: «وَمَا لَا نَشْكُ فِيهِ أَنْ هِيَ عَقْلٌ بَسِيطَةٌ». وراجع أيضاً ج ٢ من كتاب المباحث المشرقية للفخر ص ٣٨٢ في كيفية تعلق النفس بالبدن، وص ٣٨٩ منه في حدوث النفوس البشرية.

٢- في تعليقة نسخة: أي لم تكن مجردة موجودة قبل الأبدان ثم تعلق بالأبدان الحادثة التي تستعد لتعلقها.

٣- في الأبدان، نسخة.

٤- تكثر الأشياء، نسخة.

٥- في تعليقة نسخة: أي التكرر بحسب الأنواع المختلفة.

٦- في تعليقة نسخة: أي هذه المتكررات التي هي النفوس.

واحدة^١. فإذاً إنما تتغاير من جهة قابل الماهية أو المنسوب إليه الماهية بالاختصاص، وهذا هو البدن. وأما إذا أمكن أن تكون النفس موجودة ولا بدن، فليس يمكن أن تُغاير نفس^٢ نفساً بالعدد وهذا مطلق في كل شيء، فإن الأشياء التي ذواتها معان فقط وقد تكثرت نوعياتها بأشخاصها فإنما تكثرها بالحوامل والقوابل والمنفعلات عنها أو بنسبة ما إليها وإلى أزمتها فقط وإذا كانت مجردة أصلاً لم تتفرق بما قلنا. فمحال أن يكون بينها مغايرة وتكثر، فقد بطل أن تكون الأنفس قبل دخولها الأبدان متكررة الذات بالعدد.

وأقول: ولا يجوز أن تكون واحدة الذات بالعدد، لأنه إذا حصل بدنان حصل في البدنين نفسان.

فإما أن تكونا قسمي تلك النفس الواحدة، فيكون الشيء الواحد الذي ليس له عظمٌ وحجمٌ منقسماً بالقوة، وهذا ظاهر البطلان بالأصول المتقررة في الطبيعيات وغيرها.

وإما أن تكون النفس الواحدة بالعدد في بدنين، وهذا لا يحتاج أيضاً إلى كثير تكلف في إبطاله.

ونقول بعبارة أخرى: إن هذه الأنفس إنما تشخص نفساً واحدة من جملة نوعها بأحوال^٣ تلحقها ليست لازمة لها بما هي نفس، وإلا لاشتراك فيها جميعها. والأعراض اللاحقة تلحق عن ابتداء لامحالة زمانى لأنها تتبع سبباً عرض لبعضها دون بعض، فيكون تشخص الأنفس

١- لاشتراكها في الحد.

٢- أى بعوارض.

ايضا أمرا حادثا، فلا تكون قديمة لم تزل ويكون حدوثها مع بدن. فقد صح إذن أن الأنفس تحدث كما تحدث مادة بدنية صالحة لاستعمالها إياها، ويكون^١ البدن الحادث مملكتها وألتها، وتكون في جوهر النفس الحادثة مع بدن ما ذلك البدن استحق حدوثها من المبادئ الأولى هيئة نزاع طبيعي إلى الاشتغال به واستعماله والاهتمام بأحواله والانجذاب إليه تخصصها وتصرفها عن كل الأجسام غيره، فلا بد أنها إذا وجدت متشخصة فإن مبدأ تشخصها يلحق بها من الهيئات ما تتعين به شخصا وتلك الهيئة تكون مقتضية لاختصاصها بذلك البدن ومناسبة لصلوح أحدهما للآخر، وإن خفى علينا تلك الحالة وتلك المناسبة، وتكون مبادئ الاستكمال متوقعة لها بوساطته، ويكون هو بدنها.

ولكن لقائل أن يقول: إن هذه الشبهة تلزمكم في النفوس إذا فارقت الأبدان، فإنها إما أن تفسد ولا تقولون به، وإما أن تتحد وهو عين ما شنعتم به، وإما أن تبقى متكررة، وهي عندكم مفارقة للمواد، فكيف تكون متكررة.

فنقول: أما بعد مفارقة الأنفس للأبدان^٢، فإن الأنفس قد وجدت

١- فيكون، نسخة.

٢- قال في النجاة ص ٣٧٧: وأما بعد مفارقة البدن فإن الأنفس قد وجد كل واحد منها ذاتاً منفردة باختلاف موادها التي كانت وباختلاف أزمنة حدوثها واختلاف هيئاتها التي بحسب أبدانها المختلفة لامحالة.

وقال صدر المتألهين في الأسفار (ص ٨٩ ج ٤ ط ١ = ص ٣٧٣ ج ٨ ط جديد): «لو كانت النفوس قبل الأبدان متكررة لزم منه محالات قوية.

منها تعطيل النفوس مدة غير متناهية عن تصرفها في البدن وتدبيرها وقد علمت أن الإضافة النفسية ليست كإضافة الأبوة والبنوة العارضة وكإضافة الربان إلى السفينة

كل واحدة منها ذاتا منفردة باختلاف موادها التي كانت وباختلاف أزمنة حدوثها واختلاف هيئاتها التي لها بحسب أبدانها المختلفة لامحالة . فإننا نعلم يقينا أن موجد المعنى الكلّي شخصا مشاراً إليه لا يمكنه أن يوجد شخصاً أو^١ يزيد له معنى على نوعيته به يصير شخصاً من المعاني^٢ التي تلحقه عند حدوثه وتلزمه ، علّمناها أو لم نعلم .

ونحن نعلم أن النفس ليست واحدة في الأبدان كلها ، ولو كانت واحدة وكثيرة بالإضافة لكانت عالمة فيها كلها أو جاهلة ، ولما خفى على زيد ما في نفس عمرو ، لأن الواحد المضاف إلى كثيرين يجوز أن يختلف بحسب الإضافة . وأما الأمور الموجودة له في ذاته فلا يختلف فيها ، حتى إذا كان أب لأولاد كثيرين وهو شاب لم يكن شاباً إلا بحسب الكل ، إذ

→ وكإضافة رب الدار إلى الدار حتى يجوز أن يزول ويعود تلك الإضافة النفسية والشخص بحاله بل النفسية كالمادية والصورية وغيرها من الحقائق اللازمة الإضافات التي نحو وجودها الخاص مما لزمها الإضافة كالمبدئية والالهية لصانع العالم حيث ذاته بذاته موصوفة بها فالنفس مادام كونها نفساً لها وجود تعلقى ، فإذا استكملت في وجودها وصارت عقلاً مفارقاً تبدّل عليها نحو الوجود ويصير وجودها وجوداً آخر^١ وينقلب إلى أهله مسروراً فلو فرضت وجودها النفس قديماً لزم التعطيل بالضرورة والتعطيل محال .

ومنها لزوم كثرة في أفراد نوع واحد من غير مادة قابلة للانفعال ولا مميزات عرضية وهو محال .

ومنها وجود جهات غير متناهية بالفعل في المبدأ العقلي ينثلم بها وحدة المبدأ الأعلى . إلى غير ذلك من المحالات اللازمة على القول بلاتناهي النفوس المفارقة في الازل . وعلى القول بتناهي النفوس القديمة يلزم التناسخ^٢ .

١- في تعليقه نسخة : بمعنى الاى إلا أن يزيد له .

٢- اى العوارض المشخصة .

الشباب له فى نفسه فيدخل فى كل إضافة؛ وكذلك العلم والجهل والظن وما أشبه ذلك إنما تكون فى ذات النفس وتدخل مع النفس فى كل إضافة. فإذا لم تكن النفس واحدة، فهى كثيرة بالعدد، ونوعها واحد، وهى حادثة، كما بيناه.

فلا شك أنها بامر ما تشخصت وأن ذلك الأمر فى النفس الإنسانية ليس هو الانطباع فى المادة، فقد علم بطلان القول بذلك، بل ذلك الأمر هيئة من الهيئات^١، وقوة من القوى، وعرض من الأعراض الروحانية، أو جملة منها تشخصها باجتماعها وإن جهلناها.

وبعد أن تشخصت مفردة فلا يجوز أن تكون هى والنفس الأخرى بالعدد ذاتا واحدة، فقد أكثرنا القول فى امتناع هذا فى عدة مواضع.

لكننا نيقن أنه يجوز أن تكون النفس إذا حدثت مع حدوث مزاج ما أن تحدث لها هيئة معدة تُعدّها فى الأفعال النطقية والانفعالات النطقية تكون على جملة متميزة عن الهيئة الناطقة لها فى أخرى تُميز المزاجين فى البدنين وأن تكون الهيئة المكتسبة التى تسمى عقلا بالفعل أيضا على حد ما تتميز به عن نفس أخرى، وأنها يقع لها شعور بذاتها الجزئية، وذلك الشعور هيئة ما فيها أيضا خاصة ليست لغيرها. ويجوز أن تحدث فيها من جهة القوى البدنية هيئة خاصة أيضا، وتلك الهيئة تتعلق بالهيئات الخلقية، أو تكون هى هى، أو تكون أيضا خصوصيات أخرى تخفى علينا تلزم النفوس مع حدوثها وبعده، كما تلزم أمثالها أشخاص الأنواع الجسمانية فتتمايز بها ما بقيت، وتكون الأنفس كذلك تتميز بمخصصاتها

١- بل ذلك الأمر لها هيئة من الهيئات، نسخة.

فيها، كانت الأبدان أو لم تكن أبداناً، عرفنا تلك الاحوال أو لم نعرف أو عرفنا بعضها^١.

١- قال صدر المثاليين فى الاسفار (ص ٨٢ ج ١ ط ٤ = ص ٣٣٦ ج ٨ ط جديد) : السادس المعارضة وهى أن النفوس بعد المفارقة لا يكون تمايزها بالماهية ولوازمها وانما يكون بالعوارض لكن النفوس الهولانية التى لم يكتسب شيئاً من العوارض اذا فارقت الأبدان لا يكون فيها شيء من العوارض الامجرد ذاتها التى كانت قبل ذلك متعلقة بأبدان متغايرة فان كفى هذا القدر فى وقوع التمايز فكفى ايضاً كونها بحيث يحدث لها بعد ذلك التعلق بأبدان متميزة.

وليس لاحد ان يقول : ما قاله الشيخ جواباً عن ذلك من أنها وان لم تكتسب شيئاً من الكمالات إلا أن لكل منها شعوراً بهويته الخاصة وذلك الشعور غير حاصل للنفس الأخرى .

لانا نقول : شعور الشيء بذاته هو نفس ذاته على ما ثبت فى باب العلم فلو اختلفا فى الشعور بذاتيهما لكانا مختلفين بذاتيهما وذلك يبطل اصل الحجة .

وايضاً لو ثبت هذا القدر فى حصول الامتياز فلم لا يجوز ان يحصل الامتياز بهذا القدر قبل التعلق بالأبدان؟

الفصل الرابع

فى أن الأنفس الانسانية لا تفسد ولا تتناسخ^١

أما أن النفس لا تموت بموت البدن، فلأن كل شىء يفسد بفساد شىء آخر فهو متعلق به نوعا من التعلق، وكل متعلق بشىء نوعا من التعلق فإما أن يكون تعلقه به تعلق المتأخر عنه فى الوجود، أو تعلق المتقدم له فى الوجود الذى هو قبله فى الذات لأفى الزمان، أو تعلق المكافئ فى الوجود.

فإن كان تعلق النفس بالبدن تعلق المكافئ فى الوجود، وذلك أمر ذاتى له لا عارض، فكل واحد منهما مضاف الذات إلى صاحبه وليس لا النفس ولا البدن بجوهر، لكنهما جوهران وإن كان ذلك أمرا عرضيا لا ذاتيا. فإن فسد أحدهما، بطل العارض الآخر من الإضافة، ولم تفسد الذات بفساده من حيث هذا التعلق.

وإن كان تعلقها به تعلق المتأخر عنه فى الوجود، فالبدن علة النفس فى

١- راجع ص ١٩ ج ٤ ط ١ = ص ٨٥ ج ٨ ط ٢ من الاسفار، و ص ٣٩٨ ج ٢ من المباحث للفخر.

الوجود والعلل أربع : فإما أن يكون البدن علةً فاعلية للنفس معطية لها الوجود، وإما أن يكون علة قابلية لها بسبيل التركيب كالعناصر للأبدان أو بسبيل البساطة كالتحساس للصنم، وإما أن يكون علة صورية، وإما أن يكون علة كمالية^١.

ومحال أن يكون علة فاعلية، فإن الجسم بما هو جسم لا يفعل شيئاً، وإنما يفعل بقوة. ولو كان يفعل بذاته لابقوا، لكان كل جسم يفعل ذلك الفعل. ثم إن القوى الجسمانية كلها إما أعراض وإما صور مادية. ومحال أن تفيد الأعراض والصور القائمة بالمواد وجود ذات قائمة بنفسها لافى مادة ووجود جوهر مطلق.

ومحال أيضاً أن يكون علة قابلية، فقد برهنا وبيننا أن النفس ليست منطبعة فى البدن بوجه من الوجوه، فلا يكون البدن إذن متصوراً بصورة النفس لبحسب البساطة ولا بحسب التركيب بأن تكون أجزاء من أجزاء البدن تتركب^٢ وتمتزج تركيباً وامتزاجاً ما فتنتطبع فيها النفس.

ومحال أن يكون الجسم^٣ علة صورية للنفس أو كمالية، فإن الأولى أن يكون بالعكس. فإذا لم تكن النفس بالبدن تعلق معلول بعلة ذاتية.

وإن كان المزاج والبدن علةً بالعرض للنفس، فإنه إذا حدث مادة بدن تصلح أن تكون آلة للنفس ومملكة لها أحدثت العلل المفارقة للنفس الجزئية أو حدث عنها ذلك. فإن إحداثها بلا سبب يخصص^٤ إحداث واحدة

١- أى غائية.

٢- بأن تكون أجزاء البدن تتركب، نسخة.

٣- أن يكون البدن. نسخة.

٤- بلا سبب مخصص، نسخة.

دون واحدة محال .

ومع ذلك فإنه يمنع عن وقوع الكثرة فيها بالعدد، لما قد بيناه، ولأنه لا بد لكل كائن بعد ما لم يكن من أن تتقدمه مادة يكون فيها تهيو قبوله أو تهيو نسبه إليه، كما تبين في العلوم الأخرى، فإنه لو كان يجوز أيضا أن تكون نفس جزئية تحدث ولم تحدث لها آلة بها تستكمل وتفعل لكانت معطلة الوجود ولا شيء معطل في الطبيعة. وإذا كان ذلك ممتنعا فلا قدرة عليه، ولكن إذا حدث التهيو للنسبة والاستعداد للآلة يلزم حينئذ أن يحدث من العلل المفارقة شيء هو النفس وليس ذلك للنفس فقط بل كل ما يحدث بعد ما لم يكن من الصور وإنما يرجع وجوده عن لا وجوده استعداداً المادة له وصيرورتها خليفة به. وليس إذا وجب حدوث شيء عند حدوث شيء وجب أن يبطل مع بطلانه، إنما يكون ذلك إذا كانت ذات الشيء قائمة بذلك الشيء وفيه. وقد تحدث أمور عن أمور، وتبطل تلك الأمور، وتبقى تلك الأمور إذا كانت ذاتها غير قائمة فيها، وخصوصاً إذا كان مفيد الوجود لها شيء آخر غير الذي إنما تهياً إفادة وجودها مع وجوده. ومفيد وجود النفس هو غير جسم ولا هو قوة في جسم، بل هو لا محالة ذات قائمة بريثة عن المادة وعن المقادير. فإذا كان وجودها من ذلك الشيء ومن البدن يحصل وقت استحقاقها للوجود

١- في النفس، نسخة.

٢- فاعل يرجع.

٣- شيء مرفوع على أنه اسم كان، ومفيد الوجود منصوب على الخبرية، وفي غير واحدة

من النسخ: «إذا كان مفيد الوجود شيئاً آخر.»

٤- يتها، نسخة.

فقط فليس له تعلق في نفس الوجود بالبدن، ولا البدن علة له إلا بالعرض^١. فلا يجوز إذن أن يقال إن التعلق بينهما على نحو يوجب أن يكون الجسم متقدما تقدّم العلية على النفس.

وأما القسم الثالث مما ذكرنا في الابتداء وهو أن يكون تعلق النفس بالبدن^٢ تعلق المتقدم في الوجود، فلما أن يكون التقدم مع ذلك زمانيا فيستحيل أن يتعلق وجودها به فقد تقدمته في الزمان، وإما أن يكون التقدم بالذات لا بالزمان، وهذا النحو من التقدم هو أن تكون الذات المتقدمة في الوجود كما توجد يلزم أن تستفاد عنها ذات المتأخر في الوجود.

وحينئذ لا يوجد أيضا هذا المتقدم في الوجود إذا فرض التأخر قد عُد، لا أن فرض عدم التأخر أوجب عدم التقدم، ولكن لأن التأخر لا يجوز أن يكون عدم إلا وقد عرض أولاً للمتقدم في طبعه ما أعدمه، فحينئذ عُد التأخر، فليس فرض عدم التأخر موجب^٣ عدم المتقدم، ولكن فرض عدم المتقدم نفسه لأنه إنما يفرض^٤ التأخر معدوما بعد أن عرض للمتقدم أن عدم في نفسه.

وإذا كان كذلك فيجب أن يكون السبب المُعَدِم يعرض في جوهر النفس فيفسد معه البدن، وأن لا يكون البدن ألبتة يفسد بسبب يخصه. لكن فساد البدن يكون بسبب يخصه من تغير المزاج أو التركيب. فمحال

١- «فليس لها تعلق ... ولا البدن علة لها بالعرض» ظاهراً.

٢- بالجسم، نسخة.

٣- يوجب، نسخة.

٤- فرض، نسخة.

أن تكون النفس تتعلق بالبدن تعلق المتقدم بالذات، ثم يفسد البدن البتة بسبب في نفسه، فليس إذن بينهما هذا التعلق. وإذا كان الأمر على هذا، فقد بطلت أنحاء التعلق كلها وبقي أن لاتعلق للنفس في الوجود بالبدن، بل تعلقها في الوجود بالمبادئ الأخرى التي لاتستحيل ولا تبطل.

وأقول أيضاً: إن سببا آخر لا يُعَدُّ النفس^١ البتة، وذلك أن كل شيء من شأنه أن يفسد بسبب ما فيه قوة أن يفسد، وقبل الفساد فيه فعل أن يبقى، وتهيؤه للفساد ليس لفعله أنه يبقى، فإن معنى القوة مغاير لمعنى الفعل، وإضافة هذه القوة مغايرة لإضافة هذا الفعل، لأن إضافة ذلك إلى الفساد وإضافة هذا إلى البقاء. فإذاً لأمرين مختلفين ما يوجد في الشيء هذان المعنيان.

فنقول: إن الأشياء المركبة والأشياء البسيطة التي هي قائمة في المركبة يجوز أن يجتمع فيها فعل أن يبقى وقوة أن يفسد، وفي الأشياء البسيطة المفارقة الذات لايجوز أن يجتمع هذان الأمران.

وأقول بوجه مطلق: إنه لايجوز أن يجتمع في شيء أحدى الذات هذان المعنيان، وذلك لأن كل شيء يبقى وله قوة أن يفسد فله أيضاً قوة أن

١- قوله رضوان الله عليه: «وأقول أيضاً أن سبباً آخر لا يعدم»، أقول: كلامه دفع دخل مقدر وهو أن يقال إذا فسد البدن بفساد المزاج أو التركيب يمكن أن يكون فساد المزاج والتركيب بسبب فساد النفس من سبب آخر. ثم بفسادها فساد المزاج والبدن. فأجاب بقوله: «إن سبباً آخر لا يعدم النفس البتة...». ثم إن كلامه هذا من أن سبباً آخر لا يعدم النفس ناظر إلى كلام الفارابي في رسالته للوسومة بآيات المفارقات. ونحن شرحناها في الدرس ١٠٤ من رسالتنا في معرفة النفس.

يبقى ، لأن بقاءه ليس بواجب ضرورى . وإذا لم يكن واجبا كان ممكنا ، والإمكان الذى يتناول الطرفين هو طبيعة القوة ، فإذا كان يكون له فى جوهره قوة أن يبقى وفعل أن يبقى . وقد بان أن فعل أن يبقى منه لامحالة ليس هو قوة أن يبقى منه ، وهذا بين ، فيكون فعل أن يبقى منه أمراً يعرض للشيء الذى له قوة أن يبقى ، فتلك القوة لا تكون لذات ما بالفعل ، بل للشيء الذى يعرض لذاته أن تبقى بالفعل ، لا أنه حقيقة ذاته . فيلزم من هذا أن تكون ذاته مركبة من شيء إذا كان ، كانت به ذاته موجودة بالفعل وهو الصورة فى كل شيء ، وعن شيء حصل له هذا الفعل وفى طباعه قوته وهو مادته .

فإن كانت النفس بسيطة مطلقة لم تنقسم إلى مادة وصورة ، فإن كانت مركبة فلتترك المركب ولتنظر فى الجوهر الذى هو مادته . ولنصرف القول إلى نفس مادته ولتتكلم فيها .

ونقول : إن المادة إما أن تنقسم هكذا دائما ونثبت الكلام دائما ، وهذا محال ، وإما أن لا يبطل الشيء هو الجوهر والسنخ . وكلامنا فى هذا الشيء الذى هو السنخ والأصل وهو الذى نسميه النفس ، وليس كلامنا فى شيء مجتمع منه ومنه شيء آخر . فبين أن كل شيء هو بسيط غير مركب ، أو هو أصل مركب وسنخه ، فهو غير مجتمع فيه فعل أن يبقى وقوة أن يعدم بالقياس إلى ذاته . فإن كانت فيه قوة أن يعدم فمحال أن يكون فيه فعل أن يبقى ، وإذا كان فيه فعل أن يبقى وأن يوجد فليس فيه قوة أن يعدم .

فبين إذن أن جوهر النفس ليس فيه قوة أن يفسد .

وأما الكائنات التى تفسد فإن الفاسد منها هو المركب المجتمع ، وقوة أن

يفسد أو يبقى ليس فى المعنى الذى به المركب واحد، بل فى المادة التى هى بالقوة قابلة كلا الضدين . فليس إذن فى الفاسد المركب لاقوة أن يبقى ولا قوة أن يفسد، فلم تجتمعا فيه .

وأما المادة فإما أن تكون باقية لاقوة تستعد بها للبقاء كما يظن قوم، وإما أن تكون باقية بقوة بها تبقى وليس لها قوة أن تفسد، بل قوة أن تفسد شىء آخر يحدث فيها . والبسائط التى فى المادة فإن قوة فسادها فى جوهر المادة لافى جوهرها . والبرهان الذى يوجب أن كل كائن فاسد من جهة تنهى قوى البقاء والبطالان، إنما يوجب فيما هو كائن من مادة وصورة، وتكون فى مادته قوة أن تبقى فيه تلك الصورة وقوة أن تفسد هى منه، كما قد علمت . فقد بان إذن أن النفس الإنسانية لا تفسد البتة، وإلى هذا سقنا كلامنا والله الموفق .

وقد أوضحنا أن النفس^١ إنما حدثت وتكثرت مع تهيؤ من الأبدان . على أن تهيؤ الأبدان يوجب أن يفيض وجود النفس لها من العلل المفارقة .

١- قوله -رضوان الله تعالى عليه- : «وقد أوضحنا أن النفس...» ، أقول هذا شروع فى إبطال التناسخ وخلاصة كلامه فى المقام هو ما ذكره فى التعليقات بقوله : «كلما حدث مزاج صلح لنفس فحدث لامحالة نفساً، أو استعدت مادة لقبول صورة نارية أو هوائية أو مائية أو أرضية حدث فيها تلك الصورة من المبادئ المفارقة، فالقول بالتناسخ يبطل من هذا الوجه» انتهى (ص ٢٩) .

وفى النجاة جعل قوله هذا فى إبطال التناسخ إلى آخره فصلاً على حدة حيث قال : «فصل فى بطلان القول بالتناسخ، وقد أوضحنا أن النفس إنما حدثت...» (ص ١٨٩ ط مصر) .

ثم إن لنا كلاماً فى التناسخ يطلب تفصيله فى تعليقتنا على الاسفار فى المقام .

وظهر من ذلك أن هذا لا يكون على سبيل الاتفاق والبخت، حتى يكون وجود النفس الحادثة ليس لاستحقاق هذا المزاج نفساً حادثة مدبرة.

ولكن قد كان^١ وجدت نفس وافق أن وجد معها بدن فتعلق بها، فإن مثل هذا لا يكون علة ذاتية البتة للتكثر، بل عسى أن يكون عرضية. وقد عرفنا أن العلل الذاتية هي التي يجب أن تكون أولاً، ثم ربما تليها العرضية، فإذا كان كذلك، فكل بدن يستحق مع حدوث مزاج مادته حدوث نفس له، وليس بدن يستحقه وبدن لا يستحقه، إذ أشخاص الأنواع لا تختلف في الأمور التي بها تقوم. وليس يجوز أن يكون بدن إنسانى يستحق نفساً تكمل به وبدن آخر وهو فى حكم مزاجه بالنوع لا يستحق ذلك، بل إن اتفق كان وإن لم يتفق لم يكن، فإن هذا حينئذ لا يكون من نوعه، فإذا فرضنا أن نفساً تناسختها أبدان، فكل بدن فإنه بذاته يستحق نفساً تحدث له وتتعلق به، فيكون البدن الواحد فيه نفسان معاً.

ثم العلاقة بين النفس والبدن ليست هى على سبيل الانطباع فيه، كما بيناه مراراً، بل العلاقة التى بينهما هى علاقة الاشتغال من النفس بالبدن، حتى تشعر النفس بذلك البدن، وينفعل البدن عن تلك النفس. وكل حيوان فإنه يستشعر نفسه نفساً واحدة هى المتصرفه^٢ والمدبرة للبدن الذى له، فإن كان هناك نفس أخرى لا يشعر الحيوان بها ولا هو بنفسه ولا تشتغل

١- فى تعليقه نسخة: هذا شروع فى ابطال التناسخ.

٢- المصروفة، نسخة.

بالبدن، فليست لها علاقة مع البدن، لأن العلاقة لم تكن إلا بهذا النحو، فلا يكون تناسخ بوجه من الوجوه. وبهذا المقدار لمن أراد الاختصار كفاية، بعد أن فيه كلاماً طويلاً.



الفصل الخامس

فى العقل الفعال فى أنفسنا والعقل المتفعل عن أنفسنا^١

نقول : إن النفس الإنسانية قد تكون عاقلة بالقوة، ثم تصير عاقلة بالفعل، وكل ما خرج من القوة إلى الفعل فإنما يخرج بسبب بالفعل يُخرجه . فها هنا سبب هو الذى يخرج نفوسنا فى المعقولات من القوة إلى الفعل، وإذا هو السبب فى إعطاء الصور العقلية، فليس إلا عقلاً بالفعل عنده مبادئ الصور العقلية مجردة، ونسبته إلى نفوسنا كنسبة الشمس إلى إبصارنا . فكما أن الشمس تُبصر بذاتها بالفعل ويُبصر بنورها بالفعل ما ليس مبصراً بالفعل، كذلك حال هذا العقل عند نفوسنا، فإن القوة العقلية إذا اطلعت على الجزئيات التى فى الخيال وأشرق عليها نور العقل الفعال^٢

١- راجع ص ٣١٣ ج ١ من الاسفار ط ١ . تعليقات الشيخ ص ٣٤، ومباحثاته ص ٢٠٤ .

٢- قال فى المبدأ والمعاد ص ٩٨ : «ومعنى كونه فعالاً أنه فى نفسه عقل بالفعل، لا أن فيه شيئاً هو قابل للصورة المعقولة كما هو عندنا، وشيئاً هو كمال . بل ذاته صورة عقلية قائمة بنفسها وليس فيها شئ مما هو بالقوة ومما هو مادة البتة ... فهذا احد معانى كونه عقلاً فعالاً . وهو ايضا عقل فعال بسبب فعله فى أنفسنا واخرجه اياها عن القوة الى الفعل » .

فينا الذى ذكرناه، استحالت^١ مجردة عن المادة وعلائقها، وانطبع في النفس الناطقة، لاعلى أنها نفسها تتقل من التخييل إلى العقل منا، ولاعلى أن المعنى^٢ المغمور في العلائق وهو في نفسه واعتباره في ذاته مجرد يفعل مثل نفسه، بل على معنى أن مطالعتها تعدّ النفس لأن يفيض عليها المجرّد من العقل الفعال. فإن الأفكار والتأملات حركات معدة للنفس نحو قبول الفيض، كما أن الحدود الوسطى معدة بنحو أشد تأكيداً لقبول النتيجة، و^٣ إن كان الأول على سبيل. والثانى على سبيل أخرى، كما ستقف عليه.

فتكون النفس الناطقة إذا وقعت لها نسبة ما إلى هذه الصورة بتوسط إشراق العقل الفعال حدث فيها منه شيء من جنسها من وجه وليس من جنسها من وجه، كما أنه إذا وقع الضوء على الملونات فعل في البصر منها أثر ليس على جملتها من كل وجه.

فالخيالات التى هى معقولات بالقوة تصير معقولات بالفعل، لانفسها، بل مايلتقط عنها؛ بل كما أن الأثر المتأدى بواسطة الضوء من الصور المحسوسة ليس هو نفس تلك الصور، بل شيء آخر مناسب لها يتولد بتوسط الضوء في القابل المقابل، كذلك النفس الناطقة إذا طالعت تلك الصور الخيالية واتصل بها نور العقل الفعال ضرباً من الاتصال استعدت لأن تحدث فيها من ضوء العقل الفعال مجردات تلك الصور عن الشوائب.

١- أى الجزئيات.

٢- أى الكلى الطيعى.

٣- وصلىة.

فأول ما يميز عند العقل الإنسانى أمر الذاتى منها والعرضى ومابه تشابه تلك الخيالات ومابه تختلف، فتصيرُ المعانى التى لا تختلف تلك بها معنى واحداً فى ذات العقل بالقياس إلى التشابه لكنّه فيه بالقياس إلى ما تختلف به يصير معانى كثيرة، فتكون للعقل قدرة على تكثير الواحد وتوحيد الكثير من المعانى^١.

أما توحيد الكثير فمن وجهين : أحدهما بأن تصير المعانى الكثيرة المختلفة فى المتخيلات بالعدد، إذا كانت لا تختلف فى الحد معنى واحداً. والوجه الثانى بأن يركب من معانى الأجناس والفصول معنى واحداً بالحد.

ويكون وجه التكثير بعكس هذين الوجهين .

فهذه من خواص العقل الإنسانى ، وليس ذلك لغيره من القوى ، فإنها تدرك الكثير كثيراً كما هو ، والواحد واحداً كما هو ،

١- راجع ص ٢٩٢ ج ١ من الاسفار : فصل فى ان القوة العاقلة كيف تقوى على توحيد الكثير وتكثير الواحد .

قال فى المباحث الشرقية ص ٣٤٧ ج ١ : «أما قوتها على توحيد الكثير فمن وجهين : الاول بالتحليل لأنها اذا حذفت عن الاشخاص الداخلة تحت النوع مشخصاتها وسائر العوارض اللاحقة بها بقيت الحقيقة النوعية ماهية متحدة وحقيقة واحدة . والثانى بالتركيب لأنها اذا اعتبرت المعنى الجنس والفصلى امكنها ان يقرن الفصل بالجنس بحيث تحصل منهما حقيقة متحدة اتحاداً طبيعياً لا صنعياً .

وأما قوتها على تكثير الواحد فهى ان تميز ذاتها عن عرضيتها وجنسها عن فصلها وجنس جنسها عن جنسها بالغة ما بلغت وفصل فصلها وفصل جنسها عن فصلها بالغة ما بلغت وتميز لازمها عن مفارقها وقريبها عن بعيدها والغريب منها عن الملائم فيكون الشخص الواحد فى الحس واحداً لكنّه فى العقل امور كثيرة ولذلك يكون ادراك العقل اتم الادراكات .

ولا يمكنها أن تدرك الواحد البسيط ، بل الواحد من حيث هو جملة مركبة من أمورٍ وأعراضها ، ولا يمكنها أن تفصل العرضيات وتنزعها من الذاتيات .

فإذا عرض الحس على الخيال والخيال على العقل صورةً ما وأخذ العقل منها معنى ، فإن عرض عليه صورة أخرى من ذلك النوع وإنما هي أخرى بالعدد لم يأخذ العقل منها ألبنة صورةً ما غير ما أخذ إلا من جهة العرض الذى يخص هذا من حيث هو ذلك العرض ، بأن يأخذه مرةً مجرداً ومرةً مع ذلك العرض .

ولذلك يقال : إن زيداً وعمراً لهما معنى واحد فى الإنسانية ، ليس على أن الإنسانية المقارنة بخواصِّ عمرو هى بعينها الإنسانية التى تقارن خواص زيد ، وكان ذاتاً واحدة هى لزيد ولعمرو كما يكون بالصدقة أو بالملك أو بغير ذلك ، بل الإنسانية فى الوجود متكررة فلا وجود لإنسانية واحدة مشترك فيها فى الوجود الخارج حتى تكون هى بعينها إنسانية زيد وعمرو ، وهذا سنبين فى الصناعة الحكيمة .

ولكن معنى ذلك أن السابق من هذه إذا أفاد النفس صورة الإنسانية ، فإن الثانى لا يفيد البتة شيئاً آخر ، بل يكون المعنى المنطبع منهما فى النفس واحداً هو عن الخيال الأول ؛ ولا تأثير للخيال الثانى ، فإن كل واحد منهما كان يجوز أن يسبق فيفعل هذا الأثر بعينه فى النفس ليس كشخصى إنسان وفرس هذا .

ومن شأن العقل إذا أدرك أشياء فيها تقدم وتأخر أن يعقل معها الزمان ضرورة ، وذلك لا فى زمان ، بل فى آن . والعقل يعقل الزمان فى آن ، وأما تركيبه القياس والحد فهو يكون لامحالة فى زمان ، إلا أن تصوره

النتيجة والمحدود يكون دفعة^١.

والعقل ليس عجزه عن تصور الأشياء التي هي في غاية المعقولية، والتجريد عن المادة لأمر في ذات تلك الأشياء، ولا لأمر في غريزة العقل، بل لأجل أن النفس مشغولة في البدن بالبدن، فتحتاج في كثير من الأمور إلى البدن، فيعدها البدن عن أفضل كمالاتها.

وليست العين إنما لا تطيق أن تنظر إلى الشمس لأجل أمر في الشمس وأنها غير جليلة، بل لأمر في جبلّة بدنها. فإذا زال عن النفس منا هذا الغمور وهذا العوق كان تعقلُ النفس لهذه أفضل التعقلات للنفس وأوضحها وألذها.

ولأن كلامنا في هذا الموضع إنما هو في أمر النفس من حيث هي نفس، وذلك من حيث هي مقارنة لهذه المادة. فليس ينبغي لنا أن نتكلم في أمر معاد النفس - ونحن متكلمون في الطبيعة - إلى أن نتقل إلى الصناعة الحكيمة وننظر فيها في الأمور المفارقة. وأما النظر في الصناعة

١- قال في ص ٤٧٦ ج ١ من المباحث في فصل إمكان اجتماع التعقلات الكثيرة في النفس دفعة واحدة: «إذا عرفنا الشيء بحدّه لا يكون العلم باحد اجزائه مثل الجنس وحده او الفصل وحده مفيداً للعلم بتمام حقيقته فلو استحال حصول العلم بكل اجزائه دفعة واحدة لاستحال العلم في وقت من الاوقات بحقيقته فهذا بيان إمكان حصول التصورات الكثيرة.

وأما انه يمكن حصول التصديقات الكثيرة فلان المقدمة الواحدة لا تنتج فلو استحال حصول العلم بالمقدمتين معاً لاستحال حصول العلم بالنتيجة ... ان القوة الخيالية لا تقوى على استحضار امور كثيرة وتخيالات مختلفة دفعة واحدة لانها كيف كانت لاتتم الا بآلة جسمانية واما القوة العقلية فانها تقوى على ذلك والذي نغذ من أنفسنا كالتعذر عائد الى القوة الخيالية لا الى القوة العقلية.

الطبيعية فيختص بما يكون لا ثقا بالأمور الطبيعية، وهى الأمور التى لها نسبة إلى المادة والحركة.

بل نقول: إن تصور العقل يختلف بحسب وجود الأشياء، فالأشياء القوية جداً قد يقصر العقل عن إدراكها لغلبتها، والأشياء الضعيفة الوجود جداً كالحركة والزمان والهيولى فقد يصعب تصورهما، لأنها ضعيفة الوجود.

[العقول التى لا يخالطها ما بالقوة لاتعقل العدم والشر]

والاعدام لا يتصورها العقل وهو بالفعل مطلقاً، لأن العدم يدرك من حيث لا تدرك الملئكة فيكون مدرك العدم من حيث هو عدم والشر من حيث هو شرّ شيء هو بالقوة وعدم كمال، فإن أدركه عقل^١ فإنما يدركه لأنه بالإضافة إليه بالقوة فالعقول التى لا يخالطها ما بالقوة لاتعقل العدم والشر من حيث هو شر وعدم ولا تتصورهما، وليس فى الوجود شيء هو شر مطلقاً.

١- فى تعليقة نسخة: أى لا يكون فيه جهة القوة.

٢- راجع ص ٣٧٧ ج ١ من المباحث المشرقية للفخر: الفصل الثانى فى أن الأعدام كيف يعلم.

الفصل السادس

فى مراتب أفعال العقل وفى أعلى مراتبها وهو العقل القدسى

فنقول : إن النفس تعقل بأن تأخذ فى ذاتها صورة المعقولات مجردة عن المادة، وكون الصورة مجردة إما أن يكون بتجريد العقل إياها، وإما أن يكون لأن تلك الصورة فى نفسها مجردة عن المادة، فتكون النفس قد كُفيت المؤنة فى تجريدتها .

والنفس تتصور ذاتها، وتصورها ذاتها يجعلها عقلاً وعاقلاً و معقولاً، وأما تصورها لهذه الصور فلا يجعلها كذلك^١، فإنها فى جوهرها فى البدن دائماً بالقوة عقل^٢، وإن خرج فى أمور ما إلى الفعل . وما يقال من أن ذات النفس تصير هى المعقولات، فهو من جملة ما

١- قال فى ص ٤٤٨ ج ١ من المباحث المشرقية : «اعلم ان الشيخ فى جميع كتبه مصرّ على ابطال الاتحاد الا فى كتاب المبدأ والمعاد وذلك عندما قال فى بيان ان واجب الوجود عاقل» .

٢- فى تعليقة نسخة : اى لاتصير متحدة مع المعقولات ولا يصير عقلاً بنحو الاطلاق .

٣- فى تعليقة نسخة : اى مادام فى البدن لها القوة ولا يكون عقلاً مطلقاً .

يستحيل عندي؛ فإنني لست أفهم قولهم: إن شيئاً يصير شيئاً آخر، ولا أعقل أن ذلك كيف يكون، فإن كان بأن يخلع صورة ثم يلبس صورة أخرى، ويكون هو مع الصورة الأولى شيئاً، ومع الصورة الأخرى شيئاً، فلم يصير بالحقيقة الشيء الأول الشيء الثاني؛ بل الشيء الأول قد بطل وإنما بقى موضوعه أو جزء منه، وإن كان ليس كذلك فليُنظر كيف يكون. فنقول: إذا صار الشيء شيئاً آخر، فإما أن يكون إذ هو قد صار ذلك الشيء موجوداً أو معدوماً^١. فإن كان موجوداً، فالثاني الآخر إما أن يكون موجوداً أيضاً أو معدوماً. فإن كان^٢ موجوداً، فما موجودان لاموجود واحد. وإن كان^٣ معدوماً، فصار هذا الموجود شيئاً معدوماً لاشيئاً آخر موجوداً، وهذا غير معقول. وإن كان الأول قد عدم فما صار شيئاً آخر، بل عدم هو وحصل شيء آخر. فالنفس كيف تصير صور الأشياء.

وأكثر ما هوَّس الناس في هذا هو الذي صنف لهم إيساغوجي^٤ وكان

١- أي الشيء الأول إما أن يكون موجوداً أو معدوماً.

٢- أي الثاني.

٣- أي الآخر الثاني.

٤- أي فرفوربوس. وكتابنا «دروس اتحاد العاقل بالمعقول» يحق الحق بكلماته ويبطل الباطل.

قال الرازي في ص ٤٤٧ ج ١ من المباحث المشرقية: «الفصل الخامس في إبطال قول من قال إن التعقل عبارة عن اتحاد المعقول بالعاقل، وقد عرفت بطلان القول بالاتحاد والذي يخص هذا الموضع أن من عقل شيئاً فلو اتحد به فاذا عقل شيئاً آخر حتى اتحد به فصارت حقيقته حقيقة المعقول الثاني فحينئذ وجب أن لا يبقى عاقلاً للمعقول الأول والأول لكان للشيء الواحد حقيقتان مختلفتان وذلك محال فإذا يلزم أن لا يبقى عاقلاً للأول عند كونه عاقلاً للثاني وهو محال».

حريصا على أن يتكلم بأقوال مخيلة شعرية صوفية يقتصر منها لنفسه ولغيره على التخيل ، ويدلّ أهل التمييز على ذلك كتبه فى العقل والمعقولات وكتبه فى النفس .

نعم إن صور الأشياء تحلّ النفس^١ وتحلّيها وتزيّنها ، وتكون النفس كالمكان لها بتوسط العقل الهولانى ، ولو كانت النفس صورة شيء من الموجودات بالفعل ، والصورة هى الفعل ، وهى بذاتها فعل ، وليس فى ذات الصورة قوة قبول شيء ، إنما قوة القبول فى القابل للشيء ، وجب أن تكون النفس حينئذ^٢ لا قوة لها على قبول صورة أخرى وأمر آخر . وقد نراها تقبل صورة أخرى غير تلك الصورة ، فإن كان ذلك الغير أيضا لا يخالف هذه الصورة فهو من العجائب ، فيكون القبول واللاقبول واحدا^٣ . وإن كان يخالفه ، فتكون النفس لامحالة إن كانت هى الصورة المعقولة قد صارت غير ذاتها ، وليس من هذا شيء ، بل النفس هى العاقلة .

والعقل إنما يعنى به قوتها بها تعقل ، أو يعنى به صور هذه المعقولات فى انفسها . ولأنها فى النفس تكون معقولة ، فلا يكون العقل والعاقل والمعقول شيئا واحدا فى أنفسنا ، نعم هذا فى شيء آخر يمكن أن يكون على ما سنلمحه فى موضعه^٤ .

١- تحلّ فى النفس ، نسخة .

٢- فى تعليقه نسخة : أى حين صارت عين تلك الصورة .

٣- فى تعليقه نسخة : أى لا يحصل من هذه الأقوال شيء بل يكون هذه تخيلات لامعنى لها أو المراد أن ليس من الأول شيء باق بل الأول عدم وحدث شيء آخر .

٤- فى تعليقه نسخة : أى لا يتحد العقل الهولانى أيضا مع ما يحصل فيه .

وكذلك العقل الهولانى إن عُنِيَ به مطلق الاستعداد للنفس فهو باق
فينا أبدا ما دُمنا فى البدن، وإن عُنِيَ بحسب شىء شىء فإن الاستعداد
يبطل مع وجود الفعل^١.

وإذ قد تقرر هذا فنقول: إن تصور المعقولات على وجوه ثلاثة^٢:
أحدها التصور الذى يكون فى النفس بالفعل مفصلاً منظماً، وربما
يكون ذلك التفصيل والنظام غير واجب، بل يصح أن يغير. مثاله أنك
فصلت فى نفسك معانى الالفاظ التى يدل عليها قولك: كل إنسان
حيوان، وجدت كل معنى منها كلياً لا يتصور إلا فى جوهر غير بدنى^٣،
ووجدت لتصورها فيه تقدماً وتأخيراً.

فإن غيرت ذلك حتى كان ترتيب المعانى المتصورة الترتيب المحاذى
لقولك: الحيوان محمول على كل إنسان لم تشك أن هذا الترتيب من
حيث هو ترتيب معان كلية لم يترتب إلا فى جوهر غير بدنى، وإن كان
أيضاً يترتب من وجه ما فى الخيال فمن حيث المسموع لا من حيث
المعقول، وكان الترتيبان مختلفين، والمعقول^٤ الصرف منهما واحد.

والثانى أن يكون قد حصل التصور واكتسب، لكل النفس معرضة
عنه، فليست تلتفت إلى ذلك المعقول، بل قد انتقلت عنه مثلاً إلى معقول
آخر، فإنه ليس فى وسع أنفسنا أن تعقل الأشياء معاً دفعة واحدة.

١- الشيخ لم يعرف معنى العقل البسيط ولم يحصل مفاده. واعترض صاحب الاسفار
عليه (ج ٤ ص ١٢٦ ط ١ = ج ٩ ص ١١٤ ط جديد).

٢- راجع ص ٢٩٢ ج ١ ط ١ = ص ٣٦٦ ج ٣ ط جديد من الاسفار، وص ٣٦٩ ج ٣ ط
جديد الفصل الخامس عشر من المسلك الخامس.

٣- فى تعليقه نسخة: لانها كليات والكليات يجب ان يكون مدرکها مجرداً.

٤- وان كان التمثل منه غير واحد.

ونوع آخر من التصور^١ وهو مثل ما يكون عندك فى مسألة تُسئل عنها مما علمته أو بما هو قريب من أن تعلمه فحضر كجوابها فى الوقت، وأنت متيقن بأنك تجيب عنها بما علمته من غير أن يكون هناك تفصيل البتة، بل إنما تأخذ فى التفصيل والترتيب فى نفسك مع أخذك فى الجواب الصادر عن يقين منك بالعلم به قبل التفصيل والترتيب.

فيكون الفرق بين التصور الأول والثانى ظاهرا. فإن الأول كأنه شيء قد أخرجه من الخزانة وأنت تستعمله.

والثانى كأنه شيء لك مخزون متى شئت استعملته.

الثالث يخالف الأول بأنه ليس شيئا مرتبا فى الفكر البتة، بل هو كمبدأ^٢ لذلك مع مقارنته لليقين، ويخالف الثانى بأنه لا يكون مُعرضا عنه، بل منظورا إليه نظراً ما بالفعل يقينا إذ تخصص معه النسبة إلى بعض ما هو كالمخزون.

فإن قال قائل: إن ذلك علم أيضا بالقوة ولكن قوة قريبة من الفعل، فذلك باطل، لأن لصاحبه يقينا بالفعل حاصلا لا يحتاج أن يحصله بقوة قريبة أو بعيدة. فذلك اليقين أما^٣ لأنه متيقن أن هذا حاصل عنده إذا شاء علمه، فيكون تيقنه بالفعل بأن هذا حاصل تيقنا به بالفعل، فإن الحصول حصول لشيء^٤، فيكون هذا الشيء الذى نشير إليه حاصلا بالفعل،

١- هذا هو المرتبة الثالثة.

٢- مبدأ، نسخة.

٣- قال صاحب القاموس: اما بالتخفيف تحقيق للكلام الذى يتلوه. وقال صاحب المجموع بالتخفيف لتحقيق الكلام الذى يتلوه تقول اما ان زيدا عاقل يعنى انه عاقل على الحقيقة دون المجاز.

٤- الشيء، نسخة.

لأنه من المحال أن يتيقن أن المجهول بالفعل معلوم عنده مخزون، فكيف يتيقن حال الشيء إلا والأمر هو من جهة ما يتيقنه معلوم، وإذا كانت الإشارة تتناول للمعلوم بالفعل ومن المتيقن بالفعل أن هذا عنده مخزون فهو بهذا النوع البسيط معلوم عنده، ثم قد يريد أن يجعله معلوما بنوع آخر.

ومن العجائب أن هذا المجيب حين يأخذ في تعليم غيره تفصيل ما هجس في نفسه دفعة يكون مع ما يعلمه يتعلم العلم بالوجه الثاني فيرتب تلك الصورة فيه مع ترتب الفاظه.

فأحد هذين هو العلم الفكري الذي إنما يستكمل به تمام الاستكمال إذا ترتب وتركب.

والثاني هو العلم البسيط^١ الذي ليس من شأنه أن يكون له في نفسه

١- في تعليقة نسخة: اعلم ان العقل البسيط الاجمالي خلاقيته للتفاصيل لامعنى له الا الاتحاد بحسب الوجود، والاختلاف والكثرة بحسب الماهية، حتى يكون الاجمال بحسب الوجود والتفصيل بحسب الماهية وهذا هو معنى اتحاد العاقل والمعقول. وقال الفخر في ص ٣٣٦ ج ١ من المباحث الشرقية: «هذا غاية ما يقولون. وليس الامر عندي كما يقولون بل العلم اما ان يكون بالقوة واما ان يكون بالفعل على سبيل التفصيل».

واما القسم الثالث وهو البسيط فهو عندي باطل فان العلم عندهم عبارة عن حضور صورة المعقول في العاقل فهذا العقل البسيط ان كان صورة واحدة مطابقة في الحقيقة لأمور كثيرة فذلك باطل إذ الصورة العقلية الواحدة لو كانت مطابقة لأمور كثيرة لكانت مساوية في الماهية لتلك الأمور المختلفة في الحقيقة فتكون لتلك الصورة حقائق مختلفة فلا تكون الصورة الواحدة صورة واحدة هذا خلف.

فان قيل: ان لهذا العقل البسيط صوراً مختلفة بحسب اختلاف العقولات. فنقول: العلم التفصيلي بتلك المعلومات حاصل اذ لامعنى للعلم التفصيلي الا ذلك

صورة بعد صورة ولكن هو واحد تفيض عنه الصورُ فى قابل الصور فذلك علم فاعل للشيء الذى نسميه علما فكريا ومبدأ له ، وذلك هو للقوة العقلية المطلقة من النفوس^٢ المشاكلة للعقول الفعالة .

وأما التفصيل فهو للنفس من حيث هى نفس ، فما لم يكن له ذلك لم يكن له علم نفسانى . وأما أنه كيف يكون للنفس الناطقة مبدأ غير النفس له علم غير علم النفس ، فهو موضع نظر يجب عليك أن تعرفه من نفسك .

واعلم أنه ليس فى العقل المحض منهما تكثر البتة ولا ترتيب صورة فصورة ، بل هو مبدأ لكل صورة تفيض عنه على النفس . وعلى هذا ينبغى أن تعتقد الحال فى المفارقات المحضة فى عقلها الاشياء ، فإن عقلها هو العقل

→ ثبت ان مايقولونه بعيد عن التحصيل فلعلهم ارادوا بهذا العقل البسيط ان تكون صور المعلومات تحصل دفعة واحدة وارادوا بهذا العقل التفصيلى ان تكون صور المعلومات تحضر على ترتيب زمانى واحدة بعد واحدة فان ارادوا به ذلك فهو صحيح ولا منازعة فيه معهم ولكنه لا يكون هذا مرتبة متوسطة بين القوة المحضة والفعل المحض .

وقال صدر المتألهين فى ص ٢٩٣ ج ١ ط ١ = ص ٣٧٢ ج ٣ ط ٢ : «اقول اثبات هذا العقل البسيط لا يمكن الا بالقول باتحاد العاقل بالمعقولات على الوجه الذى اقمنا البرهان . والعجب من الشيخ الرئيس حيث اذعن بمثل هذه الامور التى ذكرها فى هذا الموضع مع غاية اصراره فى انكار القول بذلك الاتحاد فاذا لم يكن للعقل البسيط الذى اعتقد وجوده فى هذا النوع الانسانى وفى الجواهر المفارقة بالكلية من الاجساد والمواد فيه المعانى المعقولة فكيف يفيض منه على النفوس ما لا يكون حاصله له ، وكيف يخرج النفوس من القوة الى الفعل بما لا حصول لها فيه ، وايضاً كيف يختزن فيه مع بساطته صور المعقولات التى تذهل عنها النفس ثم تجدها مخزونة لها عند المراجعة الى خزائنها العقلية كما اثبتتها الشيخ فى ذلك الفصل بعينه» .

١- القوة ، نسخة .

٢- النفس ، نسخة .

الفعال للصور والخلق لها لا الذى^١ يكون الصور^٢ أو فى صور^٣.

فالنفس التى للعالم من حيث هى نفس فإن تصورَها هو التصور المرتب المفصل، فلذلك ليست بسيطة من كل وجه، وكل إدراك عقلى فإنه نسبة ما إلى صورة مفارقة للمادة ولاعراضها المادية على النحو المذكور. فللنفس ذلك بأنها جوهر قابل منطبع به، وللعقل بأنه جوهر مبدأ فاعل خلاق، فما يخص ذاته من مبدئيه لها هو عقليته بالفعل، وما يخص النفس من تصورَها بها وقبولها لها هو عقليتها بالفعل.

والذى ينبغى أن يعلم من حال الصور التى فى النفس هو ما أقوله :

أما المتخيلات وما يتصل بها فإنها إذا عرض عنها النفس كانت مخزونة فى قوى هى للْخَزْنُ^٤، وليست بالحقيقة مدركة، وإلا لكانت مدركة وخزانة معا، بل هى خزانة إذا رجعت القوة الدِّرَاكَةُ الحاكمة وهى الوهم والنفس أو العقل وجدتها حاصلة، فإن لم تجدها احتاجت إلى استرجاع بتحسس أو بتذكر.

ولولا هذا العذر لكان من الواجب أن يشك فى أن^٥ كل نفس إذا كانت ذاهلة عن صورة، أ تلك الصورة موجودة أم ليست بموجودة إلا بالقوة.

ويتشكك فى أنها كيف ترتجع، وإذا لم تكن عند النفس فعند أى شىء

١- أى لا العقل الذى.

٢- فى تعليقة نسخة : أى من حيث الترتيب والنظم فى تعقلها.

٣- فى تعليقة نسخة : أى من حيث انتقال النفس من بعض الصور الى بعض آخر.

٤- الخَزْن - كما فى نسخة مصححة.

٥- أن يشك فى أمر كل نفس، نسخة.

تكون، والنفس بأى شىء تتصل حتى تعاود هذه الصورة.

لكن النفس الحيوانية قد فُرقت قواها، وجعلت لكل قوة آله مفردة، فجعلت للصور خزانة^١ قد يغفل عنها الوهم، وللمعاني خزانة^٢ قد يغفل عنها الوهم، إذ ليس للوهم^٣ موضع ثبات هذه الأمور، ولكن الحاكم^٤.

فلنا أن نقول: إن الوهم قد يُطالع الصور والمعاني المخزونة فى حيزي القوتين^٥، وقد يُعرض عنها، فماذا نقول الآن فى النفس الإنسانية والمعقولات التى تكتسبها وتذهل عنها إلى غيرها، أ تكون موجودة فيها بالفعل التام فتكون لامحالة عاقلة لها بالفعل التام، أو تكون لها خزانة تخزنها فيها، وتلك الخزانة إما ذاتها أو بدنها أو شىء بدنى لها. وقد قلنا: إن بدنها وما يتعلق ببدنها مما لا يصلح لذلك، إذ لم يصلح أن يكون محلا للمعقولات، ولا يصلح أن تكون الصور العقلية ذات وضع وكان اتصالها بالبدن بجعلها ذات وضع، وإذا صارت فى البدن ذات وضع بطل أن تكون معقولة.

أو نقول: إن هذه الصور العقلية أمور قائمة فى أنفسها، كل صورة منها نوع آخر قائم^٦ فى نفسه، والعقل ينظر إليها مرة ويغفل عنها

١- وهى الخيال.

٢- وهى الحافظة.

٣- الوهم، نسخة.

٤- فى تعليقة نسخة: أى الصور والمعاني.

٥- فى تعليقة نسخة: أى ولكن الوهم هو الحاكم.

٦- الحافظة والخيال.

٧- نوع أمر قائم، عدة نسخ.

أخرى، فإذا نظر إليها تَمَثَّلَتْ فيه، وإذا أَعْرَضَ عنها لم تَمَثَّلْ، فتكون النفس كمرآة وهي كأشياء خارجة، فتارة تلوح فيها وتارة لاتلوح، وذلك بحسب نسب تكون بين النفس وبينها.

أو يكون المبدأ الفعّال يفيض على النفس صورة بعد صورة بحسب طلب النفس، وأن يكون إذا أَعْرَضَتْ عنه انقطع الفيض. فإن كان هذا هكذا فلم لا تحتاج كل كَرَّةٍ إلى تعلّم من رأس.

فنقول: إن الحق هو القسم الآخر، وذلك أنه من المحال أن نقول إن هذه الصورة موجودة في النفس بالفعل التام ولا تعقلها بالفعل التام، إذ ليس معنى أنها تعقلها إلا أن الصورة موجودة فيها، ومحال أن يكون البدن لها خزانة، ومحال أن تكون ذاتها خزانتها، إذ ليس كونها خزانة لها إلا أن تلك الصورة معقولة موجودة فيها وبهذا تعلقها.

وليس كذلك الذكر والمصورة، فإن إدراك هذه الصورة ليس لهما، بل حفظها فقط، وإنما إدراكها بقوة أخرى، وليس وجود الصورة المذكورة والمتصورة في شيء هو إدراك، كما ليس وجود صورة المحسوسات في الشيء هو حس، ولذلك ليست الأجسام وفيها صورة المحسوسات بمدرّكة، بل الإدراك يحتاج أن يكون لما من شأنه أن ينطبع بتلك الصورة انطباعاً بما بها هو قوة مدرّكة. وأما الذكر والمصورة فإنما تنطبع فيهما الصور بما هي آلة ولها جسم يحفظ تلك الصور قريباً من حامل القوة الدراكية وهي الوهم حتى ينظر إليها متى شاء، كما يحفظ الصور المحسوسة قريباً من الحس ليتأملها الحس متى شاء.

فهذا التأويل يحتمله الذكر والمصورة ولا تحتمله النفس، فإن وجود الصورة المعقولة في النفس هو نفس إدراكها لها، وأيضاً سنيين بعد في

الحكمة الاولى^١ أن هذه الصورة لاتقوم منفردة .

فبقى أن يكون القسم الصحيح هو القسم الأخير ، ويكون التعلم طلب الاستعداد التام للاتصال به ، حتى يكون منه^٢ العقل الذى هو البسيط فتفيض منه الصور مفصلة فى النفس بتوسط الفكرة ، فيكون الاستعداد قبل التعلم ناقصا ، والاستعداد بعد التعلم تاما .

وإذا تعلم يكون من شأنه أنه إذا خطر بباله ما يتصل بالمعقول المطلوب ، وأقبلت النفس على جهة النظر - وجهة النظر هو الرجوع إلى المبدأ الواهب للعقل - اتصل به ففاضت منه^٣ قوة العقل المجرد^٤ الذى يتبعه فيضان التفصيل ، وإذا أعرض عنه عادت فصارت تلك الصورة بالقوة ، لكن قوة قريبة جدا من الفعل . فيكون التعلم الأول كعمالجة العين ، فإذا صارت العين صحيحة فمتى شاءت نظرت إلى الشيء الذى منه تأخذ صورة ما ، وإذا أعرضت عن ذلك الشيء صار ذلك بالقوة القريبة من الفعل . وما دامت النفس البشرية القاسية^٥ فى البدن ، فإنه ممتنع عليها أن تقبل العقل الفعال دفعة ، بل يكون حالها ما قلنا .

وإذا قيل : إن فلانا عالم بالمعقولات ، فمعناه أنه بحيث كلما شاء أحضر صورته فى ذهن نفسه ، ومعنى هذا أنه كلما شاء كان له أن يتصل بالعقل الفعال اتصالا يتصور فيه منه ذلك المعقول ، ليس أن ذلك المعقول

١- قال صدر المثلهين فى الأسفار اشار بذلك إلى إبطاله للصور المفارقة التى نسب القول بها إلى افلاطون وشيعته من الاقدمين .

٢- أى من العقل الفعال .

٣- أى من المبدأ الواهب .

٤- أى العلم الاجمالى البسيط .

٥- العامة ، عدة نسخ .

حاضر في ذهنه ومتصور في عقله بالفعل دائماً، ولا كما كان قبل التعلم. وبتحصيل هذا الضرب من العقل بالفعل^١، وهو القوة تحصل للنفس أن تعقل بها ما تشاء، فإذا شاءت اتصلت وفاضت فيها الصورة المعقولة، وتلك الصورة هي العقل المستفاد بالحقيقة، وهذه القوة هي العقل بالفعل فينا من حيث بها أن نعقل. وأما العقل المستفاد فهو العقل بالفعل من حيث هو كمال.

وأما التصور للأمور المتخيلة فهو رجوع من النفس إلى الخزائن للمحسوسات. والأول نظر إلى فوق، وهذا نظر إلى أسفل. فإن خلص عن البدن وعوارض البدن فحينئذ يجوز أن يتصل بالعقل الفعال تمام الاتصال ويلقى هناك الجمال العقلي واللذة السرمدية كما نتكلم عليه في بابيه.

واعلم أن التعلم سواء حصل من غير المتعلم أو حصل من نفس المتعلم فإنه متفاوت فيه، فإن من المتعلمين من يكون أقرب إلى التصور، لأن استعداد الذي قبل الاستعداد الذي ذكرناه أقوى، فإن كان ذلك للإنسان فيما بينه وبين نفسه سمى هذا الاستعداد القوى حذسا.

وهذا الاستعداد قد يشتد في بعض الناس، حتى لا يحتاج في أن يتصل بالعقل الفعال إلى كثير شيء وإلى تخريج وتعليم، بل يكون شديد

١- العقل بالفعل: أي العقل بالملكة، والعقل المستفاد.

قال الشيخ في المبدأ والمعاد ص ٩٩: «فإذا حصل للنفس المعقولات المكتسبة صار من جهة تحصيلها لها - وإن كانت غير قائمة فيه بالفعل - عقلاً بالفعل، لأن له أن يعقل متى شاء من غير استيناف طلب، وإذا اعتبر وجودها فيه بالفعل قائمة سميت تلك المعقولات عقلاً مستفاداً من خارج أي من العقل الفعال بطلب وحيلة.

الاستعداد لذلك كأنَّ الاستعداد الثانى حاصلٌ له ، بل كأنَّه يعرف كل شىء من نفسه .

وهذه الدرجة أعلى درجات هذا الاستعداد ، ويجب أن تسمى هذه الحالة من العقل الهولانى عقلا قدسيا ، وهى من جنس العقل بالملكة ، إلا أنه رفيع جدا ليس مما يشترك فيه الناس كلهم .

ولا يبعد أن يفيض بعض هذه الأفعال المنسوبة إلى الروح القدسية لقوتها واستعلائها فيضانا على المتخيلة ، فتحاكيها المتخيلة أيضا بأمثلة محسوسة ومسموعة من الكلام على النحو الذى سلفت الإشارة إليه .

ومما يحقُّ هذا أن من المعلوم الظاهر أن الأمور المعقولة التى يتوصل إلى اكتسابها إنما تكتسب بحصول الحد الأوسط فى القياس . وهذا الحد الأوسط قد يحصل من ضربين من الحصول :

[تعريف الحدس والذكاء]

فتارة يحصل بالحدس ، والحدس فعل للذهن يستنبط به بذاته الحد الأوسط والذكاء قوة الحدس .

وتارة يحصل بالتعليم ، ومبادئ التعليم الحدس ، فإن الأشياء تنتهى لامحالة إلى حدوس استنبطها أرباب تلك الحدوس ثم اوردوها^١ إلى المتعلمين . فجائز إذن أن يقع للإنسان بنفسه الحدس وأن ينعقد فى ذهنه القياس بلا تعلم^٢ .

وهذا مما يتفاوت بالكم والكيف : أما فى الكم فلأن بعض الناس يكون

١- أدوها ، نسخة .

٢- بلا معلم ، نسخة .

أكثر عدد حدس للحدود الوسطى، وأما فى الكيف فلأن بعض الناس أسرع زمان حدس. ولأن هذا التفاوت ليس منحصرأ فى حد، بل يقبل الزيادة والنقصان دائماً، وينتهى فى طرف النقصان إلى من لا حدس له البتة، فيجب أن ينتهى أيضاً فى طرف الزيادة إلى من له حدس فى كل المطلوبات أو أكثرها، وإلى من له حدس فى أسرع وقت وأقصره.

[القوة القدسية]

فيمكن إذن أن يكون شخص من الناس مؤيد النفس لشدة الصفاء وشدة الاتصال بالمبادئ العقلية إلى أن يشتعل حاساً، أعنى قبولاً لها من العقل الفعال فى كل شىء وترسم فيه الصور التى فى العقل الفعال، إما دفعة، وإما قريباً من دفعة ارتساماً لاتقليدياً، بل بترتيب يشتمل على الحدود الوسطى. فإن التقليديات فى الأمور التى إنما تُعرف بأسبابها ليست يقينية عقلية. وهذا ضرب من النبوة، بل أعلى قوى النبوة، والاولى أن تسمى هذه القوة قوة قدسية^١، وهى أعلى مراتب القوى الإنسانية.

١- قال الرازى فى ج ١ ص ٣٥٤ من المباحث المشرقية: «وتلك القوة تسمى قدسية ومخالفتها لسائر النفوس بالكم والكيف. اما الكم فلائها اكثر استحضاراً للحدود الوسطى واما الكيف فلائها اسرع انتقالاً من المبادئ الى الثانوى ومن المقدمات الى النتائج. ويخالف سائر النفوس من جهة اخرى وهى ان سائر النفوس تعين المطلب ثم تطلب الحدود الوسطى المنتجة لها واما النفوس القدسية فيقع الحد الاوسط فى ذهنها ويتادى الذهن منه الى النتيجة المطلوبة فيكون الشعور بالحد الاوسط مقدماً على الشعور بالمطلوب».

الفصل السابع

فى عدّ المذاهب الموروثة عن القدماء فى أمر النفس وأفعالها^١
وأنها واحدة أو كثيرة وتصحيح القول الحق فيها

إن المذاهب المشهورة فى ذات النفس وفى أفعالها مختلفة .

فمنها قول من زعم أن النفس ذات واحدة ، وأنها تفعل جميع الأفعال
بنفسها باختلاف الآلات .

ومن هؤلاء من زعم أن النفس عالمة بذاتها ، تعلم كل شىء ، وإنما
تستعمل الحواس والآلات المقربة للمدركات منها بسبب أن تتنبه به لما فى
ذاتها .

١- قال الرازى فى ص ٤١٤ ج ٢ من المباحث المشرقية : «اعلم أنا قد بينا أن نفس الإنسان
هى ذاته وحقيقته وكل عاقل يعلم ببداية عقله أن ذاته وحقيقته امر واحد لا أمور كثيرة .
وبالجمله فعلم الإنسان بوجوده ووحدته علم يديهى جلّى فكيف يكون ذلك مطلوباً
بالبرهان؟ بل المطلوب بالبحث والنظر فى كتاب النفس معرفة ماهيتها وقواها و كيفية
احوالها من الحدوث والقدم ولكن القدماء لما فرقوا اصناف الأفعال على اصناف القوى
ونسبوا كل واحد منها الى قوة اخرى احتاجوا الى بيان أن فى جملتها شيئاً هو كالأصل
والمبدأ وأن سائر القوى كالتوابيع والفروع» .

وراجع ص ١١١ ج ٤ ط ١ = ص ٥٦ ج ٩ ط ٢ من الاسفار .

ومنهم من قال: إن ذلك على سبيل التذكّر^١ لها، فكأنّها عرض لها عنده أن نسيّت.

ومن الفرقة الأولى^٢ من قال: إن النفس ليست واحدة، بل عدة، وأن النفس التي في بدن واحد هي مجموع نفوس: نفس حساسة دراية، ونفس غضبية، ونفس شهوانية. فمن هؤلاء من جعل النفس الشهوانية هي النفس الغذائية، وجعل موضوعها القلب، وجعل له شهوة الغذاء والتوليد جميعا.

ومنهم من جعل التوليد لقوة من هذا الجزء من أجزاء النفس فائضة إلى الانثيين في الذكر والانثى.

ومنهم من جعل النفس ذاتا واحدة، وتفيض عنها هذه القوى، تختص كل قوة بفعل، وأنها إنما تفعل ما تفعله من الأمور المذكورة بتوسط هذه القوى^٣.

فمن قال: إن النفس واحدة فعالة بذاتها احتج بما سيحتج به أصحاب المذهب الأخير مما نذكره.

ثم قال^٤: فإذا كانت واحدة غير جسم استحال أن تنقسم في الآلات وتكثر، فإنها حيثئذ تصير صورة مادية، وقد ثبت عندهم أنها جوهر مفارق بقياسات لا حاجة لنا إلى تعدادها ها هنا، قالوا فهي بنفسها تفعل ما

١- أي التذكّر للمدركات، ولعل الفرق بين التنبّه والتذكر بعروض الغفلة في الأول والنسيان في الثاني.

٢- أي القائلون بأن النفس تعلم كل شيء بحسب ذاتها.

٣- وهذا مختار الشيخ.

٤- في تعليقة نسخة: أي من قال إن النفس واحدة فعالة بذاتها.

تفعل بآلات مختلفة .

والذين قالوا من هؤلاء^١ : إن النفس علامة بذاتها، احتجوا وقالوا : لأنها إن كانت جاهلة عادمة للعلوم فيما أن يكون ذلك لها لجوهرها أو يكون عارضاً لها، فإن كان لجوهرها استحال أن تعلم البتة^٢، وإن كان عرضاً لها فالعارض يعرض على الأمر الموجود^٣ للشيء . فيكون موجوداً للنفس أن تعلم الأشياء لكن عرض لها أن جهلت بسبب، فيكون السبب إنما يتسبب للجهل لا للعلم . فإذا رفعنا الأسباب العارضة بقى لها الأمر الذى فى ذاتها، ثم إذا كان الأمر الذى لها فى ذاتها هو أن تعلم فكيف يجوز أن يعرض لها بسبب من الأسباب أن تصير لا تعلم وهى بسيطة روحانية لا تتفعل، بل يجوز أن يكون عندها العلم وتكون معرضة عنه مشغولة، إذا نبّهت علمت، وكان معنى التنبيه ردها إلى ذاتها وإلى حال طبيعتها، فتصادف نفسها عالمة بكل شيء^٤ .

١- فى تعليقة نسخة : أى من الذين قالوا إنّ النفس واحدة .

٢- فى تعليقة نسخة : لأن الصفة الذاتية اللازمة ممتنعة الزوال .

٣- فى تعليقة نسخة : أى الأمر الطبيعى الموجود للشيء وهو كونه عالماً فيما نحن فيه .

٤- قال الفخر فى ص ٤٩٦ ج ١ من المباحث المشرقية : «إن هذا باطل لأن الصورة العقلية إما أن تكون حاضرة فى النفس موجودة فيها بالفعل أو لا تكون . فإن كانت حاضرة بالفعل وجب أن يكون لها شعور بذلك الحضور إذ لا معنى للشعور إلا ذلك الحضور ، وإن لم تكن حاضرة بالفعل لم يكن ذلك ذاتياً لأن الأمور الذاتية لا تكون مفارقة زائلة .

وأما قولهم خلوها عن العلوم أمر ذاتى أو عرضى . فنقول لسنا نقول إن النفوس تقتضى لوجود العلم بل نقول إنها لا تقتضى وجود العلم بل العلم لها يمكن الحصول فإذا لم يوجد السبب لم يكن حاصلًا ولكن ليس كل ما كان معدوماً كان واجب العدم وإلا لكان كل ممكن معدوم واجب العدم أو كل ممكن موجوداً (وإلا لما كان ممكن معدوماً . خ ل) .

وأما أصحاب التذكر فإنهم احتجوا وقالوا: إنه لو لم تكن النفس علمت وقتاً ما تجمله الآن وتطلبه لكانت إذا ظفرت به لم تعلم أنه المطلوب، كطالب العبد الآبق؛ وقد فرغنا عن ذكر هذا في موضع آخر وعن نقضه^١.

والذين كثروا النفس، فقد احتجوا وقالوا: كيف يمكننا أن نقول: إن الأنفس كلها نفس واحدة، ونحن نجد النبات وله النفس الشهوانية^٢، أعنى التى ذكرناها فى هذا الفصل، وليس له النفس المدركة الحاسة المميزة، فتكون لامحالة هذه النفس شيئاً منفرداً بذاته دون تلك النفس،

١- موصولة.

٢- أى فى المنطق وفى تعليقة نسخة: قال صدر المتألهين فى الاسفار: «هذه شبهة مذكورة فى أوائل كتب الميزان مع حلها. وهى أن كل قضية لها موضوع ومحمول ونسبة بينهما فإذا كانت مطلوبة يجب أن لا يكون المطلوب تصور الطرفين أو تصور النسبة بينهما. بل المطلوب هو إيقاع تلك النسبة أو انتزاعها أى الحكم بثبوتها أو لاثبوتها وإذا وقعت الفكرة وتادت إلى الإذعان بها أو بسلبها عرفنا أن المطلوب قد حصل فالمطلوب كان معلوماً من وجه التصور وإن كان مجهولاً من وجه التصديق لأن أجزائها كانت متصورة معلومة وليست هى مطلوبة والذى منه مطلوب لم يكن قبل الاكتساب حاصلًا فلكل مطلوب علامة فإذا وجده الطالب عرف أنه مطلوب بتلك العلامة انتهى^٣. كذا فى باب التصور فإن المطلوب التصورى مجهول بالكنه والذاتيات ومعلوم بالوجه والعرض أو مجهول من حيث عرضى من العرضيات ومعلوم بعرضى آخر.

اقول: اليك نص عبارة الاسفار (ص ٣٢٠ ج ١ ط ١ = ص ٤٩٢ ج ٣ ط ٢): ه... والذى منه مطلوب لم يكن قبل الاكتساب حاصل. وكذا فى باب التصور فإن الذى يكتسب بالطلب والتفكر غير الذى هو حاصل قبل الطلب فلكل مطلوب علامة فإذا وجده الطلب عرف أنه مطلوبه بتلك العلامة والطالب عرف أنه مطلوبه بتلك العلامة. انتهى.

٣- فى تعليقة نسخة: أى الغذائية فلاحس ولا غضب.

ثم نجد الحيوان وله هذه النفس الحساسة الغضبية ، ولا تكون هناك النفس النطقية أصلا ، فتكون هذه النفس البهيمية نفسا على حدة . فإذا اجتمعت هذه الأمور فى الإنسان ، علمنا أنه قد اجتمع فيه نفس^١ متباينة مختلفة الذات ، قد يفارق بعضها بعضا ، فلذلك تختص كل واحدة منها بموضع ، فيكون للمميزة الدماغ ، ويكون للغضبية الحيوانية القلب ، ويكون للشهوانية الكبد .

فهذه هى المذاهب المشهورة فى أمر النفس وليس يصح منها إلا المذهب الأخير^٢ مما عدا أولا فلنبين صحته . ثم نقبل على حل الشبهة التى أوردوها .

فنقول : قد بان مما ذكرناه أن الأفعال المتخالفة هى بقوى متخالفة وأن كل قوة من حيث هى فإنما هى كذلك^٣ من حيث يصدر عنها الفعل الأول الذى لها فتكون القوة الغضبية لاتنفع من اللذات ولا الشهوانية من المؤذيات ولا تكون القوة المدركة متأثرة مما تتأثر عنه هاتان ولا شئ من هاتين من حيث هما قابل^٤ للصور المدركة متصور^٥ لها . فإذا كان هذا متقدرا فنقول :

إنه يجب أن يكون لهذه القوى رباط يجمع كلها وتجتمع إليه ، وتكون نسبتها إلى هذه القوى نسبة الحس المشترك إلى الحواس التى هى الرواضع . فإننا نعلم يقينا أن هذه القوى يشغل بعضها بعضا ، ويستعمل بعضها بعضا ، وقد عرفت هذا فيما سلف . ولو لم يكن رباط يستعمل هذه

١- وهو أن النفس ذات واحدة تفيض عنها هذه القوى .

٢- فى تعليقة نسخة : أى متخالفة الأفعال .

فيشتغل ببعضها عن بعض فلا يستعمل ذلك البعض ولا يدبره، لما كان بعضها يمنع بعضاً عن فعله بوجه من الوجوه ولا ينصرف عنه. لأن فعل قوة من القوى إذا لم يكن لها اتصال بقوة أخرى، لا يمنع القوة الأخرى عن فعلها إذا لم تكن الآلة مشتركة ولا المحل مشتركاً ولا أمر يجمعهما غير ذلك مشتركاً. ونحن نرى أن الإحساس يُثير الشهوة، والقوة الشهوانية لا تنفعل عن المحسوس من حيث هو محسوس^١، فإن انفعل لا من حيث هو محسوس لم يكن الانفعال الذي يكون لشهوة ذلك المحسوس، فيجب لا محالة أن يكون هو الذي يحس. وليس يجوز أن تكون القوتان واحدة، فبين أن القوتين لشيء واحد، فلهذا يصدق أن نقول: إنا لما أحسنا اشتهينا، أو لما رأينا كذا غضبنا^٢.

وهذا الشيء الواحد الذي تجتمع فيه هذه القوى هو الشيء الذي يراه كل منا أنه ذاته، حتى يصدق أن نقول لما أحسنا اشتهينا.

وهذا الشيء لا يجوز أن يكون جسماً:

أما أولاً، فلأن الجسم بما هو جسم ليس يلزمه أن يكون مجموع هذه

١- بل الحاس ينفعل عن المحسوس.

٢- قال الفخر في ص ٤٠٦ ج ٢ من المباحث المشرقية في تقرير هذه الحجة: «إن هذه القوى تارة تكون متعاونة على الفعل وتارة تكون متدافعة. أما المعاونة فلأننا نقول: متى أحسنا الشيء الفلاني اشتهينا أو غضبنا. وأما المدافعة فلأننا إذا توجهنا إلى التفكير اختلّ الحس أو إلى الحس اختلّ الغضب أو الشهوة.

وإذا ثبت ذلك فنقول لولا وجود شيء مشترك لهذه القوى يكون كالمدير لها بأسرها لا تمتنع وجود المعاونة والمدافعة لأن فعل كل قوة إذا لم يكن له اتصال بالقوة الأخرى وليست الآلة مشتركة بل لكل واحد منها آلة مخصوصة وجب أن لا يحصل بينها هذه المعاونة والمعاونة».

القوى ، وإلا كان كل جسم له ذلك ، بل لأمر به يصير كذلك ، ويكون ذلك الأمر هو الجامع الاول ، وهو كمال الجسم من حيث هو مجمع ، وهو غير الجسم ، فيكون إذن المجمع هو شىء غير جسم وهو النفس .
وأما ثانيا ، فقد تبين أن من هذه القوى مالم يس يجوز أن يكون جسمانيا مستقراً فى جسم .

فإن تُشكك فقل : إنه إن جاز أن تكون هذه القوى لشيء واحد ، مع أنها لا تجتمع معا فيه ، إذ بعضها لا يحل الأجسام وبعضها يحلها ، فتكون مع افتراقها من غير أن تكون بصفة واحدة منسوبة إلى شىء واحد ، فلم لا يكون كذلك الآن وتكون كلها منسوبة إلى جسم أو جسمانى .

فنقول لأن هذا الذى ليس بجسم ، يجوز أن يكون منبع القوى فيفيض عنه بعضها فى الآلة ، وبعضها يختص بذاته ، وكلها يؤدى إليه نوعاً من الأداء . واللواتى تكون فى الآلة تجتمع فى مبدأ يجمعها فى الآلة ذلك^١ المبدأ ، وهو^٢ فائض عن الغنى عن الآلة كما تُبين حاله بعد فى حل الشبه . وأما الجسم فلا يمكن أن تكون هذه القوى كلها فائضة منه ، فإن نسبة القوى إلى الجسم ليس على سبيل الفيضان ، بل على سبيل القبول ، والفيضان يجوز أن يكون على سبيل مفارقة الفيض عن المفيض^٣ ، والقبول لا يجوز أن يكون على تلك السبيل .

وأما ثالثاً فإن هذا الجسم إما أن يكون جملة البدن ، فيكون إذا نقص

١- خير «كان» فى قوله : «فتكون مع افتراقها» .

٢- فاعل قوله : «يجمعها» .

٣- أى ما فى الآلة .

٤- مفارقة المفيض عن الفيض . كما فى نسخة مصححة .

منه شيء لا يكون مانشعر به أنا نحن^١ موجودا، وليس كذلك، فإني أكون أنا وإن لم أعرف أن لى يدا ورجلا أو عضوا من هذه الأعضاء، على ما سلف فى مواضع أخرى، بل أظن أن هذه توابعى، وأعتقد أنها آلات لى أستعملها فى حاجات، لولا تلك الحاجات لما احتيج إليها، وأكون أنا أيضا أنا ولست هى.

ولنعد إلى ماسلف ذكره منا^٢ فنقول:

لو خلق إنسان دفعة واحدة، وخلق متباين الأطراف، ولم يُبصر أطرافه، واتفق أن لم يمستها، ولا تماسّت، ولم يسمع صوتا، جهل وجود جميع أعضائه، وعلم وجود إنيته شيئا واحدا مع جهل جميع ذلك. وليس المجهول بعينه هو المعلوم، وليست هذه الأعضاء لنا فى الحقيقة إلا كالثياب التى صارت لدوام لزومها إيانا كأجزاء منا عندنا. وإذا تخيلنا أنفسنا لم نتخيلها عراة، بل نتخيلها ذوات أجسام كاسية، والسبب فيه دوام الملازمة. إلا أنا قد اعتدنا فى الثياب من التجريد والطرح ما لم نعتد فى الأعضاء، فكان ظننا الأعضاء أجزاء منا أكد من ظننا الثياب أجزاء منا.

وأما إن لم يكن ذلك^٣ جملة البدن، بل كان عضوا مخصوصا، فيكون ذلك العضو هو الشيء الذى اعتقده أنه لذاته أنا، أو يكون معنى ما اعتقده أنه أنا ليس هو ذلك العضو، وإن كان لا بد له من العضو. فإن كان ذات ذلك العضو وهو كونه قلبا أو دماغا أو شيئا آخر أو عدة أعضاء بهذه

١- فى غير واحدة من النسخ: مانشعر نحن. وموجودا خبر لا يكون.

٢- فى آخر الفصل الأول من المقالة الأولى.

٣- فى تعليقة نسخة: أى الجسم الذى يكون محل النفس.

الصفة هويتها أو هوية مجموعها هو الشيء الذى أشعرُ به أَنَا، فيجب أن يكون شعورى بَأَنَا شعورى بذلك الشيء . فإن الشيء لايجوز من جهة واحدة أن يكون مشعورا به وغير مشعور به ، وليس الأمر كذلك ، فإننى إنما أعرف أن لى قلبا ودماعا بالإحساس والسماع والتجارب ، لا لأننى أعرف أنى أَنَا ، فيكون إذن ليس ذلك العضو لنفسه الشيء الذى أشعرُ به أَنَا بالذات ، بل يكون بالعرض أَنَا ، ويكون المقصود بما أعرفه منى أنى أَنَا الذى أعنيهِ فى قولى : أَنَا أحسستُ وعقلتُ وفعلتُ ، وجمعتُ هذه الأوصاف ، شيئا آخر هو الذى أسمىه أَنَا .

فإن قال هذا القائل : إنك أيضا لاتعرفه أَنَا نفس .

فاقول : إننى دائما أعرفه على المعنى الذى أسمىه النفس^١ ، وربما لا أعرف تسميته باسم النفس . فإذا فهمتُ ما أعنى بالنفس ، فهمت أَنَا ذلك الشيء ، وأنه المستعمل للآلات من المحركة والدراكة . وإنما لا أعرف مادمت لا أفهم معنى النفس ، وليس كذلك حال قلب ولادماغ فإننى أفهم معنى القلب والدماغ ولا أعلم ذلك ، فإننى إذا عنيتُ بالنفس أَنَا الشيء الذى هو مبدأ هذه الحركات والإدراكات التى لى ومتهاها فى هذه الجملة عرفت أَنَا إما أن يكون بالحقيقة أَنَا أو يكون هو أَنَا مستعملا لهذا البدن ، فكانى الآن لا أقدر أن أميز الشعور بَأَنَا مفردا عن مخالطة الشعور بَأَنَا مستعمل للبدن ومقارن للبدن . وأما أَنَا جسم أول ليس بجسم ، فليس يجب عندى أن يكون جسما ، ولايتخيل هو^٢ لى جسما من الأجسام

١- فى تعليقة نسخة : وهو أَنَا الشيء الذى هو مبدأ هذه الحركات والإدراكات .

٢- فى تعليقة نسخة : أى الشيء الذى هو مبدأ هذه الحركات والإدراكات .

البتة، بل يتخيل لى وجوده فقط من غير جسمية . فيكون قد فهمته من جهة أنه ليس بجسم، إذ لم أفهم الجسمية، مع أنى فهمته .

ثم إذا حققت فإنى كلما عرضت^١ جسمية لهذا الشيء الذى هو مبدأ هذه الأفعال، لم يجز أن يكون ذلك الشيء جسما، فبالحرى أن يكون تمثله الأول فى نفسى أنه شيء مخالف لهذه الظواهر وأن تغلطنى^٢ مقارنة الآلات ومشاهدتها وصدور الأفعال عنها، فاظن أنها كالأجزاء منى، وليس إذا غلط فى شيء وجب له حكم، بل الحكم لما يلزم أن يعقل . وليس إذا كنت طالبا لوجوده^٣ ولكونه غير جسم فقد كنت جاهلا بهذا جهلا مطلقا، بل كنت غافلا عنه . وكثيرا ما يكون العلم بالشيء قريبا، فيغفل عنه، ويصير فى حد المجهول، ويطلب من موضع أبعد . وربما كان العلم القريب جاريا مجرى التنبيه، وكان مع خفة المؤونة فيه كالذهوب عنه، فلا ترجع الفطنة إلى طريقه لضعف الفهم، فيحتاج أن يؤخذ فيه ماخذ بعيد .

فبين من هذا أن لهذه القوى مجمعا هو الذى تؤدى كلها إليه، وأنه غير جسم وإن كان مشاركا للجسم أو غير مشارك .

وإذ قد بينا صحة هذا الراى فيجب أن نحل الشبه المذكورة .

أما الشبهة الأولى، فنقول: إنه ليس يجب إذا كانت النفس واحدة الذات أن لا تفيض عنها فى أعضاء مختلفة قوى مختلفة، بل من الجائز أن يكون أول ما يفيض عنها فى البزر والمنى قوة الإنشاء، فتنشئ أعضاء على

١- فرضت، نسخة .

٢- اغلطه أى أوقعه فى الغلط .

٣- أى وجود ذلك المبدأ .

حسب موافقة أفعال تلك القوة، ويستعدّ كلّ عضو لقبول قوة خاصة لتفويض عنه، ولولا ذلك لكان خلق البدن معطلا لها.

وأما من تشكك فجعل النفس عالمة لذاتها فهو فاسد، فإنه ليس يجب إذا كان جوهر النفس خاليا بذاته عن العلم أن يستحيل له وجود العلم. فإنه فرق بين أن يقال: إن جوهر الشيء باعتبار ذاته لا يقتضى العلم، وبين أن يقال: إن جوهره بذلك الاعتبار يقتضى أن لا يعلم، فإن لزوم الجهل مع كل واحد من القولين مختلف.

فإننا إذا سلمنا^١ أن النفس بجوهرها جاهلة، فإنما نعى أن جوهرها إذا انفرد ولم يتصل به سبب من خارج لزمه الجهل، بشرط الانفراد مع شرط الجوهر، لا بشرط الجوهر وحده. ولسنا نعى بهذا أن جوهرها جوهر لا يعرّى عن الجهل.

وإن لم نسلم، بل قلنا: إن ذلك^٢ أمر عارض لها، فليس يجب أن يكون مثل هذا العارض واردا على الأمر الطبيعى، فإنه ليس إذا قلنا: إن الخشبية خالية عن صورة السريرية، وأن ذلك الخلو ليس لجوهرها^٣، بل أمر عارض لها جائز الزوال، كان هذا القول كائناً نقول^٤: يجب أن يكون قد كانت فيه صورة السريرة فانفسخت^٥.

من المحال أيضا ما قاله المتشكك من ارتداد الشيء^٦ إلى ذاته، فإن

١- فإننا وإن سلمنا، نسخة.

٢- أى كون النفس بجوهرها جاهلة.

٣- بجوهرها، نسخة.

٤- كأنك تقول يجب، نسخة.

٥- ثم انفسخت، نسخة.

٦- أى النفس.

الشيء لا يغيب البتة عن ذاته ، بل ربما قيل إنه قد يغيب عن أفعال تختص بذاته ، وتم بذاته وحدها ، وإنما يتوسع فيقال هذا ، لأن هذه الأفعال لا تكون موجودة له ، بل لا تكون موجودة أصلا . وأما ذاته فكيف تكون غير موجودة لنفسها وبالحقيقة ، فإن أفعاله لا يجوز أن يقال فيها إنه يغيب عنها لأن الغائب هو موجود فى نفسه غير موجود للشيء ، وهذه الأفعال ليست موجودة أصلا إلا وقت ما يوجد لها فلا يكون غائبا عنها ، وأما ذات الشيء فلا يغيب الشيء عنه ولا يرجع إليه .

وأما أصحاب التذكر فقد نقض احتجاجهم فى الصناعة الآلية^١ .
وأما حجة هؤلاء الذين يجزئون النفس فقد أخذ فيها مقدمات باطلة ، من ذلك قولهم : إنه توجد النفس النباتية مفارقة للحساسة ، فيجب أن يكون فى الإنسان شيء آخر غيره . فإن هذه المقدمة سوفسطائية .
وذلك لأن المفارقة تتوهم على وجوه ، والتي يحتاج إليها هاهنا وجهان : أحدهما أنه قد تتوهم لها مفارقة ، كما للون عن البياض وللحيوان عن الإنسان إذ توجد هذه الطبيعة فى غير البياض وتلك فى غير الإنسان بأن يقارن كل^٢ فصلا آخر .

وقد تتوهم مفارقة ، كما للحلاوة المقارنة للبياض فى جسم . فإنها قد توجد مفارقة له ، فتكون الحلاوة والبياض قوتين مختلفتين لا يجمعهما

١- قوله قدس سره : «فى الصناعة الآلية» يعنى بها المنطق . وفى بعض النسخ حرقت الآلية بالآلهية . قال - قدس سره - فى الفصل العاشر من رابعة برهان الشفاء وهو آخر كتاب البرهان : «وإن كنا نعلم ثم نسينا ، متى كنا نعلم وفى أى وقت نسينا وليس يجوز أن نعلمها ونحن أطفال ونساها بعد الاستكمال ثم نتذكرها بعد مدة أخرى عند الاستكمال ...» فراجع .

٢- أى كل من اللون والحيوان .

شئ واحد^١. واليق المفارقات بالنفس النباتية للنفس الحساسة هو القسم الأول، وذلك لأن النفس النباتية الموجودة فى النخلة لاتشارك القوة النامية الموجودة فى الإنسان البتة فى النوع^٢، فإن تلك القوة^٣ ليست بحيث تصلح لأن تقارن النفس الحيوانية البتة، ولا القوة النامية التى فى الحيوان تصلح لأن تقارن النفس النخلية، ولكن يجمعهما معنى واحد^٤ وهو أن كل واحدة منهما تغذى وتنمى وتولد وإن كانت تنفصل عنه بعد ذلك بفصلٍ مقومٍ منوع، لايعرض فقط. والمعنى الموجود فيهما جميعا هو جنس القوة النباتية التى للإنسان، ويفارق على جهة مايفارق المعنى الجنسى.

ونحن لانمنع أن يوجد جنس هذه القوى لأشياء أخرى، وليس فى ذلك أنه يجب أن لاتجتمع هذه القوى فى الإنسان لنفس واحدة، بل ليس يجب من ذلك أن لاتكون الطبيعة النامية الموجودة فى الحيوان مقولة على النفس الحيوانية التى له حتى تكون نفسه الحيوانية هى تلك القوة، كما أن الإنسان ليس شيئا غير حصته فى جنس الحيوانية. وهذا شئ قد تحقق لك فى المنطق، فهذا ليس يوجب أن تكون النفس النباتية التى فى الإنسان غير النفس الحيوانية، فضلا عن أن تكونا قوتى نفس واحدة، فليس إذن النباتية التى فى الإنسان توجد البتة مفارقة بنوعها للإنسان^٥.

١- أى معنى واحد جنسى. وفى نسخة مصححة: «لا يجمعهما شئ واليق ...»

٢- بل فى الجنس.

٣- أى التى فى النخلة.

٤- أى جنسى.

٥- بل تكون مفارقة بجنسها.

واحتجاجهم غير منتفع به إذا كانت القوة لاتفارق بنوعيتها، بل بجنسيتها، وهما مختلفان. ومع ذلك فلنضع القوة النباتية فى الحيوان مخالفة للقوة الحيوانية فيه، كأن كل واحدة منهما نوع محصل منفرد بنفسه، وليس أحدهما الآخر، ولما قولاً عليه، فما فى ذلك مما يمنع أن تكون القوتان جميعاً فى الحيوان^١ لنفس الحيوان، كما أنه ليس إذا وجدت الرطوبة فى غير الهواء، وليست مقارنة للحرارة، يجب من ذلك أن لاتكون الرطوبة والحرارة فى الهواء لصورة واحدة أو لمادة واحدة، وليس إذا كانت حرارة توجد غير صادرة عن الحركة، بل عن حرارة أخرى، يجب من ذلك أن الحرارة فى موضع آخر ليست تابعة للحركة.

ونقول: ليس يمنع أن تكون هذه القوى متغايرة بالنوع أيضاً، وتنسب إلى ذات واحدة هى فيها. فاما كيفية تصور هذا فهو أن الأجسام العنصرية^٢ تمنعها صرفية التضاد عن قبول الحياة، فكلما أمعنت فى هدم

١- فى تعليقه نسخة: أى تكون نفس الحيوان أصلاً والقوة الحيوانية والنباتية تابعتان لها.
 ٢- قوله قدس سره: «إن الأجسام العنصرية» هذا أصل قويوم وأساس رصين فى البحث عن اعتدال المزاج وفيضان النفس والمعارف عليها بحسبه ومنه تستفاد كثير من المسائل الحكمية المتقنة، منها احكام النفوس المكتفية كعلم الإمام واخباره عن المغيبات مثلاً، ومنها البحث عن التضاد كما عنون فى الفصلين الرابع والخامس من الموقف الثامن من الهيئات الاسفار من انه لولا التضاد ماصح حدوث الحادثات، وأنه لولا التضاد لما صح الكون والفساد، وأنه لولا التضاد ما صح دوام الفيض من المبدأ الجواد (ص ١١٦- ١١٨ ج ٣ ط ١).

ثم تمجد البحث عن المضادة الاولى فى سادس الثالثة من الهيآت هذا الكتاب، أعنى الشفاء، ايضاً مايجديك فى البحث عن التضاد، وتفصيل البحث عن ذلك يطلب فى رسالتنا فى التضاد.

طرّف من التضاد و ردّه إلى التوسط الذى لا ضد له جعلت تضرب إلى شبه بالاجسام السماوية ، فتستحق بذلك قبول قوة مُحْيية من الجوهر المفارق المدبر .

ثم إذا ازدادت قريبا من التوسط ازدادت قبول حياة حتى تبلغ الغاية التى لا يمكن أن يكون أقرب منها إلى التوسط ، ولا أهدم منها للطرفين المتضادين ، فتقبل جوهرًا مقارب الشبه من وجه مّا للجوهر المفارق كما للجواهر السماوية ، فيكون حينئذ ما كان يحدث فى غيره من المفارق يحدث فيه من نفس هذا الجوهر المقبول المتصل به الجوهر .

ومثال هذا فى الطبيعيات : لتوهّم مكان الجوهر المفارق نارا أو شمسا ، ومكان البدن جرما يتأثر عن النار وليكن كرة ما^١ ، وليكن مكان النفس النباتية تسخينها إياها ، ومكان النفس الحيوانية إنارتها فيها ، ومكان النفس الإنسانية اشتعالها فيها نارا .

فنقول : إن ذلك الجرم المتأثر كالكرة^٢ ، إن كان ليس وضعه من ذلك المؤثر فيه وضعًا يقبل الاشتعال منه نارا ولا إضاءة وإنارة ، ولكن وضعًا يقبل تسخينه لم يقبل غير ذلك . فإن كان وضعه وضعًا يقبل تسخينه ، ومع ذلك هو مكشوف له أو مستشف أو على نسبة إليه يستنير بها عنه استنارة قوية ، فإنه يتسخّن عنه ويستضىء معا ، ويكون الضوء الواقع فيه منه هو مبدأ أيضا مع ذلك المفارق لتسخّنه . فإن الشمس إنما تسخن بالشعاع ، ثم إن كان الاستعداد أشدّ وهناك ما من شأنه أن يشتعل عن المؤثر الذى من

→

ثم فى عدة مواضع من تمهيد القواعد لصائن الدين على بن تركة يبحث عن الاعتدال المذكور فى معرفة الانسان الكامل نافعة جداً فراجع .
١ و ٢- «كوة ما» ، «الكوة» كما فى نسخة مصحّحة .

شأنه أن يحرق بقوته أو شعاعه اشتعل فحدثت الشعلة جرماً شبيهاً بالمفارق من وجهه، وتكون تلك الشعلة أيضاً مع المفارق علة للتنوير والتسخين معا حتى لوبقيت وحدها لاستتم أمر التنوير والتسخين، ومع هذا فقد كان يمكن أن يوجد التسخين وحده، أو التسخين والتنوير وحدهما، ولم يكن المتأخر منهما مبدأ يفيض عنه المتقدم^١، وكان إذا اجتمعت الجملة^٢ يصير حيثئذ كل ما فرض متأخراً مبدأً أيضاً للمتقدم وفائضاً عنه المتقدم.

فهكذا فليتصور الحال في القوى النفسانية وسيأتى في بعض الفنون المتأخرة ما نشرح صورة الأمر في هذا حيث نتكلم في تولد الحيوان.

١- في تعليقة نسخة: أى إذا كان وحده لا يكون فيه المتقدم والمتأخر حتى يقال إن المتأخر يفيض عنه المتقدم.

٢- قوله قدس سره: «وكان إذا اجتمعت الجملة...»، أقول النبات والقوة النباتية متقدمة على الحيوانية وهى على الانسانية فكل واحدة منهما لا تكون علة انشائية للمتقدمة منها اذا لوحظت بحسب نوعيتها وكذلك للمتأخرة عنها، وأما اذا اجتمعت كالنفس الانسانية مثلاً كانت المتأخرة علة منشئة للمتقدمة منها وذلك لان النفس النطقية اذا وجدت كانت ماقبلها من النباتية والحيوانية منشأة معها بوجودها الجمعى الاحدى. فافهم. ١٣٦٣/٣/٥ هـ. ش.

الفصل الثامن

فى بيان الآلات التى للنفس

فبالحرى أن نتكلم الآن فى الآلات للنفس، فنقول :

إنه قد أفرط الناس فى أمر الأعضاء التى تتعلق بها القوة الرئيسة من النفس إفراطا فى جنبتي اللجاج، وركنوا إلى تعسف كثير وتعصب شديد مال إليه كل واحد من الفريقين حتى خرج من الحق .

وأكثرهم غلطا من جعل النفس ذاتا واحدة وقضى مع ذلك أن الأعضاء الرئيسة كثيرة، فإنه لما خالف فيه الفلاسفة القائلة بتكثر أجزاء النفس، ووافق من قال بوحدانيتها، لم يعلم أنه يلزمه أن يجعل العضو الرئيس واحدا، وهو الذى يكون به أوّل تعلق النفس . وأما المكثرون لأجزاء النفس فما عليهم أن يجعلوا لكل جزء منه معدنا مخصوصا ومركزاً مفرداً .

فنعول أولا : إن القوى النفسانية البدنية مطيتها الأولى جسم لطيف نافذ فى المنافذ روحانى، وإنّ ذلك الجسم هو الروح، وإنه لولا أن قوى النفس المتعلقة بالجسم تنفذ محمولة فى جسم لما كان سدّ المسالك حابسا لنفوذ القوى المحركة والحساسة والمتخيلة أيضا، وهو حابس

ظاهر الحبس عند من جرّب التجارب الطبية، وهذا الجسم نسبته إلى لطافة الأخلاط وبخاريتها^١ نسبة الأعضاء إلى كثافة الأخلاط، وله مزاج مخصوص، ومزاجه يتغير أيضا بحسب الحاجة إلى اختلاف يقع فيه ليصير به حاملا لقوى مختلفة، فإنه ليس يصلح المزاج الذى منه يغضب للمزاج الذى معه يشتهى أو يحس، ولا المزاج الذى يصلح للروح الباصر هو بعينه الذى يصلح للروح المحرك. ولو كان المزاج واحدا لكانت القوى المستقرة فى الروح واحدة وأفعالها واحدة، فإذا كانت النفس واحدة. فيجب أن يكون لها أول تعلق بالبدن، ومن هناك تدبّره وتنميه، وأن يكون ذلك بتوسط هذا الروح، ويكون أول ما تفعل النفس، تفعل العضو الذى بوساطته تنبعث قواه فى سائر الأعضاء بتوسط هذا الروح، وأن يكون ذلك العضو أول متكوّن من الأعضاء وأول معدن لتولد الروح. وهذا هو القلب^٢، يدل على ذلك ما حققه التشريح المتقن، وستزيد هذا المعنى شرحا فى الفن الذى فى الحيوان.

فيجب أن يكون أول تعلق النفس بالقلب، وليس يجوز أن تتعلق بالقلب ثم بالدماغ، فإنها إذا تعلقت بأول عضو صار البدن نفسانيا، وأما

١- فى تعليقة نسخة: أى الروح تحصل من لطافة الأخلاط كما أن الأعضاء تحصل من كثافة الأخلاط.

٢- قال الأملى فى شرح القانون: اختلفوا فى أول ما يتكوّن من الأعضاء، فذهب القدماء من الأطباء إلى أنه فقرات الظهر لأنها أساس البدن. وذهب بقراط إلى أنه الدماغ. وقال محمد بن زكريا إنه الكبد. وقال الشيخ هو السرة إذ منها يأتى غذاء الجنين ولولاها لم يتحقق شيء من الأعضاء. وهذا ضعيف لجواز أن يكون تكوّن العصب مقدّماً عليها لكن ظهوره حساً وتمامه يكون مؤخراً. »

الثانى فإنما تفعل لامحالة بتوسط هذا الاول . فالنفس تحيى الحيوان بالقلب ، لكن يجوز أن تكون قوى الأفعال الأخرى تفيض من القلب إلى الأعضاء الأخرى ، لأن الفيض يجب أن يكون صادرا من أول متعلق به ، فيكون الدماغ هو الذى يتم فيه مزاج الروح الذى يصلح لأن يكون حاملا لقوى الحس والحركة إلى الأعضاء حملا يصلح معه أن تصدر عنها أفعالها . وكذلك حال الكبد بالقياس إلى قوى التغذية ، ولكن يكون القلب هو المبدأ الأول الذى أول تعلقه به ومنه ينفذ إلى غيره ويكون الفعل فى أعضاء أخرى . كما أن مبدأ الحس عند مخالفى هذا القول إنما هو فى الدماغ ، لكن أفعال الحس لا تكون به وفيه ، بل فى أعضاء أخرى كالجلد وكالعين وكالأذن .

وليس يجب من ذلك أن لا يكون الدماغ مبدأ ، لذلك أيضاً لجواز أن يكون القلب مبدأ لقوى التغذية ولكن أفعالها فى الكبد ، ولقوى التخيل والتذكر والتصور ولكن أفعالها فى الدماغ ، بل ينبغى أن يكون المبدأ للقوى المختلفة غير صالح لأن يصدر عن معدنها جميع أفعالها ، بل يجب أن تتفرع فى آلات مختلفة تتخلق بعد ذلك العضو تخلقا وتفيض من ذلك العضو إليها قوة ملائمة لمزاج ذلك القرع واستعداده ، على ما ستقف عليه فى ذكر الحيوان ، حتى لا يكون على العضو الذى هو المبدأ ثقل .

ولذلك خلقت العصب للدماغ والأوردة للكبد ، كان الدماغ والكبد مبدأين أوليين للحس والحركة والتغذية أو كانا مبدأين ثانيين . وإذا فاض من القلب قوة التكوين والتخليق إلى الدماغ فيكون الدماغ ؛ فلاكثير بأس بأن يكون الدماغ يرسل من نفسه آلة يستمد بها الحس والحركة من القلب ،

أو يكون القلب ينفذ إليه^١ الآلة التي بتوسطها ينفذ إليه^٢ الحس والحركة. فلا يجب أن يقع من المضايقة في أمر خلقه العصب أن مبدأها من القلب أو من الدماغ ما هو ذا يقع، بل نسلم أنه من الدماغ ويستمد من القلب، كما أن الكبد يُرسل إلى المعدة ما يستمد منها فيه ولها أيضا عروق تمد غيرها بها. فليس يجب أن يكون العضو الذي هو مبدأ قوة فيه^٣ أيضا أول أفعال تلك القوة، وأن يكون^٤ آلة لأفعال تلك القوة، بل يجوز أن تكون الآلة خلقت للاستمداد من شيء آخر، وأن يكون إنما يستمد بعد تخلّقها^٥، حتى يكون الدماغ أول ما يخلق لم يكن مبدأ للحس والحركة بالفعل، بل مستعدا لأن يصير مبدأ ما للأعضاء التي بعده إذا استمد من غيره بعد أن تتخلق آلة الاستمداد من غيره له، فلما تخلق منه عصب ذاهب إلى القلب استمد الحس والحركة منه^٦ حينئذ. ويمكن أن يكون^٧ مع تخلق هذا المنفذ بلا تاخير فلا تكون في نفوذه عنه^٨ إلى القلب حجة أيضا ولا شبه حجة، بل كما يخلق الدماغ يخلق معه من مادته شيء نافذ إلى القلب غريب عن القلب استمد منه الحس والحركة. على أن نبات هذا العصب من الدماغ ومصيره منه إلى القلب ليس شيئا يظهر الظهور الذي يظنه مدعى نبات العصب الذي بين الدماغ والقلب من الدماغ إلى القلب لا من القلب إلى الدماغ، على ما

١- أي إلى الدماغ.

٢- أي بتوسط تلك الآلة ينفذ إلى الدماغ.

٣ أو ٤- أي العضو.

٥- أي بعد تخلّف الآلة.

٦- أي استمد الدماغ الحس والحركة من القلب.

٧ أو ٨- أي الدماغ.

سنوضحه فى محله من كلامنا فى طبائع الحيوان ونطول الكلام فيه طولا يشفى ويقنع .

ومع ذلك فلنعد إلى معاملة أخرى ، فنقول :

إنه ليس بمستحيل أن يكون مبدأ وجود قوة هو فى عضو ، فينفذ من ذلك العضو إلى عضو آخر ، وهناك يتم القوة ويستكمل ، ثم تنعطف إلى هذا العضو الأول فيرفده^١ . فإن الغذاء إنما يصير إلى الكبد من المعدة ، ثم إذ صار هنالك على نحو ماعاد فغذاً المعدة فى عروق تنبعث عن الطحال والأجوف^٢ وتنبت فى المعدة ، فلاضير أن يكون مبدأ القوة^٣ ينبعث من القلب مثلاً ولا تكون القوة فى القلب كاملة تامة^٤ ثم إنها تفيد القلب إذا استكملت فى عضو آخر^٥ . وهكذا حال الحس المشترك ، فإن مبدأ القوة الحساسة الجزئية منها ، ثم إنها تعود إليه بالفائدة .

على أن حس القلب نفسه - وخصوصاً اللمس - أعظم من حس الدماغ نفسه ، ولذلك أوجاعه لا تختمل ، وعلى أنه ليس بممتنع فى القوى أن تصير أقوى وأشد فى غير مبادئها لمصادفة مواد تجعلها بتلك الحال .

١- الرغد الإعطاء والإعانة .

٢- هو عرق نابت من حذابة الكبد .

٣- أى الروح الحيوانى .

٤- قال حكيم على فى شرح القانون : التكوّن أى تكوّن الروح إنما هو فى القلب فقط وهذا الروح الحيوانى يقوم بالافعال كلها إلا أنه لفرط حرارته ولطافته يخاف عليه من التحلل فى الحركات والانفعالات فالقسط الذى يقوم بالحس والحركة يستفيد من برد مزاج الدماغ اعتدالاً يلقى بهما . والقسط الذى يقوم بالتغذية يستفيد من رطوبة مزاج الكبد اعتدالاً يلقى بها .

٥- أى الدماغ أو الكبد .

ويشبه أن تكون قوة أطراف الأوتار على الجذب أشد من قوة أوائلها التي تلى العصب .

فالقلب مبدأ أول^١ تفيض منه إلى الدماغ قوى : فبعضها تتم أفعالها فى الدماغ وأجزائه كالتهيل والتصور وغير ذلك . وبعضها تفيض من الدماغ إلى أعضاء خارجة عنه كما تفيض إلى الحديقة وإلى العضل المحركة ، وتفيض من القلب إلى الكبد قوة التغذية . ثم تفيض من الكبد بتوسط العروق فى جميع البدن وتغذى القلب أيضاً ، فتكون القوة مبدؤها من القلب ، والمادة^٢ مبدؤها من الكبد .
وأما القوى الدماغية :

فإن البصر يتم بالرطوبة الجليدية التي هى كالماء الصافى ، فتقبل صور المبصرات وتؤديها إلى الروح الباصر ، ويكون تمام الإبصار عند ملتقى العصبية المخوفة ، على ما علم من تشريحه وتعريف حاله .
وأما الشم فبزائدتين من مقدم الدماغ كحلمتى الثدي .
وأما الذوق فبأعصاب دماغية تأتى اللسان والحنك وتؤتيهما قوة الحس والحركة .

وأما السمع فبأعصاب دماغية أيضاً تأتى الصماخ فتغشى السطح المحيط به .

١- قال الأملى فى شرح القانون : ذهب قوم إلى أن منبت العروق كلها من ناحية العينين والحاجبين ثم ينحدر يمنة ويسرة . وقيل أصل الجميع عرقان يتدان من البطن . وقيل أصلها أربعة أزواج من الدماغ . ولم يذهب إلى شيء من ذلك أحد من المشرحين . وقال المعلم الأول : القلب هو مبدأ الأعصاب والشرايين والأوردة بناء على أن النفس واحدة وأول تعلقها بالقلب فيكون القلب مبدأ الجميع .
٢- أى المادة الغذائية .

وأما اللمس فبأعصاب دماغية ونخاعية تنتشر فى البدن كله .
وأكثر عصب الحس من مقدم الدماغ ، لأن مقدم الدماغ ألين ، واللين أنفع فى الحس ، ومقدم الدماغ كما يتأدى إلى خلف وإلى النخاع فيصير أصلب ليتدرج إلى النخاع الذى يجب أن تُعين دقته الصلابة . وأكثر عصب الحركة التى من الدماغ إنما ينبت من مؤخر الدماغ ، لأنه أصلب ، والصلابة أنفع فى الحركة وأعون عليها . والعصب التى للحركة فى أكثر الأمر تتولد منها العضل ، فإذا جاوزت العضل حدث منها ومن الرباطات الأوتار^١ ، وأكثر اتصال أطرافها بالعظام وقد تتصل فى مواضع بغير العظام ، وقد تتصل العضلة نفسها بالعضو المحرك من غير توسط وتر . والنخاع كجزء من الدماغ ينفذ فى ثقب الفقرات ، لشلا يبعد ما يتولد من العصب من الأعضاء ، بل يتولد منها العصب مرسله بالقرب إلى الموضع المحتاج كونها به .

وأما القوة المصورة^٢ والحس المشترك فهما من مقدم الدماغ فى روح يملأ ذلك التجويف ، وإنما كانا هناك ليطلأ^٣ على الحواس التى أكثرها إنما تنبعث من مقدم الدماغ ، فبقى الذكرو الفكر فى التجويفين الآخرين ،

١- فى تعليقة نسخة : الرباط هى اجسام شبيهة بالعصب فى البياض واللانة تأتى من العظم الى العظم توصل بين طرفى عظم المفاصل كرباطات الرندين أو بين اعضاء آخر كالرباط الذى يربط العصب بالليف وقد يخص هذا باسم العقب وليس لشيء من الروابط حس لئلا يتأذى بكثرة ما يلزم من الحركة .

والاوتار هى أجسام تثبت من اطراف اللحم اى العضل شبيهة بالعصب فتلقى الاعضاء المتحركة فتارة تجذبها بانجذابها وتارة ترخيها بارخائها .

٢- اى الخيال .

٣- اطلأ عليه : اشرف .

لكن الذكر قد تأخر موضعه ليكون مكان الروح المفكرة^١ متوسطا بين خزانة الصورة وخزانة المعنى ، وتكون مسافته بينهما واحدة .

والوهم مستول على الدماغ كله وسلطانه فى الوسط^٢ .

وأخلق بأن يتشكك فيقول : كيف ترسم صورة جبل بل صورة العالم فى الآلة اليسيرة التى تحمل القوة المصورة؟

فنقول له : إن الإحاطة بانقسام الأجسام إلى غير نهاية تكفى مؤونة هذا التشكك ، فإنه كما يرسم العالم فى مرآة صغيرة وفى الحدقة بأن ينقسم ما يرسم فيه بحداء اقسامه ، إذ الجسم الصغير ينقسم بحسب قسمة الكبير عددا وشكلا ، وإن كان يخالف القسمُ القسمَ فى المقدار ، فكذلك حال ارتسام الصور الخيالية فى موادها . ثم تكون نسبة ما يرسم فيه الصورة الخيالية بعضها إلى بعض فى عظم ما يرسم فيه وصغر ما ترسم فيه ، نسبة الشيتين من خارج فى عظمهما وصغرهما مع مراعاة التشابه فى البعد^٣ .

وأما قوة الغضب وما يتعلق بها فلم تحتج إلى عضو غير المبدأ^٤ ، لأن فعلها فعل واحد ويلائم المزاج الشديد الحر وتحتاج إليه ، وليس تأثير المتفق منه أحيانا تأثير المتصل من الفكرة والحركة حتى يخاف أن يشتعل اشتعالا مفرطا ، وذلك لأنه مما يعرض أحيانا ، ذلك^٥ كاللازم . ومثل الفهم

١- أى المتصورة .

٢- فى تعليقة نسخة : أى الجزء المؤخر من البطن الاوسط والجزء المقدم من البطن الاوسط

محل المتصورة .

٣- أى فى المقدار .

٤- وهو القلب .

٥- ذاك ، نسخة .

والفكرة وما يشبههما مما يحتاج إلى ثبات وإلى قبول . ويجب أن يكون^١ العضو المعدّ لهما أرطب وأبرد، وهو الدماغ، لئلا يشتعل الحار الغريزي اشتعالا شديدا، وليقاوم الالتهاب الكائن بالحركة .

ولما كانت التغذية مما يجب أن يكون بعضو عديم الحس حتى يمتلئ من الغذاء ويفرغ منه، فلا يوجعه ذلك، ولا يتألم كثيرا بما ينفذ فيه ومنه وإليه، وإن يكون أرطب جدا كيما يحفظ الحار القوي بالمعادلة والمقاومة، فجعل ذلك العضو الكبد وجعل قوة التوليد في عضو آخر شديد الحس ليُعين على الدعاء إلى الجسماع بالشَّبَق^٢، وإلا لم يكن بتكلف ذلك لو لم يكن فيه لذة وإليه شَبَق، إذ لا حاجة إليه في بقاء الشخص^٣. واللذة تتعلق بعضو حساس فجعل له الأنثيان وأعيتنا بآلات أخرى بعضها لجذب المادة وبعضها لدفعها، كما يأتيك ذكره حيث نتكلم في الحيوان .

هذا آخر كتاب النفس وهو الفن السادس من الطبيعيات .

١- في تعليقة نسخة: قوله: «ويجب أن يكون» ظننى أن الواو من إلحاق النسأخ و «يجب» خير لقوله: «ومثل الفهم والفكرة». ولكن في تعليقة أخرى جعل قوله: «مما يحتاج» خبراً. وفي نسخة مصححة عندنا «فيجب» مكان «ويجب».

٢- الشَّبَق بالتحريك شدة الميل إلى الجماع.

٣- في تعليقة نسخة: بل الحاجة اليه في بقاء النوع.

فهرس الموضوعات

الفن السادس من الطبيعيات

المقالة الأولى

- الفصل الاول: فى إثبات النفس وتحديدها من حيث هى نفس ١٣
- الفصل الثانى: فى ذكر ما قاله القدماء فى النفس وجوهرها وتقضه ٢٨
- الفصل الثالث: فى أنّ النفس داخلة فى مقولة الجوهر ٤١
- الفصل الرابع: فى تبين أنّ اختلاف أفاعيل النفس لاختلاف قواها ٤٧
- الفصل الخامس: فى تعديد قوى النفس على سبيل التصنيف .. ٥٤

المقالة الثانية

- الفصل الاول: فى تحقيق القوى المنسوبة إلى النفس النباتية ٧٣
- الفصل الثانى: فى تحقيق أصناف الإدراكات التى لنا ٨١
- الفصل الثالث: فى الحاسة اللمسية ٩٣
- الفصل الرابع: فى الذوق والشم ١٠٦
- الفصل الخامس: فى حاسة السمع ١١٥

المقالة الثالثة

- الفصل الاول: فى الضوء والشفيف واللون ١٢٧

- الفصل الثانى : فى مذاهب وشكوك فى امر النور والشعاع وفى ان النور ليس بجسم
 ١٣٤... بل هو كيفية تحدث فيه
- الفصل الثالث : فى تمام مناقضة المذاهب المبطله لان يكون النور شيئا غير اللون
 ١٤١... الظاهر وكلام فى الشفاف واللامع
- الفصل الرابع : فى تأمل مذاهب قيلت فى الالوان وحدوثها.....
 ١٥١... الفصل الخامس : فى اختلاف المذاهب فى الرؤية وإبطال المذاهب الفاسدة بحسب
 ١٦٣... الامور انفسها
- الفصل السادس : فى إبطال مذاهبهم من الاشياء المقولة فى مذاهبهم.....
 ١٨٠... الفصل السابع : فى حل الشبه التى اوردوها وفى اتمام القول فى البصيرات التى لها
 ١٩٧... اوضاع مختلفة من مشقات ومن صقيلات
- الفصل الثامن : فى سبب رؤية الشيء الواحد كشيئين.....
 ٢٠٨...

المقالة الرابعة

- الفصل الاول : فيه قول كلى على الخواص الباطنة التى للحيوان.....
 ٢٢٧... فى اثبات الحس المشترك.....
 ٢٢٧... فى اثبات الخيال.....
 ٢٢٩... فى اثبات القوة المتصرفه.....
 ٢٣٠... فى اثبات الواهمة.....
 ٢٣٠... الفصل الثانى : فى افعال القوة المصورة والمفكرة من هذه الخواص الباطنة.....
 ٢٣٥... فى النوم واليقظة.....
 ٢٤٩... سبب تنويم الافكار.....
 ٢٥٠... الفصل الثالث : فى افعال القوى المتذكّرة والوهمية وفى ان افعال هذه القوى
 ٢٥٢... كلها بآلات جسمانية
- الفرق بين الذكر والتذكر.....
 ٢٥٥... الفصل الرابع : فى احوال القوى المحركة وضرب من النبوة المتعلقة بها.....
 ٢٦٧... كلام سام جداً فى تأثير النفوس.....
 ٢٧٤...

المقالة الخامسة

الفصل الاول : فى خواص الافعال والانفعالات التى للإنسان وبيان قوى النظر

والعمل للنفس الانسانية. ٢٧٩.....

الفصل الثانى : فى اثبات ان قوام النفس الناطقة غير منقطع فى مادة جسمانية ٢٨٨..

البرهان الاول على تجرد النفس الناطقة ٢٨٨.....

البرهان الثانى على تجرد النفس الناطقة ٢٩٤.....

البرهان الثالث على تجرد النفس الناطقة ٢٩٤.....

البرهان الرابع على تجرد النفس الناطقة ٢٩٥.....

البرهان الخامس على تجرد النفس الناطقة ٢٩٦.....

البرهان السادس على تجرد النفس الناطقة ٢٩٦.....

البرهان السابع على تجرد النفس الناطقة ٢٩٩.....

البرهان الثامن على تجرد النفس الناطقة ٣٠٠.....

الفصل الثالث : يشتمل على مسالتين : إحداهما كيفية انتفاع النفس الإنسانية

بالحواس ؛ والثانية إثبات حدوثها . ٣٠٤.....

الفصل الرابع : فى ان النفس الانسانية لا تنفسد ولا تتناخ . ٣١٢.....

الفصل الخامس : فى العقل الفعال فى انفسنا والعقل المنفعل عن انفسنا. ٣٢١.....

العقول التى لا يخالطها ما بالقوة لا تعقل العدم والشر ٣٢٥.....

الفصل السادس : فى مراتب افعال العقل وفى اعلى مراتبها وهو العقل القدسى ٣٢٦.....

تعريف الخدس والذكاء ٣٣٩.....

القوة القدسية ٣٤٠.....

الفصل السابع : فى عدّ المذاهب الموروثة عن القدماء فى امر النفس وفعالها وانها

واحدة او كثيرة وتصحيح القول الحق فيها ٣٤١.....

الفصل الثامن : فى بيان الآلات التى للنفس ٣٥٧.....

الفصل الخامس من النظرية النباتية

قد استوفينا في الفن الاول الكلام على الامور العامية في
الطبيعات ثم تلونا الفن الثاني في معرفة الاجرام والقوى
والحركات الذرية في عالم الطبيعة وحققنا احوال الاحياء
التي لا تقسد والتي تقسد ثم تلونا بالكلام على الكون والفساد
واسطعسانه ثم تلونا بالكلام على افعال الكيفيات الاولى
وانفعالاتها والامزجة المتولدة منها وبقي لنا ان نتكلم على
الامور الكائنة فكانت الجملادات وما لاحسن له ولا حكمة
ارادية اقدمها واقر بها تكونا من العناصر فتكلمنا فيها
على الفن الخامس وبقي لنا من العلم الطبيعي النظر في امور
النبات والحيوانات ولما كان النبات والحيوانات مبعوثين
الذوات عن صورة في النفس ومادة هي الجسم والاعضي
وكان اولهما يكون علما بالشي هو ما يكون من جهة صورته
رابعا ان نتكلم أولا في النفس فلم نر ان نتر علم النفس فنكلم
اولا في النفس النباتية والنبات ثم في النفس الحيوانية
والحيوان ثم في النفس الانسانية والانسان فاننا لم نعمل
ذلك لامر من احد هما لان هذا التنبيه مما يوعو ضبط علم
النفس المناسب بعينه لبعض والثاني ان النبات يشارك
الحيوان في النفس التي لها فعل النمو والتقوية والتوليد
ومجيئة الجمالة ان يفصل عنه بقوي نفسانية تختص به
ثم يختص انواعه والذي يمكننا ان نتكلم عليه من اموره
نفس النبات هو ما يشارك فيه الحيوان ولنا نشعر
كثير شعور بالفصول المبيعة لهذا المعنى الجسمي في
النبات واذا كان الامر كذلك لم يكن نسبة هذا القسم
من النظر الى انه كلام في النبات او كفي منه الى انه كلام في
الجسم ان اذ كانت نسبة الحيوانات الى هذه النفس نسبة
النبات وكذلك ايضا حال النفس الحيوانية بالنسبة الى
الانسان والحيوانات الاخرى اذ كنا انما نريد ان نتكلم في
النفس النباتية والحيوانية من حيث هي مشتركة وكان لا علم

حقاً وأما المودى إذا كان عظيماً ومهيبة في النفس مثل الملوك ومن
 يشبههم فإن اليأس والخوف يمنع تقرر صورة الشوق إلى الانتقام في النفوس
 ولا يمكن من ثباتها فلا يثير في الشوق ولا صورة الأذى في النوم والخيال
 وأما يثير في الخوف فقط الذي يشوق في الحرب لا إلى البطش ولا يستعد
 حينئذ صورة الخوف في النفس وأما الصبيان والضعفاء لأن سهولة
 إمكان الانتقام منهم وقلة الخوف عنهم يكون كان الأمر قد وقع فإن الشغل
 جداً يكاد يشبه عند الخيال بالواقع والموجود والخيال أقل تهوراً على
 ما يقع له لا على ما الأمر يحسبه وإذا كان الشغل عنده كالحاصل يكون
 الانتقام من الضعفاً كالموجود فيسقط الشوق إليه أولاً وهذا غلابة
 ولا يكون والدليل على أن حال التقليل في باب الرغبة والرغبة مبني
 على المحاكاة لا على الحقائق نفوز الإنسان عن شيء فقل لنريد لا شبعه
 بل في قدر يشبع وكان يفرض عن ذوات الطعوم المستطابة إذا كان البوان
 اجساماً وأشكالها شبيهة بالبوان اجسام مستقدرة وأشكالها
 وإن كان التصديق لا يقع به فذلك إذا أشبه أمر ما بالسهولة
 الوصول الحاصل الموجود وذلك انشغل الخيال منه انشغاله عن الحاصل
 الموجود فقد نظر إلى المزاج الأخير ما ذكرناه من الأمثلة مستعد للتحقق
 جداً فهذا الحق ما نقله أبو عبد الله في قوله ذلك الكتاب إلى هذا القول
 • من كتاب النفس •

تمت المقالة الرابعة من الفن السادس من الطبيعيات وبتمامها تم السفر
 • الثالث والحمد لله •

اللهم اغفر لكتابيه ولتجملته السعيدة السعيدة زبيدة واغفر لوالديه
 ولوالدي والديه واغفر لكافة المسلمين اجمعين امين • اللهم اغفر
 وسلم وبارك على افضل عبادك سيدنا محمد وعلى آله واصحابه اجمعين
 • سبحانك اللهم رب الاربع سماويات •

• وسلام على المرسلين •

• والحمد لله •

• والحمد لله •

سورة الحمد على ما فيه

واشهد ان محمداً رسول الله

أشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له

[illegible]

الكذب على الله تعالى في عيشة آخرته من الحسن لم يكن
 معنى له عار الى اجماع بالشئ الا لم يكن يتكلف في كذب
 لو لم يكن منه لذة والله شوا ولا حاجة الى ان يعاد
 التحمل للذة على بعض حواس فعمله الانسان
 واعني بالآلات اخرى بعضها كدس المادة بعضها
 يدفعها كما بانك ذكره تحت تحكيم في كماله ان تم كمال النفس
 بحمد الله وحسن توفيقه

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب النبات من كتاب النبات

فصل في تولد النبات واعداده وذكره
 وان شاء الله تعالى واصل من اجبه اما النبات فقد ذكره
 الحق في الافعال والاعمال المتعلقة بالقدرة
 اراد اعلى البدن ووزن عاود امانة للعقل وتولد
 بالبر الحموله عنه ويكون غذاه للغذاء اعلى سبل جود
 الاعضاء منها اليه قدس بقوه طبعه ليست عن شهوة
 حسية كمن عضوا عضوا كما كمن اجذب عضوا عضوا
 وهذه الشهوة من الرغبات كما انما يجب ان يكون مثل
 هذه الشهوة لما له ان يحرك الى طلب غذائه وتصلبه
 كالانسان والفرس ونحو ذلك من تفتيق عنه كالغذاء
 في غذائه واما ما كاسل له الى كسل الغذاء والكلب
 فيتابع لما يتغذى له على حاله ليس له من الغذاء الا

